المكتبة الاهلية في بيروت

رجال المعلقات العشر

كتاب ادب وتاريخ ولغة

وهو مصدر بمقدمتين :

الاولى في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام

الثانية في خلاصة تاريخ ادب اللغة العربية من لدن العصر الجاهلي الى العصر الحاضر

تأليف

الشيخ مصطفى الغلاييني

« استاذ التفسير والآداب العربية في الكلية الاسلامية في بيروت وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق »

الطبعة الثانية

مطبعة طباره — بيروت



كتاب ادب وتاريخ ولغة

وهو مصدر بمقدمتين :

الاولى : خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام

الثانية : في خلاصة تاريخ ادب اللغة العربية من لدن العصر الجاهلي الى العصر الحاضر

تأليف :

الشيخ مصطفى الغلاييني

استاذ اللغة العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية في بيروت

الطبعة الثانية

بالمطبعة الاهلية بيروت ١٣٣٢ هـ

رجال المعلقات العشر

كتاب ادب وتاريخ ولغة

هذه هي الطبعة الثانية بعد ان نفدت
نسخ الطبعة الاولى في مدة لا تتجاوز
ثمانية اشهر . وهذا دليل محسوس على
ما ناله هذا الكتاب من المكانة الكبرى
في قلوب اهل العلم والادب .

جمادى الثانية ١٣٣٢ ه

المطبعة الاهلية



حمداً لمن جعل الشعر ديوان العرب، ومستودع الاجتماع والادب . وصلاة وسلاماً على رسوله العربي، ونبيه القرشي، القائل : « ان من الشعر لحكمة » . وكفى بذلك فخراً للشعر، ومجداً للشعراء

وبعد فهذا كتاب (شعراء المعلقات العشر) ذكرنا فيه ما كان مبعثراً في بطون الكتب من تاريخ قائليها وانسابهم ونفيس اشعارهم ، وما يتبع ذلك من تاريخ العرب واحوالهم الاجتماعية ، واخلاقهم العلية ، وآثارهم الخالدة ومفاخرهم الباقية ، وآدابهم العالية ، ومناقبهم السامية .

وقد صدّرناه بمقدمتين : الاولى في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام . والثانية في خلاصة تاريخ ادب اللغة العربية في العصر الجاهلي وصدر الاسلام والدولة الاموية والدولة العباسية والدول المتتابعة والعصر الحاضر .

وقد عانينا في جمعه وترتيبه وتنسيقه وتهذيبه ما يقدره قدره من اطلع عليه وعرف ما حواه من الفوائد الجليلة والحسنات الكثيرة .

وقد كنا نلقيه دروساً على تلاميذ (المكتب السلطاني) في بيروت . ثم عنّ لنا اليوم ان نمثله للطبع حرصاً على نشر آداب هذه اللغة المباركة الشريفة . واقتصاداً في الوقت الذي يقتضيه الاملاء . ليكون كتاب تدريس ومطالعة لتلاميذ السنتين : التاسعة والعاشرة من المكاتب السلطانية . او ما يضاهي هاتين السنتين : من المدارس الاهلية . والله الموفق للصواب .

بيروت   مصطفى الغلاييني

الكتب التي اعتمدنا عليها في تأليف الكتاب

كتاب الاغاني (لابي الفرج الاصبهاني)

الشعر والشعراء (لابن قتيبة)

خزانة الادب (للبغدادي)

العقد الفريد (لابن عبد ربه)

شرح ديوان الحماسة (للخطيب التبريزي)

تاريخ ابي الفداء (لابي الفداء صاحب حماة)

تاريخ مروج الذهب (لابي الحسن المسعودي)

مقدمة ابن خلدون (لابن خلدون)

شروح المعلقات

ديوان زهير

ديوان النابغة (خط)

ديوان طرفة

ديوان عنترة

شرح شواهد المغني (للسيوطي)

تاريخ آداب اللغة العربية (لجرجي زيدان)

الخلاصة الوفية (لاحمد حسن الزيات)

آداب اللغة العربية (للشيخ محمد حسن المرصفي)

لباب الخيار (لمؤلف هذا الكتاب)

تاريخ علم الادب العربي (له ايضاً)

العمدة (لابن رشيق)

المزهر (للسيوطي)

اعجاز القرآن (للباقلاني)

المقدمة الاولى

في العرب والعربية

اجمال عن العرب قبل الاسلام [1]

بلادهم ومواقعها

جزيرة العرب واقعة في الجنوب الغربي من آسية ، ويحيط بها البحر الاحمر وصحراء التيه المتصلة بترعة السويس من غربها ، والخليج الفارسي من شرقها ، وبحر عُمان الذي هو قسم من بحر الهند من جنوبها والصحاري الممتدة بين بلاد الشام والفرات من شمالها .

ومساحتها ١،١٠٠،٠٠٠ ميل مربع . او ٣،١٥٦،٥٥٨ كيلو متراً مربعاً . او ١٢٦،٠٠٠ فرسخ مربع . وقد عملنا حسابها بالميل والكيلومتر والفرسخ فجاء الحساب متقارباً .

ونفوسها اثنا عشر مليوناً ، وقيل عشرة ملايين .

وهي اليوم تقسم الى ثمانية اقسام :

القسم الاول الحجاز وهو الواقع في الجنوب الشرقي من ارض (طور سيناء) على ساحل البحر الاحمر . وسُمي حجازاً لانه حاجز بين تهامة ونجد ، وتهامة محصورة بين الحجاز واليمن . ومكة المكرمة والمدينة المنوّرة من هذا القسم . وفي وسط مكة مسجدها

---

(١) عن كتابنا (لباب الخيار في سيرة المختار)

الجامع المسمى بالحرم ، والكعبة في وسطه ، وبجانبها الحجر الاسود ، ومكة هي البلد الذي وُلد فيه الرسول ونشأ ، وفيه أكرم بالنبوة ، وتسمى ايضاً (بكَّة) وقيل : ان بكة هو بطن مكة ، وسُمي بذلك لازدحام الناس فيه ، لانه يقال : بكَّه اذا زحمه ، وتسمى (ام القرى) ، وكانت تُسمى في القديم (الباس والباسة والبساسة) = واما المدينة المنورة فكانت تُسمى (يثرب) وهي دار هجرة الرسول وقطب نصرته وفيها قبره الطاهر

ولكل من مكة والمدينة حرم له حدود مذكورة في كتب الفقه .

وارض (تهامة) تحسب اليوم من الحجاز .

القسم الثاني اليمن ، وهو الواقع في جنوب الحجاز ، وفي شماله بلاد (عسير) وفيه عدة مدن مشهورة بتجارة البن وهي (مخا وحديدة وعدن) . وفيه مدينة سبأ (مأرب) وصنعاء . وسُميت اليمن بهذا الاسم لوقوعها عن يمين الكعبة اذا استقبلت المشرق كما ان بلاد الشام عن شمالها .

القسم الثالث حضرموت ، في شرق اليمن وعلى ساحل بحر الهند . ومنه يخرج العود ذو الرائحة الزكية المعروف بالقاقلي .

القسم الرابع اقليم مهرة في شرق حضرموت .

القسم الخامس عُمان ، المتصل بالخليج الفارسي من الشمال ، ومن الشرق والجنوب ببحر الهند . ويوجد فيه قليل من الناس .

القسم السادس الحسا ، ويجاوره جزائر (البحرين) بالخليج الفارسي ، ويمتدّ على ساحله الى نهر الفرات . وسكان هذا القسم يستخرجون اللؤلؤ

القسم السابع نجد، واراضيه مرتفعة، وهو في وسط الجزيرة بين الحجاز والحسا وصحاري الشام واقليم اليمامة، وهو يتصل بالشام شمالاً والعراق شرقاً والحجاز غرباً واليمامة جنوباً. وارضه اطيب ارض في بلاد العرب = وفي نجد ارض (العالية) التي كان يحميها كليب بن وائل بن ربيعة حتى افضى ذلك الى قتله ونشوب حرب البسوس التي دامت اربعين سنة، حتى ضرب بها المثل: «اشأم من حرب البسوس».

وفي نجد كثير من الواحات والخيول الجميلة المعروفة بالكحيل، وهي مرغوبة في بلاد الدنيا كافة = وفي جنوب نجد ارض اليمامة.

القسم الثامن اقليم الاحقاف، وهو في ارض منخفضة في بلاد العرب وفي الجنوب الغربي من بلاد عُمان، ويُلحق به ارض اليمامة، وكان هذا الاقليم معموراً باقوام من الجبابرة يقال لهم بنو عاد، وقد اهلكهم الله بريح عظيمة وأهال عليهم الرمال.

اما في القديم فكانت تقسم الى ستة اقسام: الحجاز واليمن ونجد وتهامة والاحساء واليمامة.

فاليمامة بين نجد واليمن، وهي في جنوب نجد بين الاحساء شرقاً والحجاز غرباً، ومن مدائنها اليمامة وهجر، وتسمى العروض ايضا، لانها معترضة بين نجد واليمن.

وتهامة تحسب اليوم من ارض الحجاز كما قدمنا ، وهي واقعة بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً .

والاحساء تمتدّ على ساحل الخليج من عُمان الى ارض بصرى ، وتسمى بالبحرين ، ومن مدائنها الاحساء والقطيف .

والحجاز قد دخل فيه تهامة . واليمن انفصل عنه اقاليم حضرموت ومهرة وعُمان . ونجد دخل فيه اليمامة والاحساء .

انسابهم وطبقاتهم

طبقات العرب ثلاثة وهي :

١ **العاربة الاولى** او العرباء وتسمى (البائدة) وهم العرب الخُلَّص الأوَّلون ، وقد ذهبت عنا تفصيلات اخبارهم لتقادم العهد ، وقد كانوا شعوباً وقبائل كثيرة ، وهم من ولد (إرَم بن سام بن نوح) . وهم تسع قبائل : عاد وثمود وأميم وعَبِيل وطَسْم وجَديس وعمليق وجُرهم الاولى ووبار . ومنهم تعلم اسماعيل جد الرسول العربية ، وهم اقدم الامم بعد قوم نوح واعظمهم قدرة واشدهم قوة وآثاراً في الارض ، وقد قيل : انهم انتقلوا الى جزيرة العرب من (بابل) لما زاحمهم فيها بنو (حام)[1] . ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور الى ان غلب عليهم بنو (يعرب بن قحطان) .

---

(١) هذا على الرأي الشائع من ان مهد الساميين الاصلي هو مابين النهرين ، اما القول الحق فهو ان مهدهم الاصلي هو جزيرة العرب . ومنها انتقلوا الى بابل وغيرها ومن بقي في الجزيرة العربية عرف بالعرب . لهم فيها اصليون لاطارئون ، كما حقق ذلك الاستاذ صموئيل لانج

وكانت مساكنهم في اليمامة من جزيرة العرب .

الطبقة الثانية العرب العاربة الثانية، وبعضهم يسميها المتعربة، وهم من ولد جرهم بن قحطان بن عابر . وكانت مساكنهم بالحجاز، ويسمّون ايضاً بالعرب اليمانية . لان مواطنهم كانت في اليمن . ومن العرب المتعربة او العاربة الثانية (بنو سبأ) واسم سبأ (عبد شمس) فلما اكثروا الغزو والسبي سُمّوا سبأ وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان لسبأ عدة اولاد منهم حِمْيَر وكهلان . وجميع قبائل عرب اليمن وملوكها التبابعة من ولد سبأ المذكور ماعدا (عمران) واخاه فانهما ابنا عامر بن حارثة ابن امريء القيس . وكان هؤلاء العرب يغلب عليهم الميل الى الحضارة، فسكنوا المدن واسسوا الممالك، ومنهم ملوك الحيرة (اي المناذرة) وملوك الشام (اي الغسانيون) .

وكانت هذه الطبقة — اي العرب المتعربة — معاصرة اخيراً لاخوانهم من عرب تلك الطبقة اي العاربة الاولى، موالين لهم ومناصريهم . ولم يزالوا مجتمعين في رحاب البادية بعيدين عن الملك الذي كان لاخوانهم العاربة الاولى الى ان تشعبت في الارض فصائلهم، وتعدّدت افخاذهم وعشائرهم، ونما عددهم، فزاحموا معاصريهم ابناء الطبقة الاولى، وانتهزوا فرصة اضمحلال دولتهم وانتزعوها منهم — على مايقال — في القرن الثامن قبل المسيح عليه السلام، فاستجدوا بالي الدولة بما استأنفوه من عزهم .

وكان قحطان بن عابر اولَ من نزل اليمن وغلب عليها حتى ملكها ولبس التاج، وملك بعده ابنه (يعرب) وهو اول من نطق بالعربية

وقيل بل ابوه قحطان اول نطق بها من العرب المتعربة اي العاربة الثانية ' وليس المراد انه اول من نطق بها على الاطلاق لانه قد كان للعرب جيل آخر وهم العاربة الاولى ' ومنهم تعلم قحطان وابنه يعرب العربية .

وقد غلب يعرب على قوم عاد في اليمن وعلى العمالقة في الحجاز وولّى اخوته جميع اعمالهم فولّى جُرهما على الحجاز وولّى عاد ابن قحطان على الشِّحر ' وولّى عُمان بن قحطان على بلاد عُمان .

وكان من نسل يعرب بن قحطان التبابعة ملوك اليمن المشهورة بالحضارة والتمدن ' وفي عصرهم حصل سيل العرِم فأغرق اليمن وفرّق السكان وجعلهم طوائف ' وكانت هذه الحادثة على ما يقال سنة (١٢٠) قبل المسيح عليه السلام ' وكان من هذه الطوائف (آل غسّان) ملوك الشام من قبل الرومان ' ويسمون (الغساسنة) ' ومنها (آل المنذر) ملوك الحيرة من قبل الفرس ويسمون (المناذرة) .

الطبقة الثالثة العرب المستعربة اي التابعة للعرب ' ومنهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويقال لهم (العدنانيون) نسبة الى عدنان وهو اول شعب اشتهر من ولد اسماعيل ' وسموا بالمستعربة لان اباهم (اسماعيل بن ابرهيم) عليهما السلام لم يكن عربياً بل جاء به ابوه ابراهيم الخليل مع امه (هاجر) الى مكة فتزوج اسماعيل ببنت (مُضاض) سيد قبيلة جُرهم وتكلم بالعربية وكانت لغته عبرانية . وقد تناسل منه جيل عظيم كانوا شعوباً وقبائل متفرقة بعضها بَدْوٌ اعتاد المعيشة في البادية تحت الخيام ويقال لهم الاعراب. [ويسمى كل من سكن البادية أعراباً

ولو كانوا غير عرب ، ومفرد الاعراب اعرابي] ، ويعيشون من ألبان الابل والغنم ولحومها ، ويتنقلون من مكان الى مكان في طلب العشب والماء . وبعضها حضر يسكن المدن كمكة والمدينة وجدة وغيرها ويقال لهم العرب . ولم يخضعوا قط لسلطة خارجة عنهم .

ومن ولد عدنان (مَعَدّ) ومن معد (نِزار) ، واشتهر من اولاد نزار اربعة شعوب وهي : إياد وأنمار وربيعة ومضر .

وبنو مضر كانوا اهل الكثرة والغلبة في الحجاز . وقد انفردوا برئاسة الحرم . واشتهر من قبائلهم (كِنانة) ثم (قريش) التى منها النبي صلى الله عليه وسلم .

وقريش كانت اشهر قبائلهم . وقد بلغت في القرن السادس من الميلاد المسيحي مبلغاً عظيماً من الشرف وعلو الهمة . وقد آلت اليها رئاسة البيت الحرام . وكان لها نوع من السلطنة والمشورة على جميع قبائل العرب .

وكان التقدم في قريش لبني لؤَي وكان سيدهم (قُصَيًّا) لِمَا كان له فيهم من الشرف والقرابة والثروة والاولاد . وقد تولى رئاسة الكعبة سنة (٤٤٠) بعد المسيح وكان منه بنو (عبد مناف) وكان القائم بامرهم (هاشماً) ثم ابنه (المطلب) ثم اخاه (عبد المطلب) جد النبي عليه الصلاة والسلام .

وهناك طبقة رابعة نشأت بعد حضارة الاسلام الى يومنا هذا ، وهم العرب المستعجمة الذين فسدت لغتهم على تمادي الايام بسبب مخالطتهم غير العرب ، وقد مرّ عليهم ادوار انقرض فيها ما كان لهم من الدولة والسطوة في الجاهلية والاسلام . وهم قبائل عظيمة ، وشعوب

كثيرة ، يسكنون الخيام ، ويجولون في البراري . واشهرهم قبيلة (عنزة) و (صخر) و (سباعة)وغيرها .

وقد دخل كثير من العرب المدن ، وسكنوا حواضر البلاد بعد الاسلام ، واختلطوا باهل البلاد الشامية والمصرية والمغربية ، حتى صار يُعَدُّ كل من تكلم العربية من اهل هذه البلاد عربياً .

قال بعض المعاصرين [١] : « واننا بناءً على مانراه في شرق الارض وغربها وفي جزائر البحار ايضاً من انتعاش اللغة العربية ونهضتها نأمل انه سيكون في زمن غير بعيد للذين يكتبون بعدنا في هذا الشأن ان يعدوا للعرب طبقة يسمونها (العرب العائدة) اي الذين عادوا الى التكلم بالعربية الفصحى » . ونحن نقول : حقق الله ذلك .

ممالك العرب قبل الاسلام [٢]

كانت ممالك العرب قبل الاسلام منقسمة الى دول كبيرة وممالك صغيرة ، فالدول الكبيرة ثلاثة :

اولها اليمن وكان مقر ملوكها (صنعاء) واول من ملك منهم قحطان بن عابر ، وخلفه على ملك اليمن (٢٨) ملكاً ثم انتقل الملك منهم الى الدولة الثانية .

واول من ملك منها تُبَّع الاول ابن الاقرن . وخلفه عشرون ملكاً آخرهم ذو جَدن الحميريُّ الذي تغلب عليه (ارباط) قائد جيش

(١) هو ظاهر خير الله (٢) عن البهجة العباسية

(النجاشي) ملك الحبشة سنة (٥٢٩ م) واستولى على مملكته وضمها الى مملكة الحبشة . وكان ارباط المذكور يزدري الضعفاء ويُكلّفهم ما لا يطيقون من المشاق ، فجزعوا لذلك وانتموا الى (ابرهـة) احد رؤساء الجيش فأخذ بناصرهم وتحارب مع ارباط وقتله . وقام بالامر بعده .

وبعد موته ملك ابنه يكسوم ثم اخوه مسروق فاستخلصها منه سيف بن ذي يزن بمساعدة كسرى انو شروان وبعد موته تغلب عليها كسرى ، وبقيت تحت سلطته الى سنة (٦٣٤ م) حتى فتحت بالاسلام . وكان العامل عليها حينئذٍ (باذان) الذى أسلم في عهد النبي عليهِ الصلاة والسلام .

الثانية المناذرة ملوك العراق ، وكان مقرّ ملكهم (الحيرة) وهي قريبة من (الكوفة) . وكانوا عمالاً للاكاسرة على عرب العراق . واول من ملك على العرب بارض الحيرة مالك بن فهم ، وينتهي نسبه الى قحطان [وكان ملكه في ايام ملوك الطوائف قبل الاكاسرة] . ثم ملك بعده اخوه عمرو بن فهم ثم ابن اخيه جَذيمة بن مالك بن فهم ثم غيره الى تمام (٢٦) ملكاً ثم انتزعها خالد بن الوليد عقب الفتح الاسلامي من آخر ملوكها المنذر بن النعمان .

الثالثة الغسانية ملوك الشام ، وعددهم (٣٢) ملكاً وكانوا عُمّالاً لقياصرة الروم على عرب الشام . واول ملوكهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة ، وآخرهم جَبلةُ بن الأيهم ، وقد أسلم في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٦ هـ) .

وفي هـذه السنة خرج عمر الى الحج فحج جبلة معهُ فبينما

جبلة طائف اذ وطيء رجل من (فزارة) إزاره ، فلطمه جبلة فهشم انفه . فأقبل الفزارى الى عمر وشكاه فأحضره عمر وقال : « افتدِ نفسك والاّ امرته ان يلطمك» . فقال جبلة : « كيف ذلك ؟ ، وانا مَلِكٌ وهو سُوقة » . فقال (عمر) : « ان الاسلام جمعكما وسوّى بين الملك والسُّوقة في الحدّ » . فقال جبلة : اتنصّر . فقال عمر : « إنْ تنصَّرتَ ضربتُ عنقك » . فقال : « أنظِرني ليلتي هذه » . فأنظَرَه . فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورَجْله الى الشام . ثم سار الى قسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصَّروا عن آخرهم . وفرح (هرِقْلُ) بهم . واكرمه .

ثم ندم (جبلة) على فعله ذلك وقال :

تَنصَّرَتِ ٱلْأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ ، وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرْ
تَكَنَّفَنِي فِيهَا لَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ ، وَبِعْتُ لَهَا ٱلْعَيْنَ ٱلصَّحِيحَةَ بِٱلْعَوَرْ
فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ، وَلَيْتَنِي رَجَعْتُ إِلَى ٱلْقَوْلِ ٱلَّذِي قَالَهُ عُمَرْ

هذه هي الدول الثلاث الكبرى فى بلاد العرب . واما الممالك الصغيرة فكثيرة مثل (كِنْدة) وغيرها ، وكذا الملوك المتفرقون مثل كُليب ملك بني وائل وتغلب الذي قتلهُ جساس بن مُرّة ، ومثل قيس بن زهير العبسي .

اخلاقهم وعاداتهم ، ماحسن منها وما قبح

من اخلاقهم الحسنة، وعاداتهم الطيبة، الشجاعة، والعفة، والشهامة، والنَّجدة، وعلوُّ الهمة، والحمية، وحفظ العهود، والإيفاء بالوعود، والمحافظة على الاعراض اشدَّ المحافظة، فقدكان عندهم الموت اسهل من العار [حتى أدَّى ذلك ببعضهم الى دفن بناتهم وهنَّ احياء خشية العار] ومنها المدافعة عن الجار، وحفظ الجوار، والسخاء، والكرم، والضيافة، للغريب والقريب. ومنها الافتخار بشدة البأس، وعزة النفس، وإباء الضيم، والولوع بالاشعار، لانها ديوان العرب، والحكم، والامثال، والحلم، والفصاحة، والغلوّ في حفظ الشرف ومكانة النفس.

واما لغتهم فكانت من اعز الاشياء لديهم، حتى انهم كانوا يأنفون من مخالطة غير العرب حفظاً لها من العجمة.

ومن عاداتهم السيئة دفن بعضهم البنات وهنَّ احياء خشية العار، وقتل الاولاد خشية الفقر، والغلوّ في اخذ الثأر، حتى انهم كانوا يشنُّون الحرب التي ترهق فيها النفوس الكثيرة في سبيل الأخذ بثأر رجلٍ منهم. ومنها المنابزة بالالقاب [والنَّبَز هو اللقب المستهجن القبيح] ومنها التبنّي [وهو ان يُجعل الولد غير الحقيقي الذي يُتَّخذ كالابن بمنزلة الابن الحقيقي يَرِثُ ويُورَث]. ومنها عبادة غير الله، وكانت عبادتهم على انواع مختلفة، ولهم آلهة واصنام كثيرة : كاللَّات والعزَّى وهُبَل ونَسْر وسُواع ويَغُوث ويَعُوق، وغير ذلك. وكان منهم من يعبد النجوم كالشمس والقمر وعُطارِد والمشتري، وغير ذلك. ومن ذلك اسماؤهم

كعبد العزّى وعبد يَغوث وعبد شمس ، ونحوهـا . وكان في بلادهم كثير من النصارى واليهود والمجوس .

وكانوا قبلاً مُوَحِّدين ، يعبدون الله على ملة ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام . ثم اتخذوا الاصنام لتكون واسطة بينهم وبين الله بزعمهم ، الى ان عبدوها وقدموا لها القرابين ، وذبحوا الذبائح على اسمها .

فلما وصلوا الى هذه الدرجة من الجهل والكفر وعبادة غير الله ارسل لهم رسوله المصطفى ونبيه المرتضى (مُحَمَّدًا) صلى الله عليه وسلم ، فأرجعهم الى الشريعة الحق : شريعة ابرهيم وموسى وعيسى والانبياء من قبلهم ، فهداهم بعد الضلال ، وأرشدهم بعد الحيرة .

المقدمة الثانية

شذرة في اللغة وآدابها (١)

اللغـة

اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عما في ضمائرهم باساليب خاصة .

وهي ضرورية للنوع الانساني . وتلازمـه من لدُنْ دروجه الى احتضاره . وبها يتميز عن سائر الحيوان .

وقد بلغت اللغات حدَّ الكثرة ، حتى قدَّرها بعضهم بثلاثة آلاف ، وقد تشعبت هذه اللُّغـات حتى اصبح من المستحيل ردُّهـا الى اصولها التي اشتُقَّت منها . وانقطع لذلك في اوربـة واميريكة مئات الرجال . فأنفدوا أعمارهم في دراستها وتحليلها . وغاية ما وصلوا اليهِ ان أرجعوا جميع اللغات الى اصول ثلاثة :

الاولى : اللغة (الساميَّة) نسبةً الى الساميين وهم جيل من الناس كانوا يسكنون ما بين نهريْ دجلة والفرات قبل الوف من السنين (٢) . واشتُقَّت منها العربيَّة والسريانية والعبرانية والقبطية والحبشية .

---

(١) ملخصة عن (ادب اللغة العربية) للمرصفي . وعن (الخلاصة الوفية) لاحمد حسن الزيات . وعن كتابنا (تاريخ الادب العربي) وعن (ابن خلدون) . وعن (المزهر) للسيوطي . وعن (اللمع النواجم) لظاهر خير الله . (٢) هذا على الرأي المشهور والصحيح انهم كانوا يسكنون الجزيرة العربية كما اوضحنا ذلك كل الايضاح في كتابنا تاريخ الادب .

الثانية : اللغة (التورانية) نسبة الى توران في التركستان . ومنها اشتُقَّت التَّتَرِيَّة والتركية والصِّينيَّة والجَرْكسِيَّة والدانياركية والهِنكارية .

الثالثة : اللغة (الإيرانية) نسبة الى ايران في آسية . ومنها جاءت الفارسية واليونانية واللاتينيَّة وما تفرَّع عنها من لغات اوربة .

اللغة العربية

اما اللغة العربية — وهي احدى اللغات السامية — فهي تمتاز بسلاسة العبارة ، وبلاغة الاستعارة ، وغزارة المادة .

وقد اتفق اهل البحث من العلماء على ان اوسع اللغات بحراً ، واطوعها تصريفاً ، واجزلها عبارة ، وانصعها بياناً ، هما اللغتان : العربية واليونانية . الاَّ انَّ موادَّ العربية — على كثرتها العجيبة — كلها اصلية ، وموادَّ اليونانية ، الكثير منها حاصل بالنَّحت والتركيب من اصلين فاكثر . فيكون غِنى العربية من اصلها ، وغنى اليونانية بصنع اهلها .

وحسب العربية مزية ان ليس فى اللغات لغةٌ حفظت اصول شعرها وكتابتها تلك القرون العديدة وبقيت واحدة في اطراف الارض غيرها . ولقد مرَّ عليها ادوار وعصور وهي تختلف بين صسود وهبوط ووقوف .

[وسنذكر في هذه الشذرة طُرَفاً من ذلك . وقد تركنا التوسع فيه لكتابنا تاريخ علم الادب العربي]

تصريفها

اللغة مأخوذة من (لَغَا يَلغو) اي تكلم. واصلها (لُغْوَةٌ) بضم فسكون: حُذفت الواو منها بعد نقل فتحتها الى الغين فصارت (لُغَة). وتُجمع على لُغات ولُغى.

حصولها

قد اختُلفَ في حصولها. فقال قوم بالتوقيف. وقال قوم بالاصطلاح. ومعنى التوقيف ان الله سبحانه وتعالى علَّمها الانسان. والى هذا كان يذهب افلاطون من القدماء واحمد بن فارس والاشعري واتباعه من علماء العرب. ومعنى الاصطلاح ان يجتمع انسانان فاكثر فيصطلحوا على ان هذه اللفظة لمعنى كذا، وهذه لمعنى كذا، فاللغة درس تقليدي مداره على التواطُؤ والاصطلاح، لان الانسان طفل تاريخي، فاللغة تابعة له. والى ذلك ذهب ديوروس وشيشرون من القدماء وابو علي الفارسي وتلميذه ابن جِنّي وطائفة من المعتزلة من علماء العرب. واطال كل فريق في الاحتجاج لمذهبه.

والقول بالاصطلاح المطلق باطل. لان الاصطلاح يقتضي سابق اصطلاح، وهذا ايضاً يقتضي سابق اصطلاح، وهكذا الى ما لا نهاية، فهو باطل، لانه من باب التسلسل. ثم ان الله الذي خلق الانسان في احسن تقويم لا يتركه سدى من غير ان يعلِّمه لغة يعبر بها عما يخالج ضميره من المعاني والافكار والحاجيات. وقد ورد في الكتب السماوية ان الله قد علَّم آدم الاسماء كلها.

والقول بالتوقيف المطلق باطل ايضاً يُكذِّبه الحسُّ والتاريخ.

فاصل اللغة كان بالتوقيف ، وهو القدر الذي يحتاج اليه الانسان في بادئ الامر ، ثم حصل الاصطلاح على سائر ، اللغة حسب مقتضى الحاجة .

تدوينها :

الصرف والنحو

كانت اللغة العربية من نشأتها الى سنة ستين (٦٠) للهجرة لغة يتلقفها الابناء عن الآباء ، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغتنا العامية . فلما جاء الاسلام وفارقوا بلادهم للفتح اوغيره ، وانتشروا بين الاعاجم اخذ اللحن في اللغة يفشو ، ودبّت عقارب العجمة فيها . فتغيرت تلك الملكة بما أُلقيَ اليها مما يغايرها . فخشي اهل الإدراك منهم ان تفسد تلك الملكة رأساً ، ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن الكريم والحديث الشريف على الفهوم . فأستنبطوا من مجاري كلامهم قوانينَ لتلك الملكة تعصم مراعاتها المتكلم عن الخطأ . وقيدوا ذلك بالكتابة ، وجعلوها صناعة خاصة ، واصطلحوا على تسميتها بعلم (النحو) . واول من وضع ذلك ابو الاسود الدُؤَلي المتوفى سنة سبع وستين (٦٧) للهجرة باشارة الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، لانهُ رأى تغيُّرَ الملكة ففزع الى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة . ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدي ايام الرشيد . فهذّب الصناعة واكمل ابوابها . واخذها عنه سيبويه فأكمل تفاريعها ، واستكثر من ادلّتها وشواهدها ، ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار اماماً لكل من كتب فيها من بعده . ثم كثرت المؤلفات من بعد ذلك حتى ضاقت عنها صدور المكتبات .

وكانت البصرة والكوفة من اعمر الامصار التي اختطّها العرب . وقد تفرّغ من اهليهما أناس لضبط اللغة وعلومها نقلاً عن عرب البادية بالخروج اليهم ، والاقامة بينهم ، والسماع منهم ، واستكتابهم . وكان رئيس علماء البصرة سيبويه ورئيس علماء الكوفة الكسائي . و كلاهما قد جاهد مع اتباعه حق الجهاد في المناضلة عن اللغة والذبّ عن حياضها . وكان بين البصريين والكوفيين حروب جدال كثيرة كثرت فيها الادلة ، وعظم فيها اللّجاج ، وتباينت فيها الطرق . حتى ادّى الامر الى موت سيبويه رئيس البصريين غمًّا و كمدًا من اجل مسألة حكم فيها عرب البادية عند الرشيد لامام الكوفيين الكسائي في قصة طويلة مشهورة .

ثم فصل بعض العلماء عن النحو ما يتعلق بالكلمات المفردة . وجعلوهما علماً مستقلًّا سموه علم الصرف اوالتصريف . واقدم من صنع ذلك ابن جِنّي ومعاذ الهرّاء .

وافضل من كتب بعد هؤلاء من المتأخرين ابن هشام . فقد اخرج للناس كتباً هي خير ما رأيناه بعد كتب سيبويه واضرابه .

وقد حدت الهمة بالمعاصرين الى تأليف كتب تلائم روح العصر . نفع الله بهم ، حتى تنهض هذه اللغة من كبوتها ، وترجع الى سالف مجدها .

متن اللغة

ثم انه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند اهل النحو بالاعراب ، واُستُنبطت القوانين لحفظها – كما قدمنا – استمرّ ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم ، حتى تأدّى الفساد الى موضوعات

الالفاظ . فاستُعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية . فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين ، خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ومنثور العرب ومنظومهم . فشمَّر كثير من ائمة اللسان لذلك ، وأملَوْا في الدواوين . وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن احمد الفراهيدي ، ألَّف فيها كتاب (العين) . ثم جاء ابو بكر الزبيدي فاختصره مع المحافظة على اصله . وألَّف الجوهري كتاب (الصحاح) . ثم اختصره الرازي وسماه (مختار الصحاح) . وألَّف ابن سيده كتاب (المحكم) . ثم لخَّصه محمد بن ابي الحسين صاحب المنتصرة من ملوك الدولة الحفصية في تونس . وكتب فيها الزمخشري كتابه (الاساس) في مجاز اللغة . وألَّف الثعالبي كتابه (فقه اللغة) . وألَّف الفيروزابادي كتاباً عظيماً . ثم اختصره بكتابه المعروف باسم (القاموس) . وألف ابن منظور كتابه (لسان العرب) المشهور . والف كثير غيرهم .

البيان والادب

ثم لما اخذ الفساد يدب في اساليب اللغة والانشاء حدت الهمة العلماء الى وضع كتب ترشد الى معرفة الاساليب الصحيحة . وكانت هذه المسائل مبعثرة في كتب العلماء كالامام سيبويه وغيره . وأقدمُ من أقدمَ على تلخيص ذلك وابتكار غير الموجود وتدوينه الامام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (اسرار البلاغة) و(دلائل الاعجاز) الاول في البيان والثاني في المعانى . ثم تهافت العلماء على التأليف في هذا الموضوع

وتلخيص ما كتبه عبد القاهر وترتيبه وتبويبه . غير ان اكثرهم قد جعل ذلك قواعد نظرية ، حتى اخرجه عن معنى البلاغة والاساليب الصحيحة . وكتابا عبد القاهر لا يُشَقّ لهما غبار ، وهما خير ما أُخرج للناس ، لمن اراد ان يكون بليغاً علماً وعملاً .

ثم لما فترت الهمم عن تلقي منثور العرب ومنظومهم اخذ العلماء يدوّنون اخبار العرب واحاديثهم واشعارهم . ونُكَتهم وما يتبع ذلك من وجوه الادب التي لا غنى عنها للمتأدبين .

وقد قالوا : ان اركان الادب اربعة دواوين وهي (ادب الكاتب) لابن قتيبة ، و(الكامل) للمبرد ، و(البيان والتبيين) للجاحظ ، و(النوادر) لابي علي القالي البغدادي . ونحن نزيد عليها كتاب (الاغاني) لابي الفرج الاصبهاني ذلك الكتاب الممتع .

العروض وقرض الشعر

وقد وضع الخليل بن احمد الفراهيدي موازين للشعر مستقرئاً بذلك ما قاله العرب . وقد استدرك عليه غيره بحراً من بحورها وهو المعروف بالبحر (المتدارك) .

ثم اخذ العلماء في التأليف في هذا الموضوع وجعلوه علماً نظرياً .

ثم حدث علم (قرض الشعر) بعد ان فسدت ملكة اسلوب الشعر العربي . وهو علم ذو قواعد ترشد من له سليقة الى كيفية نظم الشعر ومحاسنه وعيوبه . وافضل من ألّف في ذلك ابن رشيق الف كتاب (العمدة) وابن هلال العسكري ألّف كتاب (الصناعتين) .

العرب الذين أُخذت عنهم اللغة

قال ابو نصر الفارابي في اول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف:
«كانت قريش اجود العرب انتقاءً للافصح من الالفاظ ، واسهلها على اللسان عند النطق ، واحسنها مسموعاً ، وابينها ابانة عمّا في النفس . والذين نُقِلَتْ عنهم العربية وبهم اُقتُديَ وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم (قيس) و (تميم) و (اسد) . فانّ هؤلاء هم الذين عنهم نُقل اكثر ما أُخذ ومُعْظَمُهُ ، وعليهم اُتُّكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ثم (هُذيل) وبعض (كِنانة) وبعض (الطائيّين) . ولم يُؤْخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فانه لم يُؤْخذ عن حضري قطّ ، ولا عن سُكَّان البراري ممن يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم . فانه لم يُؤْخذ عن (لَخمْ) ولا عن (جُذَام) لمجاورتهم اهل مصر والقبط ، ولا عن (قُضاعة) و (غَسَّان) و (إياد) لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ، ولا من (تغلب) و (النمر) فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من (عبد القيس) و (أَزْدعمان) لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من اهل (اليمن) لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من (بني حنيفة) وسكَّان (اليمامة) ، ولا من (ثقيف) واهل (الطائف) لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ، لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم .

والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء واثبتها في كتاب فصيّرها علماً وصناعة هم اهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب » .

ادب اللغة

الادب هو معرفة مايوصل المرءَ الى تجنُّب الزلل في اعماله واقواله .

وهو قسمان : ادب النفس وادب الدرس . فالاول يُسمَّى بالطبيعي . والثاني بالكسبي .

فادب النفس هو ما فُطر عليه الانسان من الاخلاق الفاضلة ، والمزايا النبيلة : كالجود والشجاعة والكرم والحلم ، وغيرها .

وادب الدرس هو مايحصّله المرء بالمدارسة والمطالعة والمزاولة والنظر في الاكوان .

ولمّا كان هذا الادب — ادب الدرس — لا يحصل الا بالدرس والمطالعة يضطرُّ المتأدب الى الآلة التي يحصل بها ذلك . والآلة هي اللغة وآدابها . فهما الاستاذ الاعظم لمن يريد ان يحصل الادب بالدرس .

علم الادب العربي

علم الادب العربي هو الاصول التي تُعرَف بها اساليب الكلام العربي .

واركانه خمسة : « البيان باقسامه — اي المعاني والمجاز والبديع — والانشاء والخطابة والعروض وقرض الشعر » .

ومداره على الكلام المنثور والمنظوم من حيث البحث عن بلاغتهما وعدمها .

والغاية منه حمل المتأدب على ان يتحدّى بليغ الكلام من نثر ونظم ، فينسج على منواله .

ومطالع علم الادب من ثلاثة اوجه : قلبٍ مفكِّر ، ولسان معبِّر ، وبيان مصوِّر .

فمن كان غبياً خامل الذهن ، ليس له ذكاء ولا فكر راقٍ ، ولا خيال يصوِّر ما يريد انشاءه ، ولا ذوق يميِّز به بين الغث والسمين ، فأولى له ان يدع هذا العلم وينصرف الى غيره مما هو اكثر فائدة له .

واما طلاقة اللسان فانما يحتاج اليها من يريد ان يكون خطيباً ، وهي شرط مهمٌّ فيه .

المطالعة

وعلى المتأدب ان يكثر من مطالعة الكتب والرسائل الادبية المشتملة على الجيد من المنظوم والمنثور ، ليكون له من وراء ذلك سليقة عربية ، ومادة وافرة . ويودع حافظته مختار اللفظ ، وشريف المعنى ، وبليغ الاسلوب ، بحيث يستعمل ذلك عند الحاجة ويحتذي مثاله .

اما درس الادب مجرَّداً عن المطالعة فلا يفيد الطالب فائدة تُشكر ، لان العلم بلا عمل اضرُّ بصاحبه من الجهل . فالمطالعة تطبع في الذهن ملكة البلاغة .

ولا ينبغي للمطالع ان يقرأ من الكتب الاَّ ما هو مشتمل على كلام فحول البلغاء ، حتى ينطبع في ذهنهِ اسلوبهم ، فينحوَ مِنحاهم .

وقد كتبنا في موضوع (اساليب الكلام العربي) والكتب التي يجدر بالمتأدب ان يطالعها مقالاً مُهِمًّا نشرناه في كتابنا (اريج الزهر) فليرجع اليه من شاء .

رياضة القلم واللسان والفكر

ثم ينبغي له بعد ذلك ان يرتاض على الكتابة والنظم ، ويعوّد نفسه الانشاء والكتابة والتعبير عن كل ما يدور في خَلَدِهِ من المعاني والاغراض ، ويروّض فكره على استنباط المعاني والجولان في حدائق الموضوعات السامية ، ويدع لسانه ينطق بما في نفسه بلفظ فصيح ، من غير حياء ولا وجل ، لتتمكن في نفسه ملكة الخطابة . وكل ذلك يُشترَط فيه البداءة بالمعاني الموجزة ، والاغراض القريبة . حتى اذا اتقن تصوُّرَها وانشاءها على أَسَلَتَيِ اللسان والقلم ، انتقل الى غيرها . وهكذ حتى تصير ملكة الاختراع واظهارها على اللسان والقلم خُلُقاً فيه .

تاريخ ادب اللغة

تاريخ ادب اللغة هو علم يُبحث فيه عن احوال اللغة واطوارها وما دخلها من وجوه التهذيب والتحسين او التأخير .

وموضوعه الكلام من حيث الحسن والاجادة والطبقة ، والشعراء والخطباء وما نمّقوه من بنات الافكار ومبتكرات الخيال .

وفائدته الوقوف على تواريخ الالفاظ وما اعتورها من تغيير المعنى بالاصطلاح والمجاز والكناية وغيرها ، واكتساب ملكة النقّد بالوقوف على ثمرات الافكار من نوابغ الرجال ، ومعرفة المآخذ الصحيحة ممن يوثق بعربيّتهم ، وإرجاع الاساليب الى العصور الراقية بالادب ، حتى تحيا اللغة بالتحدّي والمماثلة .

تهذيب اللغة

ان اللغة قد ترقّت مع الناموس الطبيعي فدخلها التهذيب ، ودارت عليها دائرة الصقل والتعريب ، شأن كل لغة درجت من مهدها . الّا انها لم تصل الى ما هي عليه الآن وقبل الآن من جزالة التركيب وسلاسة الاساليب الّا بعد ان تناولتها ايدي التهذيب غير مرة .

التهذيب الاول

وذلك قبل اسماعيل والاسلام . فقد كان للعرب العاربة عظيم

الفضل على اللغة العربية في نشأَتها ، لأَنهم كانوا يأخـذون الفاظ اللغات الاخرى بعد ان يعرضوها على محك التعريب ، فيصقلها ، ويُعطيها المسحة العربية ، حتى تصير بهم اجدر .

التهذيب الثاني

وذلك انه لما نزل اسماعيل عليه السلام ارض الحجاز ، وتزوج من جُرهم الثانيـة ، ونشأَ منهم العرب المستعربة ، دخل العربية كثير من وجوه التحسين بواسطته وواسطة اولاده ، حتى وصلوا بالعربية الى اوج الرقيّ . ولكنَّ الدهر لم يدعهم صاعـدين بها ، بل جرَّ عليهم حوادثه ، وقلب لهم ظهر المجنّ ، حتى باتت كل قبيـلة تأكل لحم اختها كرهاً وعدواناً ، الى ان تشتت الكثير منهم . فأصابها من الضعف ما اصابها .

التهذيب الثالث . — او — اسواق العرب

وهو تهذيب قريش فقد كانت العرب تَرِدُ عليهم في مواسم الحج . وتقيم عنـدهم ثلاثـة ايام في سوق ذي المجاز وسبعة في سوق مَجَنَّة ، وثلاثين في سوق عُكاظ ، وعشرون يقضون فيها مناسك الحج .

وفي اثناء ذلك كانت العرب تتناشد الاشعار امام قضاة الادب ، وتترنم بالخطب ، حتى اتحدت اللغـة . وكانت لغة قُرَيش هي المهيمنة عليهم ، السائرة على أَلسنتهم . وبها نزل القرآن الكريم .

الاَّ ان الاسواق الاخرى غير عكاظ كانت ابتدائية خاصة لا يحضرها غير فصحاء قبيلتها . ولكن عكاظ هذه كانت مؤتمرًا عاماً

تجتمع فيها قبائل العرب ، فيتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويتعارفون فيها . وكان الغرض منها اجتماع فحول الشعراء والخطباء والبلغاء ، لإبداء نتائج افكارهم ، واظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم .

وكان يجتمع فيها سادات العرب وملوكهم ورؤساء قبائلهم . ومثل عكاظ في ذلك سوق ذي المجاز .

وكانت عكاظ تُقام بين الاول والعشرين من شهر ذي القَعدة في كل سنة . ولم تجتمع الا بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وقد هدمت اركانها ايدي الخوارج سنة تسع وعشرين بعد المئة من ذلك العام .

التهذيب الرابع

وذلك بعد ان ظهر الاسلام ، فقد غير القرآن بعض اساليب الكلام وهذَّبها ورقَّاها ، فاكتسبت بذلك رونقاً وبهاء . وسيأتي الكلام على ذلك .

اللغة في العصر الجاهلي

لما درجت اللغة من مهدها اخذت تنمو وتنتشر تبعاً لنواميس الكون . واهلها — وان كانوا اميين — قد ساعدوها على النماء والحياة بما جُبِلوا عليه من فصيح المنطق وبليغ القول ، وما ادخلوه فيها من اسماء النباتات والحيوانات والاصطلاحات من لغات غيرهم .

على ان أميَّتهم وان لم تقف في تيَّار نهضتهم فقد نشأ عنها — لعدم الرابطة بين القبائل المتنائية — اضطرابٌ في اللغة : لتعدُّد الاوضاع ، واختلاف اللهجات ، وغير ذلك مما دعا اولي الرأْي منهم ان يفكّروا في توحيد اللسان العام وتهذيبه . فأقاموا لذلك اسواقاً اشبه بالمؤتمرات اللغوية ، بثُّوا فيها وحدته — كما قدمنا — فكانت لغة قريش فارس الحَلَبة ، وصاحبة الغَلَب . ولولا عكاظ ونظائرها لم يكن ذلك امرًا ميسورًا .

النظم والنثر فيه

كان للشعر في عصر الجاهلية اسمى المنازل واشرف الدرجات ، لانه ديوان علومهم وحِكَمهم ، وشاهد صوابهم وخطإهم ، والضابط لأيامهم وانسابهم . وقد كان الشاعر صاحب الكلمة ، يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ، بيده الامر والنهي ، واليه الحلُّ والعقد .

وكانت القبائل يهنّئُ بعضهم بعضاً اذا نبغ فيهم شاعر ، وتُقام لذلك الولائم والافراح .

وكان الشاعر يقول الشعر طبعاً من غير تكلّف ، وسهلاً من غير تعسّف . الاّ اذا تعمّد ذلك كزهير ، فقد كان لا ينشد بعض قصائده حتى يحول عليها الحول . كما سترى ذلك في الكلام على شعره ، ان شاء الله .

وقد طرق الشعراء في هذا العصر ابواباً كثيرة كالمدح والهجاء والفخر والحماسة وضرب الامثال . فصاغوا ذلك كله في قالب الإجادة والابداع .

وكانوا يأبون الاجازة عليه حتى جاء النابغة الذبياني وزُهير والاعشى فقبلوها . وكان اول من سنّها النابغة . فأَنِفت الناس من قول الشعر بعض الأنفة . الاّ ان ذلك لم يحطّ من قدره لقلّة من فعل ذلك من الشعراء في الجاهلية .

ونهضة الشعر في هذا العصر تتناول مئة وخمسين (١٥٠) سنة . يمتاز فيها برسم الحقيقة رسماً ناطقاً ، ووصفِ الشيء على عِلّاته ، وبيانه على طبيعته .

واجود ما قيل فيه المعلقات . وصفوة فحوله شعراؤُها .

اما الكلام المنثور فقد كان لهم فيه اليد الطولى كالمنظوم ، مابين مسجَّع ومرسل . وقد أُثِر عنهم منه شيء كثير مما يعلق بالضمير لنفاسته : كالامثال والحِكم والوصايا والخُطَب .

فالمثل جملة مقتطعة من القول او مرسلة ُتنقل عمّا وردت فيه الى مشابهه من غير تغيير . كقولهم : «الصيفَ ضيَّعتِ اللبن»

والحكمة هي قول يوافق الحق مصون عن الحشو : كقوله « المرء باصغريه قلبه ولسانه »

والفرق بينهما ان المثل لابدَّ فيه من واقعة حال قيلتْ فيهِ الجملة .
والخطابة جملة من القول يراد بها الترغيب فيما ينفع ، والتنفير مما يضر ، وربما حوت فخراً او غيره .
ومثلها الوصية الاَّ ان الخُطَب تكون في المجامع والمواسم ، والوصية لا تكون الا من مثل شخص لعشيرته اوولده ، اولدى الانتقال من حال الى حال .

الخط فيه

يجهل التاريخ تحديد الزمن الذى ابتُدي فيه باستعمال الخط العربي . غير انه يُرَجَّح ان اول من كتب بالعربية اليمنيون اصحاب (هود) عليه السلام . وكان خطّهم يُسمَّى (المُسْنَد) يكتبونه حروفاً منفصله — كما يكتب الافرنج لغتهم — ويحظرون على العامة تعلُّمَهُ . على انَّ ثلاثة من (طيّء) تمكنوا من ذلك . فاقتطعوا منه خطّاً سمَّوه (الجزم) وعلَّموه اهل الأنبار . وعن هؤلاء اخذه اهل الحيرة وتداولوه . فلماقدم حرب بن أُمَيَّة جد معاوية بن ابي سفيان الى الحيرة نقله الى مكة ونشره في الحجاز .

علوم العرب في جاهليتها

تقدَّم تقسيم العرب الى بائدة وغيرها ، فغير البائدة هم الذين تفرَّعوا من عدنان وقحطان . اما القحطانيون فهم عرب اليمن . وقد كانوا على حظ عظيم من العلوم والآداب ، وقدم راسخة في المدنية ، واصل عريق في الحضارة ، وحكومات شوروية منظَّمة . وقد استولوا على كثير من البلاد والعباد . وقد ذكر القرآن الكريم شيئاً من سياستهم الدَّوْلية

كالتي كانت بين مملكة فلسطين ومملكة سبأ . وقد ذكر ما كتب به سليمان عليه السلام الى بلقيس ، وما اشتغلت به من التدبير والمشورة ، وارسال الهدية لاستطلاع ما عسى ان يكون من الامر . وذلك قوله تعالى حكاية عنهما: « اذهبْ بكتابي هذا ، فألقِهِ اليهم ، ثمَّ تَولَّ عنهم ، فانظرْ ما ذا يرجعون . قالتْ : يا أَيها الملأُ ، أفتوني في امري ، ما كنتُ قاطعةً أمرًا حتى تشهدون » الى آخر القصة .

واما العدنانيون ، فقد كانوا على شريعة موروثة ، وهي ما جاء به ابرهيم واسماعيل عليهما السلام . الاَّ ان تطاول الدهور عليهم عدل بهم عمـا كانوا عليه . ولم يبقَ لهم الا بنات افكارهم من كل ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب والنسب والاخبار والانواء [1] والفِراسة [2] والـكِهانة [3] والعِرافة [4] والطِب والنجوم والحروب وبعض الطبيعيات والقِيافة [5] والعِيافة [6] والبيطرة وبعض الصناعات وغيرها مما ادركوه بفرط العناية والتجربة والذكاء . وهنالك اقوام من العرب لم نذكرهم في هذا الكتاب وذكرناهم في كتابنـــا (تاريخ علم الادب العربي) كانوا اهل مدنيات زاهرة ، وعلوم وافرة ، وقوة وسلطان ، وعظمة ورفعة شان: كالحمورابيين والمعينيين والنبطيين والتدمريين والكنعانيين والفينيقيين .

---

(١) الانواء هي الامطار ، ومفردها « نوء » . (٢) الفِراسة بكسر الفاء هي ادراك الاشياء بقوة الذكاء ووفرة الفطنة . واما الفَراسة بفتح الفاء فهي الحذق بركوب الخيل وامرها .

(٣) الكهانة هي القضاء بالغيب في الشؤون المستقبلة . (٤) العرافة هي القضاء بالغيب في الشؤون الماضية . (٥) القيافة قسمان : قيافة البشر وقيافة الاثر ، فالاولى هي التأمل في اعضاء الانسان وهيأته لاثبات نسبه واخلاقه ومواهبه . والثانية هي تتبُّعُ آثار الاقدام والاخفاف والحوافر للاستدلال على الضال والفار من الانسان والحيوان . (٦) العيافة هي زجر الطير فان ولَّت الزاجر ميامنها دلَّت على الخير ، وان ولته مياسرها دلت على الشر .

اللغة في صدر الاسلام

ان للقرآن الفضل العظيم على اللغة لاضطرار كل مسلم الى تفهمه والتأدب بآدابه . فقد زادت العناية بها في هذا الدور . ووفرت الهمة في درس القرآن الكريم وحفظه . ومدة هذا الدور اربعون (٤٠) سنة .

النثر والنظم فيه

لما جاء القرآن الكريم ، وظهر بهذا المظهر العجيب : من البلاغة الرائعة ، والمعاني السامية ، خفتت اصوات الخطباء ، وسكتت السنة الشعراء ، لما عراهم من الهيبة والروعة والدهشة . فصار الخطيب المصقع من يقتبس بعض آياته ليزيد كلامه رونقاً ، وخطابته بهجة .

اما الشعر فقد غفا غفوة لم تكن بالطويلة ، لدهش الشعراء من اسلوب القرآن من جهة ، ولاشتغالهم بالقرآن وآداب الدين والجهاد من جهة ثانية .

الخط فيه

كانت الكتابة قبل الاسلام قليلة الانتشار ، حتى بُعث النبي — صلى الله عليهِ وسلم — فانتشرت للحاجة اليها في كتابة الوحي والرسائل التي يُنفذها عليهِ الصلاة والسلام الى الملوك والامراء . وقد جاء في السيرة النبوية انهُ امر — عليه السلام — الاسرى [الذين كانوا عنده بعد غزوة بدر] ان يُعلِّم من لم يكن له فِداءٌ منهم عشرةً من صبيان المدينة الكتابةَ ، فانتشر الخط بعد ذلك ، خصوصاً ايام الخلفاء الراشدين .

اللغة في العصر الاموي

بعد ان اختلط العرب بغيرهم من الاعاجم بسبب الفتوح فشا اللحن في اللغة خصوصاً في الدولة الاموية . ولم يكن ذلك قاصراً على العامة والسُّوقة ، بل فشا الامر بين الخلفاء والأمراء ، حتى خِيف على اللغة والقرآن ، فكان من ذلك وضعُ القوانين التي تحفظ اللغة ، كما قدمنا .

النظم والنثر فيه

أثَّر القرآن في اللغة واهلها فنسجوا على مِنواله ، وضربوا على مثاله في الدعوة للدين ، والارشاد للخير ، فاصطبغت بصبغته ، وسارت في وجهته . ولذلك ترى النثر في الصدر الأول أبعد من الحشو والكلفة ، وأنزه عن اللغو والصنعة . وهو في عصر الامويين أجمل واكمل ، لتحدّيهم للقرآن ، وتوسّعهم في العمران ، وسموّهم في الخيال ، ورقيّهم في التصوُّر ، فاكتسبت الألفاظ مسحة البلاغةِ ورقّة الحضارة . وحسبك ان تقرأ كتبهم وخطبهم فتعلم ذلك .

واما الشعر فكان قد غفا قبل هذا العصر غفوةً أخمدت من جذوته ، وأضعفت من قوته ، لاشتغال القوم عنه بأمر الدين ، فمن داعٍ اليه ، ومن رادّ عليه . وما لبث ان أفاق ، فجَّمل الآفاق ، بما هزّ القلوب ، ولذّ المسامع . وقد ساعد على نهضته أن الدين أباحه ، والنبي سمعه واستنشده ، والخلفاء استمالوا الشعراء ، ووصلوهم على إنشاده ، وأدنَوْهم منهم على قدر

نصيبهم منه . فبلغ بذلك مبلغاً راقياً ومكاناً عالياً ، اما مدة هذا العصر فهي من بَدْء الخلافة الأَمويّة الى آخر عهدها ، اي نحو مئة عام الا قليلاً . ويمتاز فيها الشعر ببلاغة المعنى ومتانة المبنى . وشعراء هذا العصر والعصر الذي قبله إما مخضرمون ، وهم مَنْ ادركوا الجاهلية والاسلام ، كحسّان بن ثابت والخنساء وكعب بن زهير والحطيئة . وإما إسلاميون وهم من نشأوا في الاسلام ، كجرير والفرزدق والأخطل وبشّار ، وكلهم ارق ديباجة وأوفر بلاغة من شعراء الجاهلية .

الخطابة والرسائل فيه

لانجد فرقاً بين الخطابة في الجاهليَّة وبينها في صدر الاسلام إلاّ في رقّة التعبير ، ودقة التصوير ، وقوّة التأثير ، بما اكتسبته من القرآن . فقد كان جهد الخطيب ان يترسم خطوه ، ويحذو حذوه ، وان يرّصع خطبته ببعض آيهِ لتكون احسن في الموقع ، واخف على المِسمع .

ولما اتسع السلطان ، واستبحر العمران ، كثرت البواعث الى الخطابة ، وتشعَّبت اغراضها ، فرقت رقياً كبيراً يعرفه كل مُلِمٍ بخطب الخلفاء الراشدين وغيرهم كمعاوية وزياد والحجَّاج .

اما الرسائل فكانت في صدر الاسلام موجزة بليغة ، بعيدة عن الصنعة وإعنات القريحة . ولكنها اختلفت كثيراً في اواخر الدولة الاموية إذ اطالوها وتعمَّدوا التنميق ، فظهرت فيها الصنعة والكلفة . والبادئ بذلك هو عبد الحميد الكاتب ، زعيم الطبقة الثانية من الكتّاب .

الخط فيه

انتشرت الكتابة في هذا العصر وكان الباعث على انتشارها حاجة الدين اليها ، وانتقال الدواوين من الفارسيَّة والروميَّة والقبطيَّة الى العربيَّة ، بعد ان أستوسق لهم الامر ، وامكنهم النظام .

واول ما كُتِب بالعربية القرآن خالياً من الاعجام ، حتى فشا اللحن فوضع له ابو الاسود الدُّؤليّ علامات الإعراب في اواخر الكلمات . ثم جاء نصر بن عاصم وبعده الخليل ابن احمد فتمَّما بقية الاعجام .

وكان المستعمل في ذلك العصر من الخط نوعين احدهما (الجزم) المسمى بعدُ بالكوفيّ ، كان يستعمل في كتابة المصاحف وما يُطلب تجويده ، وثانيهما اصل خط (النسخ) ، وكان يستعمل في الكتابة العادية كالرسائل ونحوها .

العلوم والمعارف فيه

لقد كان حظّ العلوم من هذا العصر حظّ الشعر منه ، فما كانوا يعرفون منها إلاَّ ما كان ضرورياً موروثاً كالطب . وما كاد يستتبّ لهم الأمر في اواخر الدولة الاموية حتى صرفوا للعلم ، وجوههم وفتحوا له صدورهم ، فترجموا كثيراً من كتب العلم والصناعة ، ودوّنوا الحديث ، واستنبطوا الأُصول ، ووضعوا شيئاً في التاريخ وعلم العربية . ولا ينسى التاريخ ما للخلائف من بني أُميــة من عظيم الطَّول وجزيل الفضل على اللغة واشعارها واخبارها ، فقد حفظوا كيانها وجمَّلوا بيانها بما نفثوه من سحر كلامهم وبدائع اقلامهم .

اللغة في عصر الدولة العباسية

بزغ هلال الدولة العباسية ، وألوية الممالك العربية خفَّاقة ما بين الهند والصين ، والمسلمون مبثوثون في الارض ، يستعمرون ويستثمرون ، واللغة مشاركتُهم في الانتشار والنمو. فاتسعت دائرتها باصطلاحات العلوم والفنون ، وزهت آدابها بزهو النهضة العلمية ، وكثر المتكلمون بها ، فكثر فيها الدخيل ، وزاد اللحن والتحريف . وما كاد ينتصف عليها القرن الرابع حتى اخذ بدرُها في الافول ، وغصنها في الذبول ، لتغلُّب العجم على الممالك العربية . فلولا القرآن وما دُوِّن بها من العلوم لَأُنمحى رسمها ، وخفيَ اسمها .

النظم والنثر فيه

لقد كان رقيُّ النثر في هذا العصر عظيماً ، اذ دوَّنوا به ما وضعوه وما نقلوه من العلوم ، وصرَّفوه في انواع الرسائل والتحرير ، وكثير ما هي في عصر الحضارة والمدنية . ولم يغضّ منه ما دخله من التكلُّف ، فقد كان مستترًا بحسن السبك وإِحكام الصنعة ، ولكنه ضَعُفَ بضعف الخلافة ، فأَكثر الكتاب حينئذ من السجع ونحوه ، ولَهَوا بالالفاظ عن المعاني ، حتى الَّفوا بعض كتبهم مسجعة كتاريخ (العتبي) وغيره . وأَشهر كتاب هذا العصر الجاحظ وابن العميد والصابي والخوارزمي والبديع والحريري .

أَمَّا النظم فقد أثَّرت حضارة الدولة في خواطر شعرائها ، فجالوا في الشعر جولة لم تتوفّر اسبابها لأسلافهم . فلقد تفنّنوا فيه ، وتصرّفوا في معانيه بقوة نادرة ، ورقة ظاهرة ، لِمَا علق بالنفس وأثر في الحس من آثار الامم التي تغلَّبوا عليها ، ومظاهر المدنية التي توصلوا اليها . وما زال الشعر آخذاً مأخذه من الصعود حتى تجرَّم القرن الثالث ففقَد تأثيره ، واخذ عدد الشعراء يقلّ ، حتى انتهوا بالطغرائيّ . ثم خلف من بعدهم خَلَف اجادوه وإن لم يبلغوا شأوهم وكان خاتمتهم صفيّ الدين الحلِيّ .

وشعراء هذا العصر يسمَّون بالمولَّدين . وشعرهم يمتاز بالسلاسة والنفاسة وجمعِ الكثير من التشبيه والمجاز والكناية . ولا سيما المتأخرون منهم ، فقد أوغلوا في ذلك حتى لا تقرأ لهم إلاَّ الفاظاً منمَّقة ، دونها معنى مرذول ، أو غاوٍ مملول .

واشهر شعراء هذا العصر ابو نُوَاس وابو تمَّام والبحتريّ والمتنبي والشريف الرضي وابو العتاهية والمعريّ وابو فراس والطغرائي .

الخط فيه

لقد كان للخط نصيب من الرقي في هذا العصر الذهبي . اذ اخترعوا له الاقلام المختلفة ، واخذوا في تحسينه ، حتى جاء الوزير ابن مقلة فابتدع من الخط الكوفي نوعاً منه سماه بالبديع وهو خط النسخ . ثم جاء ابن هلال فزاده حسناً حتى حلّ محلّ الكوفي . ولاقى عناية من الترك فرقَّوه كثيراً وابتكروا خطَّيِ (التعليق) و(الرقعة) كما ترى الآن . وكثير من اللغات يُكتب به كالعربية والتركية والفارسية والافغانية وغيرها .

العلوم والمعارف فيه

لا يعلم التاريخ فيما يعلم عصراً اشتهر بالعلوم ، وازدهر بالآداب ، كهذا العصر الزهيّ البهيّ . فلقد عُنِيَ خلفاؤه وعلماؤه بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها . وكان اول ما دونوه علوم الدين والعربية ، وما ترجموه علومَ الرياضة . بدأ ذلك ابو جعفر المنصور الذي أنشأ المدارس للطب والشريعة ، وتُرجم في زمنه كتاب (اقليدس) فى الرياضة . وكذلك فعل الرشيد فألحق بكل مسجد مدرسة عامّة . وتُرجم في عهده كثير من الكتب اليونانية في كثير من الفنون . وما تبوّأ المأمون عرش الخلافة حتى استعر أُوار هذه النهضة ، برفعه شأن العلماء ، واجزالهِ صِلَةَ المترجمين . فتفجرت ينابيع العلوم ، وعكف اهل الفضل على النظر فيها ، فاخترعوا واكتشفوا ما لا يجهله العالم ، ولا ينكره التاريخ . من ذلك اكتشافهم قوانينَ لثقل الأجسام مائعها وجامدها ، واختراعهم (الخطّار[1]) للساعة والبوصلة البحرية اي (بيت الابرة) . وهم الذين بدأوا باستعمال الساعات الدقّاقة الدّالة على اقسام الزمن ، ووضعوا علم الكيمياء الحقيقية ، وألّفوا الارصاد والازياج الفلكية ، وحسبوا الكسوف والخسوف ، ورصدوا الاعتدال الربيعي والخريفي ، وغير ذلك مما لا يتسع له صدر هذا المختصر .

---

(١) الخطّار : وهو المعروف بين العامة بالبندول او الرقّاص .

اللغة في عصر الدول المتتابعة [1]

ليس في هذا العصر – عصر التقليد والانحطاط – ما يلفت النظر، فان الدول العربية قد دالت، واللغة قد زالت، الاّ قليلاً مسطورًا في كتب العلم والدّين، او مذكورًا على ألسنة علمائها، وقليلٌ ما هم. والشعر قد انطفأ نوره، وقلّ ظهوره، لقلة المستمعين الى اهله، والعارفين بفضله، من ملوك العجم المتغلبة في الشرق. فكان كالعلم زاوياً في (فارس) وماوراء النهر زاهياً قليلاً في بلاد العرب ومصر [بفضل الجامع الازهر] والشام، تبعاً مصر. فلم تخلُ الارض في كل قرن من عالم عربيّ كبير، او شاعر خطير [كابن نباتة المصري وابن الوردي وابي الفداء وابن خلدون وابن منظور صاحب لسان العرب وغيرهم] ممن كانوا نجوماً في هذه السماء الداجية، واعلاماً في هذه المفازة النائية.

---

(١) تبتدئ مدة هذا العصر من سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ وتنتهي باستيلاء محمد علي باشا على مصر سنة ١٢٢٠ هـ.

اللغة في العصر الحديث

واذا رأيتَ من الهلالِ نُموّهُ أيقنتَ أنْ سيكونُ بدراً كاملا

تبتدئ مدة هذا العصر من استيلاء (محمد علي باشا) على مصر سنة (١٢٢٠) للهجرة اي منذ عشر سنين ومئة (١١٠) من تاريخ عامنا هذا ، وهو اواخر (ذي الحجة سنة ١٣٣٠ ه) .

. . . . . .

بعد ان سقطت اللغة وآدابها في عصور الدول المتتابعة في تلك الهُوّة السحيقة ، حتى اشفت على الدثور ، واشرفت على الهلاك ، اخذت في هذا العصر تنهض من كبوتها ، وتُقال من عثرتها . فقد شُيِّدَ لها في القطرين (المصري والشامي) دُورٌ رفيعة البنيان ، سامية المنار . واقبل على تعلُّمها وتعليمها كثير من الناس ، فاخذت روح حياتها تعاودها شيئاً فشيئاً .

وقد زاد في تعاليها والاقبال عليها ما تُرجم اليها من الكتب العلمية في الفنون المختلفة ، بعد ان ولّى القوم وجوههم شطر الديار الغربية لتلقّي العلوم الحديثة . فاقبلوا على التأليف والترجمة ، وافتتاح دُورِ العلم ، وبثِ روح النهضة في الامة ، حتى غصّت — خصوصاً في هذه الآونة الاخيرة — دُورُ العلم بالطالبين والطالبات ، وذلك مما يحمل المرء على الاعتقاد بان الحياة قد اشرقت كواكبها بعد تلك الدياجي المتراكمة .

النظم والنثر فيه

قد اخذ النظم والنثر في هذا العصر بالترقي شيئاً فشيئاً . ولا سيما في هذه الايام ، وما قبلها بنحو ثلاثين سنة . فقد وُجِد قوم أَرجعوا الانشاء الى سالف عهده من المسحة العربية . والاساليب الصحيحة . والمعاني السامية . وكان الفضل في ذلك لشيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، واستاذه الاشهر السيد جمال الدين الافغاني ، والشيخ ابراهيم اليازجي . ثم كثر بعدهم الكتَّاب متحدين اسلوبهم ، ناسجين نسجهم . وقد انجبوا من التلاميذ وتلاميذ التلاميذ ما يعزّ حصره .

وفي مصر وبر الشام وغيرهما من الاقطار العربية اليوم كثير من المبرّزين في حَلْبة الانشاء يضيق صدر هذا الموجز دون تعداد القليل منهم .

واما الشعر فقد سار مع الانشاء جنباً لجنب ، خصوصاً في هذه الايام التي كثر فيها الشعراء المجيدون الذين رجعوا بالشعر الى عهده المجيد . فنظموا من المعاني الاجتماعية والفلسفية والحماسية والشعرية عقوداً يفتخر بها نحر العصر الى ابد الدهر ، كلّ ذلك باسلوب عربي ترتاح اليه النفوس ، وتصبو نحوه العقول .

ولا يخلو العصر الحاضر من بعض كتَّاب وشعراء يخالف اسلوبهم اسلوب العرب ، وينحون بتراكيبهم منحى الانشاء الافرنجي [إما عن جهل بالاساليب الصحيحة ، واماَّ عن اعتقاد بان ذلك افضل] واني ارى انه يُخشى من سريان عدوى هؤلاء الى الانشاء العربي والشعر الجزل .

فعسى ان يقلعوا عن هذا العمل – ان كانوا عرباً – حرصاً على ديباجة اللغة ، ورأفةً بأُمهم الحنـون ، ونحن لهم من الشاكرين . فان ابو الاّ المشاغبة فاني أُحيلهم على المقال الذي كتبته في (اريج الزهر) فان فيه مقنعاً لهم على ما اظن .

ومما ينعش الآمال ، ويُحيي الرجاء أَنَّ كثيراً من المدارس اخذت تُعني باللغة العربية وآدابها ، وتبذل الوسع في إنهاضها . وان لنا في كلية (الجامعة المصرية) آمالاً كباراً . فقد علمنا انها لاتألوا جهداً في احياء دوارس اللغة ، والسعي نحو ترقيتها ، بالقاء المحاضرات ، وتأليف الكتب ، وارسال الطلاب على نفقتها الى الجوامع الاوربية . اخذ الله بيد كل من يعمل لاحياء هذه اللغة ، ويسعى بانعاشها .

اما ما يسعى اليه بعض الذين استهواهم التفرنج من المسلمين غير العرب ، من بذل الجهد وراء ترجمة القرآن الكريم الى لغتهم ليقرأُوه بها ، فان هـذا – وان كان لايضير العرب والعربية شيئاً – فانَّا نراه مخالفاً للدين ، مضيِّعاً للمقصد الاعظم الذي جاء له النبي عليه الصلاة والسلام . ولعمري لا يسعى بذلك الا من فيه عرق من مجوسيـة . والمسلم كل المسلم – اية كانت لغته اوجنسيته – هو من يسعى في احياء اللغة العربية ، ويعمل على ترقيتها ، وتكثير سواد المتكلمين بها . فانه بذلك يخدم الاسلام خدمة جُلَّى . ينال فيها الاجر ، وحسن الذكر ، في الدنيا والاخرة .

وقد آن لنا ان نختم هذا الفصـل . ونشرع فيما قصدنا اليه . وهو الكلام على رجال (المعلقات) . وبالله المستعان .

تنبيه

ان اعتمادنا على ما نذكره من الكلام على المعلقات ورجالها واشعارهم وما يتبع ذلك من تاريخ العرب هو على (الاغاني) و (خزانة الادب) للبغدادي و (العقد الفريد) لابن عبد ربه و (شرح شواهد المغني) للسيوطي وشروح المعلقات ودواوين (زهير) و (طرفة) و (النابغة) و (الشعر والشعراء) لابن قتيبة و (تاريخ آداب اللغة العربية) لجرجي زيدان و (آداب اللغة العربية) للمرصفي وتاريخ (ابي الفدا) وتاريخ (المسعودي) . غير ان جلّ الاعتماد وكثرة المأخذ انما هما عن (الاغاني) و (خزانة الادب) .

المعلّقات

المعلقات هي قصائد قد اختارها العرب من شعر فحولهم، وذهّبوها على الحرير، وناطوها بالكعبة تشريفاً لها، وتعظيماً لمقامها، واعترافاً بحسن سبكها، حتى اصبحت العرب تترنّم بها في انديتها .

واختلف اصحاب الاخبار في شأن هذه المعلقات، فقال بعضهم : ان العرب قد بلغ من تعظيمهم اياها أَنهم علقوها باستار الكعبة . وانكر ذلك بعضهم واكبرَه . واقدمُ من انكره ابو جعفر النحاس النحوي . واكثر العلماء يذهب الى انها علقت في الكعبة . قال ابن عبد ربه : [وكان معاصراً لابن النحاس وتوفيَ قبله سنة ٣٢٨ هـ] « وقد بلغ من كَلَف العرب به (اي بالشعر) وتفضيلها له أَنْ عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلّقتها باستار الكعبة، فمنه ما يقال له : « مُذَهّبة امريءُ القيس » و « مُذَهّبة زُهير » . والمذَهّبات سبع، ويقال لها (المعلّقات) .

وقد أيّد اخبار تعليقها في الكعبة كثير من الناس في اعصر مختلفة . منهم ابن رشيق صاحب كتاب (العمدة)، وهو من اكبر نَقَدَة الشعر . ومنهم ابن خلدون الاديب المؤرخ المشهور .

اصحاب المعلقات

قد اختلف الرُّواة في عدد المعلَّقات واصحابها ، فمنهم من يجعلها سبعاً ، واصحابها هم : امرؤُ القيس وطَرَفة بن العبد وزُهير بن ابي سُلمى ولَبيد بن ربيعة وعمرو بن كُلثوم وعنترة بن شدّاد والحارث بن حِلِّزة اليشكري . وبعضهم يجعلها ثمانية ، ويضيف الى اصحابها النابغة الذبياني . وبعضهم يجعلها عشرة ، ويضيف اليهم الاعشى ميموناً وعَبِيد بن الابرص . وعلى انهم عشرة درجنا في كتابنا هذا .

اشعر شعراء المعلقات

ما برح الخلاف بين المتأدبين — قديماً وحديثاً — فيمن هو اشعر الشعراء في الجاهلية . ولهم في ذلك مذاهب . على انهم قد اتفقوا او كادوا على تقديم شعراء المعلقات . وذكروا ان اشعر هؤلاء ثلاثة ، وهم : امرؤُ القيس وزهير بن ابي سُلمى والنابغة الذبياني . قال ابو عبيدة : « اشعر الناس اهل الوبر خاصة ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة . وفي الطبقة الثانية الاعشى ولبيد وطَرَفة » .

وقد اختلفوا فيمن هو اشعر الجميع . فقال الفرزدق : « امرؤ القيس اشعر الناس » . وقال جرير : « النابغة اشعر الناس » . وقال ابن مقبل : « طَرَفة اشعر الناس » . وقال ابن احمر : « زُهير اشعر الناس » . وقال

الكُميت: « عمرو بن كُلثوم اشعر الناس » . وقال ذو الرمة : «لبيد اشعر الناس» . وقال الاخطل : «الاعشى اشعر الناس» والراجح ماقال ابو عبيدة: «امرؤُ القيس ثم زهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطَرَفة » .

وقد قالوا : « اشعر الشعراء اربعة : زُهير اذا طَرِب ، والنابغة اذا رَهِب ، والاعشى اذا غضب ، وعنترة اذا كَلِب ، اي غضب »

وقالوا : « ان امرأ القيس صاحب النصيب الاوفر في الشعر ، لان الشعر في تعبيرهم كان جملاً فَنِحرَ ، فاخذ امرؤ القيس رأسه . وان زهيراً يمتاز بانه لا يعاظل بين كلامين ، ولا يتتبَّعُ وحشيَّ الكلام ، ولا يمدح احداً بغير ما فيه . ولشعره ديباجة ان شئت قلت : « شهدٌ ان مَسَسْتَهُ ذاب » وان النابغة اوضح الشعراء معنى ، وابعدهم غاية ، واكثرهم فائدة . وان الاعشى امدحهم للملوك ، واوصفهم للخمر ، واقدرهم شعراً ، واحسنهم قريضاً . وان لبيداً اقلُّهم لغواً . وان عمرو بن كلثوم أعزُّهم نفساً ، واكثرهم امتناعاً ، واجودهم واحدة . وان طَرَفة اشعرهم : اذ بلغ — على حداثة سنه — ما بلغه القوم في طول اعمارهم » .

قال ابن عبد ربه : اختلف الناس في اشعر الشعراء . قال النبيُّ [صلى الله عليه وسلم] وقد ذُكر عنده امرؤُ القيس بن حُجر : « هو قائدهم وحامل لوائهم » وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غَطَفان : من الذي يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ [1]

---

(١) الريبة : الشك .

قالوا : هو نابغة بني ذُبيان . قال لهم فمن الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِياً خَلَقاً ثِيَابِي ،
عَلَى وَجَلٍ ، تُظَنُّ بِيَ ٱلظُّنُونُ [١]

فَأَلْفَيْتُ ٱلأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا .
كَذٰلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا : هو (النابغة) . قال : « هو اشعر شعرائكم » .

وقال عمرو بن العلاء : طرفة اشعرهم واحدة . يعنى قصيدته :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ، تَلُوحُ كَبَاقِي ٱلْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ ٱلْيَدِ [٢]

وفيها يقول :

سَتُبْدِي لَكَ ٱلأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ، وَيَأْتِيكَ بِٱلأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وأُنشِدَ للنبيّ [صلى الله عليه وسلم] هذا البيت ، فقال : « هو من كلام النبوّة »

---

(١) الثوب الخَلَق : هو البالي . والوجل : الخوف

(٢) سيأتي تفسيره في معلقته .

١ امروء القيس بن حُجر

توفي سنة (٨٠) قبل الهجرة . وقيل سنة (٥٦٠) لميلاد المسيح عليه السلام . والفرق بين الروايتين زهاء (٢٠) سنة

هو : ابو وهب او ابو الحارث او ابو زيد، امروءُ القيس بن حُجُر بن الحارث بن عمرو بن حُجرٍ آكلِ المُرار [1] الكندي، الشاعر المشهور من فحول شعراء الطبقة الأُولى، ويتصل نسبه بملوك كِنْدة وهم بطن من كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

وامه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَير، اخت كُلَيب ومُهلهِل ابنيْ ربيعة التغلبيَّين .

ويقال له الملك الضِلّيل وذو القروح .

شيءٌ عن قومه

كان قومه يقيمون في (المشقَّر) من ارض اليمامة . ويقال : بل كانوا ينزلون في حصن بالبحرين ثم أَجلوا عنه الى حضرموت . وقد أَقاموا هناك دهراً يتولّون اعمال الدولة على عهد التبابعة الحِميريّين . وقد ضاع اكثر اخبارهم . واقدمُ من عُرفت اخباره حُجر آكل

---

(١) المرار، بضم الميم : نبات من افضل العشب واضخمه، اذا اكلته الابل قلصت مشافرها . وانما قيل لحجر : « آكل المرار » لِكثيرٍ كان به .

المُرار جدُّ امريء القيس صاحب المعلّقة . وقد نزح حُجر هذا الى نجد ، ونزل (بطنَ عاقل) في اوائل القرن الخامس لميلاد المسيح عليه السلام .

وذلك انه لما تسافهت ابناء بكر بن وائل ، وغلبها سفهاؤُها ، وتقاطعت ارحامها ، ارتأى رؤَساؤهم ، فقالوا : « ان سفهاءَنا قد غلبوا على امرنا ، فأَكل القويُّ الضعيف ، ولا نستطيع تغيير ذلك . فنرى ان نُملِّك علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوي ، ويردُّ على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن ان يكون من بعضْ قبائلنا فيأباه الآخر ، فتفسد ذات بيننا ، ولكنَّا نأتي (تُبَّعاً) فنُملِّكه علينا » فأَتوه فذكروا له امرهم . فملَّك عليهم حُجُراً آكل المُرار الكندي . فقدم ، فنزل بطن عاقل . ثم غزا ببني بكر بن وائل ملوكَ الحيرة اللخميين [وهم المناذرة ملوك العرب وواحدهم (المنذر) وكانوا قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ، ولا سيما بلاد بكر بن وائل] حتى انتزع عامة ما في ايدي هؤلاء الملوك وردَّهم الى اقاصي اعمالهم . قيل : وغزا بهم ايضاً ملوك الشام وهم الغسَّانيون .

ولما ملك حُجُر سدَّدَ أُمورهم وساسهم احسن سياسة حتى مات في اواسط القرن الخامس الميلادي .

ولمَّا مات خلفه ابنه عمرو بن حُجر وهو (المقصور) وسميَ المقصور لانه اقتُصِرَ على ملك ابيه ، اي أُقعد فيه كرهاً .

فلمَّا مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو . فكان شديد الملك ، بعيدَ

الصيت . وفي ايامه فتح الاحباش اليمن ، فضعف امر دولته . فوجّه عزيمته نحو اللّخميين لينتزع الملك منهم . وكان يحسدهم لمنزلتهم عند الاكاسرة . وكان كسرى (قَبَّاذ) قد تغيّر على المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك العرب ، فاغتنم الحارث تغيُّرَ كسرى عليه ، واخذ يسعى بالتقرُّب منه .

مذهب المزدكيــة

وقد ذكروا في سبب تغيُّر كسرى قَبَّاذ على المنــذر بن ماء السماء انه قد خرج في ايامه رجل يقال له (مَزْدك) فدعا الناس الى الزندقة ، واباحة الحرم ، وان لا يمنع احد منهم اخاه ما يريده من ذلك . وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملاً على الحيرة ونواحيها . فدعاه قَبَّاذ الى الدخول معه في ذلك فأبى . فدعا الحارث بن عمرو فأجابه ، فشدّد له ملكه ، واطّرد المنذر عن مملكته ، وغلب على ملكه . فعظم الحارث عند القبائل ، وجعلوا يتقرّبون اليه بالطاعة . فلما تفاسدت القبائل من نزار اتاه اشرافهم ، فقالوا : « انا نخاف ان نتفانى مما يحدث بيننا فوجّه معنا بنيك ينزلون فينا ، فيكفّون بعضنا عن بعض » ففرّق ولده في قبائل العرب . وكان له خمسة اولاد . فملّك ابنه (حُجرًا) ابا امرئ القيس صاحب المعلقة على بني اسد وغَطَفان . وفرّق اولاده الاربعة وهم شُرَحبيل قتيل يوم الكــلاب [1] ، ومعديكرب وهو (غُلفي)

---

(١) يوم الكلاب

يوم الكلاب : هو يوم من ايام العرب ، ويوم الكلاب يومان : الكلاب الاول والكلاب الثاني . والمراد به هنا يوم الكلاب الاول . وكان هــذا اليوم لسلمة بن الحارث بن —

[سُمِّي بذلك لانه كان يغاف رأسه] وعبد الله وسلمة ، على قبائل العرب يحكمون فيهم .

غير ان الحال لم تدم للحارث بن عمرو . بل قد قلب له الدهر ظهر المجنّ . فقد نُكب ثم قُتل .

وقد ذكروا في سبب نكبته ان أمَّ (انو شروان) كانت يوما بين يدَيْ كسرى قَبَّاذ — وهي امرأته — فدخل عليه مزدك الزنديق السالف الذكر ، فلما رأى أمَّ انو شروان قال لقبَّاذ : « ادفعها اليَّ لاقضي حاجتي منها » فقال له : « دونكها » فوثب اليه انوشروان ، فلم يزل يسأله ويضرع اليه ان يهب له أمه ، حتى قبَّل رجله . فتركها له . فكانت تلك في نفس انو شروان .

قتل المزدكيين

فلما هلك (قَبَّاذ) وهو على تلك الحال من الزندقة ، وملك بعده انوشروان ، وهو الملقَّب بالعادل ، جلس في مجلس الملك .

وبلغ المنذر هلاك قبَّاذ ، فأَقبل الى انوشروان . وقد علم خلافه على ابيه فيما كانوا قد دخلوا فيه . فاذن انوشروان للناس . وكان

— عمرو المقصور على اخيه شُرحبيل بن الحارث بن عمرو . وذلك ان سلمة وشرحبيل ابنيْ الحارث ابن عمرو المقصور قد اختلفا بعد موت ابيهما على الملك . فتواعدا (الكلاب) وهو اسم ماء في بلادهم .

فاقبل شُرحبيل في ضبة ، والرباب ، وبني يربوع ، وبكر بن وائل ، واقبل سلمة في تغلب ، والنمر ، وبهراء ، وسعد بن زيد مناة ، والصنائع ، ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة . فالتقوا على (الكلاب) واستحرَّ القتل في بني يربوع وشدَّ ابو حنش على شُرحبيل بن الحارث ابن عمرو فقتله — وكان شُرحبيل قد قتل حنشاً ابنه — فاراد ابو حنش ان يأتي برأسه الى اخيه سلمة فخافه فبعث به مع رجل غيره . فلما رآه سلمة دمعت عيناه . فلما علم بذلك ابو حنش هرب عنه

فيمن دخل عليه مزدك الزنديق صاحب ابيه . ثم دخل عليه المنذر . فقال انو شروان : « اني كنت قد تمنّيت أُمنيّتين ارجو ان يكون الله قد جمعهما لي » . فقال مزدك : « وما هما ايها الملك ؟ » . قال : « تمنّيت ان املك فأَستعملَ هذا الرجل الشريف يعني المنذر ، وان اقتل هؤلاء الزنادقة » . فقال له مزدك : « أوَ تستطيع ان تقتل الناس كلهم ؟ » قال : « انك لَهٰهنا يا ابن الزانية ؟ والله ما ذهب نتنُ ريحِ جوربك من انفي منذ قبّلت رجلك الى يومي هذا » وامر به فقُتل وصُلب . وامر بقتل الزنادقة ، فقُتل منهم ما بين (حاذر) الى (النهروان) الى (المدائن) في ضحوة واحدة مئة الف زنديق ، وصلبهم وسُمي يومئذٍ (انوشروان) .

ثم طلب انو شروان الحارث بن عمرو [الذي تابع اباه على الزندقة حتى ولاّه مكان المنذر] فبلغ الحارثَ ذلك وهو بالانبار[1] — وكان بها منزله — فخرج هارباً في هجائنه وماله وولده . وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبهراء[2] وإِياد . فلحق الحارثُ بارض كلب فنجا . وانتهبوا ماله وهجائنه . واخذت بنو تغلب ثمانية واربعين نفساً من بني حُجر

---

(١) الانبار : مدينة على الفرات غربي بغداد . وانما سُمّيت بذلك لانها كانت مستودع الطعام . وهي في الاصل جمع (نِبْر) بكسر النون وسكون الباء . ومعنى (النبر) بيت التاجر الذي ينضّد فيه المتاع والغلال . وجمع (الانبار : انابير وانبارات) فهي جمع الجمع . وقد يُطلق (الانبار) على الواحد . وهو عربي . وقيل : ان (الانبار) فارسي معرّب . ويقال : انبر الانبار اي بناه . واصل معنى (النَّبْر : الرفع) ، يقال : « نبر الشيء اذا رفعه ، ونبر المغني : رفع صوته . ونبر فلاناً : اذا زجره وانتهره » ولا يكون ذلك الا برفع الصوت . وسُميَ (الانبار) بذلك لان الطعام او الامتعة تكون فيه منضَّدة موضوعاً بعضها فوق بعض . ولذلك نرجّح – وان لم يكن لنا حق الترجيح – قول من قال : انها عربية وليست معرّبة .

(٢) النسبة الى بهراء « بهراني » على غير قياس .

فقال : « الخمر عليَّ والنساء حرامٌ ، حتى اقتلَ من بني اسدٍ مئة وأَجزّ نَواصي مئة . وفي ذلك يقول :

أَرِقْتُ ، وَلَمْ يَأْرَقْ لِمَا بِيَ نَافِعٌ ، وَهَاجَ لِيَ ٱلشَّوْقَ ٱلْهُمُومُ ٱلرَّوَاجِعُ

قال ابن الـكلبي : ان حُجراً كان قد طرد امرأ القيس ، وآلى ان لا يقيم معه أَنَفَةً من قوله الشعر . فكان يسير في احياء العرب ، ومعه اخلاطٌ من شُذّاذ العرب من طيّءٍ وكلب وبكر بن وائل . فاذا وجد غديراً او روضةً او موضع صيد اقام وذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيَّد ، ثم عاد فأَكل وأَكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنَّته قِيانُه (1) . ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، فينتقل عنه الى غيره . فأتاه خبر ابيه وهو في (دمُّون) من ارض اليمن . فلما اتاه الخبر قال :

تَطَاوَلَ ٱللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ دَمُّونُ ، إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ
وَإِنَّنَا لِأَهْلِهَا مُحِبُّونْ

ثمَّ قال : « ضيّعني صغيراً ، وحمَّلني دمهُ كبيراً . لا صحوَ اليومَ ، ولا سُكر غداً . اليوم خمر ، وغداً امر » . فذهبت مثلاً . ثم قال :

خَلِيلَيَّ مَا فِي ٱلْيَوْمِ مَصْحىً لِشَارِبٍ ، وَلَا فِي غَدٍ إِذْ ذَاكَ مَا كَانَ يُشْرَبُ

ثم شرب سبعاً . فلما صحا آلى ان لا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمراً ،

---

(1) القيان : جمع قينة وهي المغنية .

ولا يدَّهِنَ بدُهن ، ولا يُصيبَ امرأةً ، ولا يغسلَ رأسه من جنابة ، حتى يُدركَ بثأره .

فلمَّا جنَّهُ الليل رأى برقاً ، فقال :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلّْ ،
يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى ٱلْجَبَلْ (١)

أَتَانِي حَدِيثٌ — فَكَذَّبْتُهُ —
بِأَمْرٍ تَزَعْزَعُ مِنْهُ ٱلْقُلَلْ : (٢)

بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ .
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ (٣)

فَأَيْنَ رَبِيعَةُ مِنْ رَبِّهَا ؟
وَأَيْنَ تَمِيمٌ ؟ وَأَيْنَ ٱلْخَوَلْ ؟ (٤)

أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ ،
كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا أَكَلْ

طرد ابيه اياه

قالوا : وكان امرؤُ القيس كثير التشبيب بالنساء والتغزُّل بهنَّ .

---

(١) السنا ضوء البرق خاصة (٢) القلل جمع قلّة وهي اعلى كل شيء .
(٣) ربهم سيدهم (الجلل) الامر العظيم الخطير ، والامر الهيّن اليسير . فهو من الاضداد . والمراد به هنا الامر اليسير (٤) الخول الخدم ، والمفرد (خَوْلِيّ) ومعناه الخادم الحسن الخدمة .

وكان ابوه حُجر يسوءه ذلك منهُ . فلما كان يوم (دارة جُلجل) واجتمع بفاطمة، وكان له معها ما كان مما قصَّه في معلَّقته، وانشد فيها قصيدته هذه، غضب ابوه عليه وارسله مع مولى له . فقال له : خذ امرأَ القيس واذبحه وائتني بعينيهِ» فاخذه الغلام وانطلق به . فلما أَصحرا [1]. خاف الغلام[2] : ان هو انفذ امر ابيه فيه عاودته الشفقة عليه بعد حين فيقتله به . فأطلقهُ واخذ جُؤْذَرًا [3] وامتلخ عينيه[4] واتى بهما حجرًا اباه . فحين رآهما ندم على ما كان منه . فقال الغلام : «أَبيتَ اللعن، اني لم اقتله» . قال : «فائتني بهِ» . فانطلق، فاذا هو قد قال شعرًا في رأس جبل، وهو :

فَلَا تَتْرُكَنِّي يَا رَبِيعُ لِهٰـذِهِ ، وَكُنْتُ أَرَانِي قَبْلَهَا بِكَ وَاثِقَا

فردَّه الى ابيه . فنهاه عن قوله الشعر . فمكث زمناً لا يقوله . ثم انه قال قصيدته التي مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا ٱلطَّلَلُ ٱلْبَالِي .
وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي ٱلْعُصُرِ ٱلْخَالِي ؟ [5]

---

(١) اصحرا صارا في الصحراء .

(٢) الغلام في اللغة هو من طرَّ شاربه . ويُطلق على الكهل ايضاً وهو من الاضداد . او هو الولد من حين يولد الى ان يشبَّ . والغلام ايضاً الاجير والخادم صغيرًا او كبيرًا . وهو المراد هنا . (٣) الجؤْذر بضم الذال وفتحها ولد البقرة الوحشية . (٤) اي انتزعها

(٥) عم صباحاً كلمة كان يتكلم بها العرب في الجاهلية وقت الغداة . وفي المساء يقولون «عم مساءً» . (الطلل) ما شخص من آثار الديار (العصر) الدهر، وهو مثلَّث العين . وضمَّت صاده تَبعًا لعينه . وانما اراد ان يقول «العُصْر» .

ومنها :

لَقَدْ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ ٱلْيَوْمَ أَنَّنِي
كَبِرْتُ ، وَأَنْ لاَ يُحْسِنَ ٱللَّهْوَ أَمْثَالِي[١]

وَيَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ
بِآنِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطُّ تِمْثَالِ[٢]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ ، وَأَهْلُهَا
بِيَثْرِبَ ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ[٣]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا — وَٱلنُّجُومُ كَأَنَّهَا
مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ — تُشَبُّ لِقُفَّالِ[٤]

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سُمُوَّ حَبَابِ ٱلْمَاءِ ، حَالًا عَلَى حَالِ[٥]

---

(١) بسباسة اسم امرأة من بني اسد .

(٢) الآنسة المرأة يؤنسك حديثها والمرأة الطيبة النفس (خط تمثال) اي تمثال منقوش والتمثال الصورة . (٣) تنورتها نظرت الى نارها (اذرعات) بلد في الشام . (يثرب) هي المدينة مدينة الرسول – عليه الصلاة والسلام – وكانت تسمى بذلك . (ادنى) اقرب ، اي ان الاقرب اليه من ديارها يحتاج الى نظرٍ عال عظيم لشدة بعدها عن اذرعات .

(٤) اليها الضمير يعود الى النار المفهومة من قوله (تنوّرتها) لان التنوُّر هو النظر الى النار (تُشبّ) توقد ، من شب النار اذا اوقدها . وضمير تشب يعود الى النار المعلومة من المقام لا الى المصابيح . فكأنه قال نظرت اليها تُشَب للقُفّال والنجوم كأنها مصابيح رهبان . و(القُفّال) الراجعون من السفر . (٥) سموت علوتُ ونهضت (حباب الماء) فقاقيعه التي تطفو عليه . (حالًا على حال) شيئاً بعد شيء

فَقَالَتْ : سَبَاكَ ٱللهُ ، إِنَّكَ فَاضِحِي :

أَلَسْتَ تَرَى ٱلسُّمَّارَ وَٱلنَّاسَ أَحْوَالِي (١)

فَقُلْتُ : يَمِينُ ٱللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ،

وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي (٢)

حَلَفْتُ لَهَا بِٱللهِ حِلْفَةَ فَاجِرٍ

لَنَامُوا • فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي (٣)

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا ، وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا

عَلَيْهِ ٱلْقَتَامُ ، سَيِّءَ ٱلظَّنِّ وَٱلْبَالِ (٤)

يَغِطُّ غَطِيطَ ٱلْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ ،

لِيَقْتُلَنِي ، وَٱلْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ (٥)

---

(١) السمَّار جمع سامر ، وهم من يجلسون للسمر اي للتحدُّث ليلًا . يقال منه سَمَر يَسْمُرُ ، وتسامر القوم . و(السامر) ايضًا مجلس السمَّار ، ومثله (السامرة) . (احوالي) اي حولي . وهو جمع حَوْل ، يقال منه (احوَل القومُ فلانًا) اي صاروا حوله .

(٢) ابرح الاصل لا ابرح على تقدير اداة النفي لان برح الناقصة لا تعمل عمل كان الّا بعد نفي اوشبهه كماهومعروف في النحو(الاوصال) جمع وصل ، وهوكل عظم يفصل عن آخر .

(٣) الفاجر : الكاذب (الصالي) هو من يصطلي النار اي يستدفئ بها . والفعل منه (صَلِيَ يَصْلَى) (٤) البعل : الزوج (القتام) الغبار (البال) القلب والنفس ، ورخاء العيش ، والحال . (٥) الغطيط : صوت يردّده الانسان في صدره ، يقال : غطَّ النائم يغطُّ غطيطًا (البكر) بفتح الباء : الفتيُّ من الابل ، بمنزلة الشاب من الناس ، والانثى (بَكْرة) — (الخِناق) بكسر الخاء : هو ما يُخنَق به من حبل او وَتَر او نحوهما . اما (الخُنَاق) بضم الخاء وفتح النون بلا تشديد فهو داء يمتنع معه نفوذ النفس الى الرئة والقلب . والعامة تغلط فتلفظه بتشديد النون .

أَيَقْتُلُنِي ؟ وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ،
وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ (١)

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعَنَنِي بِهِ ،
وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ ، وَلَيْسَ بِنَبَّالِ (٢)

ومنها :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِساً
– لَدَى وَكْرِهَا – الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي (٣)

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ
كَفَانِي – وَلَمْ أَطْلُبْ – قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ (٤)

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ .
وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي (٥)

وَمَا الْمَرْءُ – مَادَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ –
بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلِي (٦)

---

(١) المشرفي : السيف المصنوع في مشارف الشام وهي قرى من ارض العرب تدنو من الريف (المسنونة الزرق) هي النبال (٢) طعنه بالرمح يطعنه ، من باب نصر وفتح

(٣) الحشف : مايبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى .

(٤) قليل : رُفع لانه فاعل كفى . ومعنى البيت : «لو كان ما اسعى اليه هو ادنى المعيشة واقلها لكفاني قليل من المال ولم اطلب الملكَ » فمفعول اطلب محذوف وهو مفهوم من البيت بعده

(٥) الموءثل الذي له اصل ثابت (٦) الحشاشة بقية النفس (الخطوب) الامور ، واحدها خَطب (الآلي) المقصّر ، والفعل منه الا يألو . والمعنى ان الانسان مادام حيا لايدرك كل مايريد من الامور وان لم يقصّر في الطلب

فبلغ ذلك اباه فطرده . فما زال هائماً على وجههِ حتى بلغه مقتل ابيه وهو بدمّون . كما قدمنا .

وممّا قاله بعد ما بلغه قتل ابيه :

تَاللهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلَا ، حَتَّى أُبِيدَ عَامِرًا وَكَاهِلَا [1]

[أَلْقَاتِلِينَ ٱلْمَلِكَ ٱلْحُلَاحِلَا] خَيْرَ مَعَدٍ حَسَباً وَنَائِلَا [2]

نَحْنُ جَلَبْنَا ٱلْقُرَّحَ ٱلْقَوَافِلَا ، يَحْمِلْنَنَا وَٱلْأَسَلَ ٱلنَّوَاهِلَا [3]

وَحَيَّ صَعْبٍ ، وَٱلْوَشِيجَ ٱلذَّابِلَا . يَالَهْفَ نَفْسِي إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلَا [4]

ما كان من امره بعد مقتل ابيه

حدَّث سيبويهِ النحويُّ أَنَّ الخليل بن احمد اخبره ، قال :

« قدم على امريءِ القيس بن حُجر بعد مقتل ابيه رجال من قبائل بني اسد كهولٌ وشبّان ، فيهم المهاجر بن خداش وقَبيصة [5] بن نعيم .

---

(١) اراد بشيخه اباه ، والمراد لا يذهب دمه هدرًا (أبيد) أهلك . ويُروى ايضاً أبير وهي بمعناها (عامر وكاهل) هما حيَّان من بنى اسد (٢) الحلاحل السيد الشريف والزكي الرضيّ (خير معد) بدل من عامرًا وكاهلاً ، وهو بدل البعض من الكل ، لاصفة للملك ، لان الملك – وهو ابوه – ليس من معد ، وانما هو من كندة وكندة من اليمن يريد ان يقول انه لا يقتل بأبيه الّا اشراف معد وخيرهم ليكونوا شفاء من ثارة . (الحسب) ما يعدُّه الانسان من مفاخر آبائه (النائل) العطاء (٣) القرَّح : اراد بها الخيل . ومفردها قارح ، وهو في اللغة كل ذي حافر شقَّ نابه وطلع ، ولا يكون ذلك الّا في الخامسة من سنيه (القوافل) الضوامر من الخيل (الاسل) الرماح (النواهل) العطاش . والنهل يطلق على العطش وعلى اول السقي فهو من الاضداد (٤) الوشيج : المراد به هنا الرماح (الذابل) من صفات الرمح والجمع ذوابل وهي التي تكون لاصقة بقشرتها بعد جفافها (خطئن) بمعنى اخطأن . واكثر مايستعمل خطيء فيما يوجب الاثم (٥) اصل معنى القبيصة هو التراب –

فلما علم بمكانهم امر بإنزالهم وتقدَّم بإكرامهم والإفضال عليهم . واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا من حضرهم من رجال كندة . فقال : « هو في شُغلٍ شاغلٍ باخراج مافي خزائن حُجر من الحَلْقَةِ[١] والسلاح » . فقالوا : « اللهمَّ غفراً انما جئنا في امرٍ نتناسى به ذِكرَ ما سلف ، ونستدركُ به ما فَرَط . فَليُبَلِّغْ ذلك عنَّا » . فخرج عليهم امرؤُ القيس في قَباء[٢] وعِمامةٍ سوداء [وكانت العرب لاتعتمُّ بالسواد الاَّ في التِّرات[٣]] فلما نظروا اليه قاموا لهُ . وبَدَرَ اليه قبيصة ، وقال :

« إِنَّكَ فِي ٱلْمَحَلِّ وَٱلْقَدْرِ ، وَٱلْمَعْرِفَةِ بِتَصَرُّفِ ٱلدَّهْرِ ، وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَنْتَقِلُ بِـهِ أَحْوَالُهُ ، بِحَيْثُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَبْصِرَةِ وَاعِظٍ ، وَلَا تَذْكِرَةِ مُجَرِّبٍ . وَلَكَ مِنْ سُؤْدَدِ مَنْصِبِكَ ، وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ ، وَكَرَمِ أَصْلِكَ ، مَحْتِدٌ[٤] يَحْتَمِلُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ ٱلْعَثْرَةِ[٥] ، وَرُجُوعٍ عَنِ ٱلْهَفْوَةِ . وَلَا تَتَجَاوَزُ ٱلْهِمَمُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا رَجَعَتْ إِلَيْكَ ، فَوَجَدَتْ عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ ٱلرَّأْيِ ، وَبَصِيرَةِ ٱلْفَهْمِ ، وَكَرَمِ ٱلصَّفْحِ ، مَا يَطُولُ رَغَبَاتِهَا[٦] ، وَيَسْتَغْرِقُ طَلَبَاتِهَا . وَقَدْ كَانَ

— المجموع ، والشيء الذي تناولتَهُ باطراف اصابعك يقال : قبص الشيء ، اي تناوله باطراف الاصابع . ويقال في غير هذا المعنى : قبص فلاناً ، اي قطع عليه شربه قبل ان يروى

(١) الحلقة : هي الدروع خاصة او هي كل سلاح (٢) القَباء : ثوب يُلبس فوق الثياب او فوق القميص و يُتمنطق عليه (٣) الترات : جمع (تِرَة) وهي الثار والعداوة والحقد

(٤) المحتد : الاصل الكريم الخالص ، والجمع محاتد (٥) عثر فلان فأقاله : اي زلّت رجله وكبت فانهضته . واقالة العثرة : مجاز عن العفو والصفح عن الذنب

(٦) يطول رغباتها : اي يعلو و يزيد ويرتفع على ما ترغب فيه

مَا كَانَ مِنَ ٱلْخَطْبِ ٱلْجَلِيلِ ٱلَّذِي عَمَّتْ رَزِيَّتُهُ نِزَارًا وَٱلْيَمَنَ ، وَلَمْ تُخَصِّصْ بِذَٰلِكَ كِنْدَةُ دُونَنَا ، لِلشَّرَفِ ٱلْبَارِعِ ٱلَّذِي كَانَ لِحُجْرٍ : ٱلتَّاجُ وَٱلْعِمَّةُ فَوْقَ ٱلْجَبِينِ ، وَأَخَاءُ ٱلْحَمْدِ ، وَطِيبُ ٱلشِّيَمِ [1] . وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِٱلْأَنْفُسِ ٱلْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلَتْ كَرَائِمُنَا عَلَى مِثْلِهِ بِبَذْلِ ذٰلِكَ ، وَلَفَدَيْنَاهُ بِمِثْلِهِ . وَلٰكِنْ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا يَرْجِعُ أُخْرَاهُ عَلَى أُولَاهُ ، وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ . فَأَحْمَدُ ٱلْحَالَاتِ فِي ذٰلِكَ أَنْ تَعْرِفَ ٱلْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالٍ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنِ ٱخْتَرْتَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا ، وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ ٱلْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا ، فَقُدْنَاهُ إِلَيْكَ بِنِسْعِهِ [2] يَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقِي قَصَرَتِهِ [3] ، فَنَقُولُ : رَجُلٌ ٱمْتُحِنَ بِهُلْكِ عَزِيزٍ ، فَلَمْ تُسْتَلَّ سَخِيمَتُهُ [4] إِلَّا بِتَمْكِينِهِ مِنَ ٱلِٱنْتِقَامِ . وَإِمَّا فِدَاءٍ [5] بِمَا يَرُوحُ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعَمِهَا [6] ، فَهِيَ أُلُوفٌ تُجَاوِزُ ٱلْحِسْبَةَ [7] ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ فِدَاءً رَجَعَتْ بِهِ ٱلْقُضُبُ إِلَى أَجْفَانِهَا [8] . وَإِمَّا أَنْ تُوَاعِدَنَا حَتَّى تَضَعَ ٱلْحَوَامِلُ ،

---

(١) الشيم : جمع شيمة وهي الطبيعة والخُلُق (٢) النسع : ما يُزَمّ به النعل او يُشَدّ به الرَّحْل (٣) القَصَرة : تطلق على معان ، منها مايبقى في المنخل بعد الانتخال ، وما يبقى في السنبل من الحب بعد الدوسة الاولى ، والقشرة العليا من الحبة ، ويقال للقشرة السفلى – وهي التى تلي الحبة – الحَشَرة ، واصل العنق اذا غلظت . واراد هنا المعنى الاخير بمقابلته مع النسع (٤) تُستل : تنتزع (السخيمة) الضغينة والحقد

(٥) فداء : مجرور لانه معطوف على المصدر المجرور المؤوّل في قوله « ان اخترت » وانما كان المصدر المؤوّل مجرورًا لانه بدل من خلال (٦) النعم الجمال

(٧) الحسبة الحساب (٨) القضب جمع قضيب وهو السيف الدقيق القاطع –

فَنَسْدِلَ ٱلْأُزُرَ (١) ، وَنَعْقِدَ ٱلْخُمُرَ فَوْقَ ٱلرَّايَاتِ » .

قال فبكى ساعةً ثم قال :

« لَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْعَرَبُ أَنْ لَا كُفْوءَ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ ، وَإِنِّي لَنْ أَعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا أَوْ نَاقَةً ، فَأَكْتَسِبَ بِذٰلِكَ سُبَّةَ ٱلْأَبَدِ (٢) ، وَفَتَّ ٱلْعَضُدِ (٣) . وَأَمَّا ٱلنَّظِرَةُ (٤) فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا ٱلْأَجِنَّةُ (٥) فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا ، وَلَنْ أَكُونَ لِعَطَبِهَا سَبَباً . وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ، تَحْمِلُ فِي ٱلْقُلُوبِ حَنَقاً ، وَفَوْقَ ٱلْأَسِنَّةِ عَلَقاً (٦) :

إِذَا جَالَتِ ٱلْخَيْلُ فِي مَأْزِقٍ تُصَافِحُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا ٱلنُّفُوسَا

أَتُقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ »

قالوا :

« بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَإِ ٱلِاخْتِيَارِ ، وَأَبْلَى ٱلِاجْتِرَارِ (٧) : بِمَكْرُوهٍ وَأَذِيَّةٍ ، وَحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ »

---

(١) نسدل نرخي ونرسل — (الاجفان) اغماد السيوف ، وهي جمع جفن ، وهو القراب (الازر) جمع ازار وهو الملحفة ونحوها مما يلتحف به ويؤتزر

(٢) السبة العار . والسبة ايضاً هو من يكثر الناس سبه (٣) فتّ العضد اي ضعف الشكيمة وكسر القوة وتفرق الاعوان . يقال ان هذا الامر قد فتّ عضدي وساعدي اي اضعفني وكسر قوتي . والفت دقّ الشيء وكسره بالاصابع . والعضد الساعد ، وهو من المرفق الى الكتف ، وياتي مجازاً بمعنى الناصر والمعين . يقال « هم اعضادي وعضدي » اي نصرائي ومعيني

(٤) النظرة الانتظار (٥) الاجنة جمع جنين وهو الولد مادام في بطن امه .

(٦) العلق الدم (٧) الاجترار الانسحاب ، يقال « جررتُ الشيءَ فانجرّ واجترّ » اي انسحب

ثم نهضوا ، وقبيصة يقول متمثّلاً :

لَعلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ ٱلْوِرْدَ ، إِنْ عَدَت
كَتَائِبُنَا فِي مَأْزَقِ ٱلْمَوْتِ تَمْطُرُ [١]

فقا امرؤ القيس :

« لَا ، وَٱللهِ لَا أَسْتَوْخِمُهُ ، بَلْ أَسْتَعْذِبُهُ . فَرُوَيْدًا يَنْكَشِفْ لَكَ دُجَاهَا [٢] عَنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكَتَائِبِ حِمْيَرَ . وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هٰذَا أَوْلَى بِي ، إِذْ كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْعِي . وَلٰكِنَّكَ قُلْتَ فَأَجَبْتُ » .

فقال قبيصة :

« إِنَّ مَا نَتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ ٱلْمُعَاتَبَةِ وَٱلْإِعْتَابِ [٣] »

قال امرؤ القيس :

« هُوَ ذَاكَ »

ثمّ انصرفوا ،

---

(١) استوخم الشيء لم يجده موافقاً فكرهه (الورد) الماء الذي يُورَد (عدتْ) جرَتْ (الكتائب) جمع (كتيبة) وهي الجيش ، او القطعة منه ، او الخيل المغيرة من المئة الى الالف (المأزق) المضيق ، وموضع الحرب (تمطر) تجري وتسرع وتعدو بشدة كصوب المطر (٢) الدجا الظلمة . (٣) الاعتاب ازالة العتب . يقال « اعتبه » اي ارضاه وازال ما كان يعتب لاجله . فهمزته للازالة والسلب . كما يقال « اشكاه » اي ازال شكواه ورفع ما كان يشكونه .

شيء عن حروبه ثائرًا لأبيه

ثم ان امرأ القيس ارتحل يستجيش القبائل . وطاف بين العرب يستنجدهم . حتى نزل بكرًا وتغلب . فسألهم النصر على بني اسد قاتلي ابيه ، فاجابوه . فبعث العيون على بني اسد . فعلموا بذلك . ولجأوا الى بني كِنانة . ولمـّا خافوا ان يُدركهم فيهم ارتحلوا بليل . وكان الذي أنذرهم ان يرحلوا عِلباء بن الحارث الكاهلي .

ثم اقبل امرؤ القيس بمن معه من بكرٍ وتغلب ، حتى انتهى الى بني كنانة — وهو يحسبهم بني اسد — فوضع السلاح فيهم ، وقال : « يالثارات الملك ، يالثارات الهُمام » فخرجت اليه عجوز من بني كنانة فقالت : « ابيتَ اللعن . لسنا لك بثأر . نحن من بني كنانة . فدونكَ ثأركَ فاطلبهم ، فان القوم قد ساروا بالامس » فتبع بني اسد ، ففاتوه ليلتهم تلك . فقال في ذلك :

أَلا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ ... هُمُ كَانُوا ٱلشِّفَاءَ ، فَلَمْ يُصَابُوا [1]

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ ، ... وَبِٱلأَشْقَيْنَ مَا كَانَ ٱلْعِقَابُ [2]

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضًا ، ... وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صِفْرَ ٱلْوِطَابُ [3]

---

(١) هند هى اخت امريء القيس (٢) الجدّ ، بفتح الجيم الحظ والبخت ، واماّ الجد بكسرها فمعناها الاجتهاد (٣) الجريض الغاص بريقه . والجَرَض هو الغصص بالريق وابتلاعه على هم وحزن وجهد . والفعل منه جرِض يجرَض اي غصّ بريقه . والجريض ايضاً الغصّة اوالريق الذي يغص به ، ومنه المثل « حال الجريض دون القريض » — (صفر الوطاب) يقال صفر وطاب فلان اي خلا بدنه من روحه . وفي الاصل يقال (صفر الوطاب) اي خلا من اللبن . و (الوطاب) جمع وطب ، وهو وعاء يكون فيه اللبن . ويجمع ايضاً على أوطب واوطاب وهما جمع قلة . ويقال صفر الاناء يصفرُ صَفَرًا وصُفورًا) اذا خلا وفرغ مافيه

يعني ببني ابيهم (بني كنانة) لان اسدا وكِنانة ابْنَيْ خُزَيمة أَخَوانِ ٠

ثم لحقهم وقد تقطَّعت خيله وقطع اعناقهم العطش ٠ وبنو اسد حامون على الماء ٠ فنهد اليهم ٠ فقاتلهم حتى كثرت القتلى والجرحى فيهم ٠ وحجز الليل بينهم ٠ وهرب بنو اسد ٠ فلما اصبح من معه من بكر وتغلب أَبَوْا ان يتبعوهم ٠ وقالوا : « لقد اصبت ثأرك » ٠ قال : « والله مافعلتُ ، ولا اصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني اسدٍ احدًا » قالوا : « بلى ولكنَّك رجل مشؤوم » ثم انصرفوا عنه ٠ ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بِحِمْيَر ٠ فاستنصر أَزْدَ شَنُوءَة [1] ، فأبوا ان ينصروه ٠ فنزل بقَيلٍ يُدعي مَرْثَد الخير بن ذي جَدَن الحميري [وكان بينهما قرابة] فاستنصره واستمدَّه على بني اسد ٠ فأمدَّه بخمس مئة رجل من حِمْيَر ٠ وتبعه شُذَّاذ من العرب ٠ واستأجر من قبائل العرب رجالاً ٠ فسار بهم الى بني اسد ٠ وظفر بهم ٠

مطاردة المنذر لامرئ القيس

ثم ان المنذر وجَّه الجيوش في طلب امرئ القيس ٠ وأَمدَّه كسرى انو شروان بجيش من الاساورة [2] ٠ فسرَّحهم في طلبه ٠ فتفرَّقت حِمْيَر ومن معه ٠ فنجا امرؤُ القيس في عصبة من رهطه ٠ فما زال في حِلّ وترحال ، ينتقل من قبيلة الى قبيلة ، حتى نزل برجل من بني فَزارة يقال

---

(١) قبيلة من عرب اليمن (٢) الاساورة : قوم من العجم كانوا نزلوا البصرة قديمًا ٠ ومفردها أُسوار بضم الهمزة وكسرها وهو القائد من قوّاد العجم

لهُ عمرو بن جابر بن مازن . فطلب منه الجِوار. فقال له الفَزاري : « يا ابن حُجر ، اني أَراكَ في خَلَل [1] من قومك ، وانا أَنْفَس [2] بمثلك من اهل الشرف ، وقد كدتَ بالامس تُؤكل في ديار طيّ ء [وكان امرؤُ القيس قد نزل بهم بعد فزارة فانتهب قوم ابله] واهل البادية اهل وَبَر [3] ، لا اهل حصون تمنعهم . وبينك وبين اهل اليمن ذُؤْبان [4] من قيس . أَفَلا أَدُلُّك على بلدٍ ؟ فقد جئت قيصر وجئت النعمان ، فلم أَرَ لضيفٍ نازلٍ ولا لمجتد [5] مثله ومثل صاحبه » قال امرؤُ القيس : « فمن هو ؟ واين منزله » قال : « هو السموأَل ، ومنزله بِتَيْماء . وسوف اضرب لك مَثَلَه : هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك . وهو في حصن حصين ، وحَسَبٍ كبير » فقال : « وكيف لي به ؟ » قال : « أُوصلك الى من يوصلك اليه »

نزوله على السموأَل

ثم أَصحبه عمرُو بن جابر رجلاً من فَزارة يقال لهُ الربيع بن ضبع [وكان ممن يأتي السموأَل فيحمله ويعطيه] فلما صار الى السموأَل اكرمه ، وانزل من معه من النساء في قبة أَدَم [6] ، وانزل القوم في مجلسٍ لهُ بَراح [7] . فكان عنده ما شاء .

---

(١) الخلل : الوهن والضعف (٢) نَفِسَ بالشيء ينفَسُ نَفَساً : ضنَّ وبخل

(٣) اهل الوبر هم البدو سكَّان البادية ، امَّا سكَّان الحواضر فهم اهل المدر

(٤) ذؤبان : جمع ذئب ، ويجمع ايضاً على ذئاب واذؤب . ويقال ذَؤُب الرجل اذا صار كالذئب خبثاً ودهاءً . او خاف من الذئب وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم

(٥) المجتدي : طالب الجدوى وهي العطية . والفعل منه اجتدى يجتدي اجتداء .

(٦) الادَم : جمع اديم ، وهو الجلد المدبوغ (٧) البراح : المكان الذي لاسترة فيه من شجر او غيره مما يستر .

سفره الى (فروق)[1] مستنجداً بقيصر

ثم انه طلب الى السموأل ان يكتب له الى الحارث ابن ابي شَمَّر الغسَّاني بالشام ، ليوصله الى (قيصر) . فاجابه الى ذلك . وترك امروء القيس عنده بنيه والدروع وابن عمه يزيد بن الحارث . ومضى الى قيصر في قسطنطينية ، ومعه عمرو بن قَبْصة الشاعر . فلمَّا انتهوا الى الحد الفاصل بين بلاد العرب وبلاد الروم [وهو ما يفصل بلاد حلب عن الاناضول] جزع قبصة وبكى . وفي ذلك يقول امروء القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى ٱلدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا [2]

فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ ، إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكاً ، أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

وهذان البيتان من قصيدةٍ له يقول فيها :

فَلَمَّا بَدَا حَوْرَانُ وَٱلْآلُ دُونَهُ

نَظَرْتَ ، فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا [3]

تَقَطَّعُ أَسْبَابُ ٱللُّبَانَةِ وَٱلْهَوَى ،

عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا [4]

---

(١) هي قسطنطينية (٢) الدرب : باب السكة الواسع . وكل مدخل الى بلاد الروم ، اي الحدّ الفاصل بين بلاد العرب وبلاد الروم . وهو هنا الحدّ الفاصل بين بلاد حلب وبلاد الاناضول حسب التخطيط الجغرافي اليوم (٣) حوران جبل بالشام

(٤) تَقَطَّع : اصلها تتقطع (اللبانة) الحاجة (حماة) بلد بالشام (شيزر) كانت قلعة ببلاد الشام تشتمل على كورة قرب المعرَّة ، بينها وبين حماة يوم . وفي وسطها نهر الاردن

فَدَعْ ذَا ، وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ
ذَمُولٍ ، إِذَا صَامَ ٱلنَّهَارُ وَهَجَّرَا [١]

عَلَيْهَا فَتًى لَمْ تَحْمِلِ ٱلْأَرْضُ مِثْلَهُ
أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ ، وَأَوْفَى ، وَأَصْبَرَا

وَلَوْ شَاءَ كَانَ ٱلْغَزْوُ مِنْ آلِ حِمْيَرٍ ،
وَلٰكِنَّهُ عَمْدًا إِلَى ٱلرُّومِ أَنْفَرَا [٢]

لَقَدْ أَنْكَرَتْنِي بَعْلَبَكُّ وَأَهْلُهَا ،
وَلَابْنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمْصَ أَنْكَرَا [٣]

إِذَا قُلْتُ : هٰذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ
وَقَرَّتْ بِهِ ٱلْعَيْنَانِ ، بُدِّلْتُ آخَرَا

كَذٰلِكَ جَدِّي : مَا أُصَاحِبُ صَاحِباً
مِنَ ٱلنَّاسِ ، إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا [٤]

فلما كان عند قيصر قَبِلَه واكرمهُ ، وصارت له عنده منزلة .

---

(١) الجسرة : الناقه الطويلة ، او هي التي تجسر على الهول والسير (الذمول) السريعة . (صام النهار) قام قائم الظهيرة وهي شدة الحر (هجَّر النهار) انتصف اي صار في وقت الهاجرة ، وذلك عند نصف النهار (٢) العمد : القصد ، يقال . عمد فلانًا اذا قصد اليه (انفر) اي انفر اصحابه . يقول : لو شاء ان يغزوهم من آل حمير لفعل ولكنه اراد ان يستعمل من بالروم . وذلك مبالغة في طلب ثاره (٣) بعلبك وحمص بلدان بالشام . وفي بعلبك القامة الشهيرة التى كانت معبدًا للشمس (ابن جُريج) صديق كان له
(٤) جدي حظي وبختي .

قيل : وقد رأى امرؤ القيس بنت قيصر فشغفها وشغفته حباً ، دون ان يعلم ابوها بالامر .

رجوعه من عند قيصر

ثم ان قيصر ضمّ اليهِ جيشاً كثيفاً ، وفيه جماعة من ابناء الملوك . فاندسَّ رجل من بني اسد يقال له الطمَّاح [وكان امرؤ القيس قد قتل اخاً له . فجاء الطمَّاح هذا الى بلاد الروم مستخفياً] فوشى به الى قيصر ، بعد ان فصل بالجيش . فقال له : « ان امرأ القيس غَوِيٌّ عاهر ، وانه لمَّا انصرف عنك بالجيش ذكرَ انه كان يراسل ابنتك وتراسله ، وهو قائل فيها في ذلك اشعاراً يشهرها بها في العرب ، فيفضحها ويفضحك » فلما سمع ذلك قيصر بعث الى امريء القيس بحُلَّة مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : « قد ارسلت اليك بحلّتي التي كنت البسها ، تكرمةً لك ، فاذا وصلت اليك فالبسها باليُمْن والبركة ، واكتب اليَّ بخبرك من منزلٍ منزل » فلما وصلت اليه لبسها ، واشتدَّ بها سروره ، وكان يوماً صائفاً شديدَ الحرّ ، فأسرع فيهِ السم ، وسقط جلده فلذلك سُمّيَ (ذا القروح) . وفي حالتهِ هذه يقول :

وَبُدِّلْتُ قَرْحاً دَامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ ... فَيَا لَكِ مِنْ نُعْمَى تَحَوَّلْنَ أَبْؤُسَا

لَقَدْ طَمَحَ ٱلطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا

ومن هذه القصيدة قوله :

فَإِمَّا تَرَيْنِي لَا أُغَمِّضُ سَاعَةً ... مِنَ ٱللَّيْلِ ، إِلَّا أَنْ أُكِبَّ فَأَنْعَسَا(١)

---

(١) أُكِب انكس رأسي ، او انحني . وماضيه اكبَّ . ويكون متعدياً ولازماً ، —

فَيَا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ، وَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَا (١)
وَمَا خِلْتُ تَبْرِيحَ ٱلْحَيَاةِ كَمَا أَرَى ، تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُومَ فَأَلْبَسَا (٢)
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً ، وَلٰكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا (٣)

وكان يحملهُ جابر بن حُنَيّ التغلبيّ . وفي ذلك يقول امرؤُ القيس :

فَإِمَّا تَرَيْنِي فِي رِحَالَةِ جَابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كَٱلْقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي (٤)
فَيَا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ، وَعَانٍ فَكَكْتُ ٱلْغُلَّ عَنْهُ فَفَدَّانِي (٥)

وفي هذه القصيدة يقول :

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ
فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

— تقول أكبَّ الله العدوَّ على وجهه فأكبَّ . وجاء في بيت امريء القيس لازماً (١) تنفس استراح (٢) خلت ظننت (التبريح) شدة البلاء . يقال برّح به الامر اي جهدَه وآذاه اذًى شديداً (ألبس) اي البس ثيابي (٣) تساقط اصلها تتساقط . والمعنى لو ان نفسي تنتزع من جسمي دفعة واحدة لاسترحت ، ولكنها تنتزع فتتساقط شيئاً فشيئاً . ويروى (تساقطُ انفسا) والمعنى حينئذ هي نفس اذا سقطت وماتت يموت بموتها خلق كثير ، كما قال عبدة بن الطبيب

فما كان قيسٌ هلكهُ هلكَ واحدٍ ولكنَّه بُنيان قوم تهدَّما .

والرواية الاولى اولى واحسن لمكان المناسبة معًنى بين الشطر الاول والشطر الثاني من البيت

(٤) اراد بالرحالة خشبات صنعها له جابر حين مرض . و (الرحالة) هي مركب من مراكب النساء يوضع على البعير . والرحالة السرج ايضاً (الحرج) سرير توضع عليه الموتى . وهو ايضاً المكان الضيق الكثير الشجر . والحرج ايضاً الاثم . والمعنى الاول هو المراد هنا (القر) الهودج وهو مركب من مراكب النساء (أكفاني) ثيابي سمَّاها اكفاناً لانه علم انه ميت وانه لااكفان له غيرها ، فسمَّاها بما تصير اليه مجازاً ، وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار مايكون (٥) العاني الاسير (الغل) القيد ومن معانيه العطش الشديد (فداني) اي قال لي نفسي فداؤك

وَخَرْقٍ بَعِيدٍ قَدْ قَطَعْتُ نِيَاطَهُ
عَلَى ذَاتِ لَوْثٍ سَهْوَةِ ٱلْمَشْيِ مِذْعَانِ (١)

وَغَيْثٍ كَأَلْوَانِ ٱلْفَنَا قَدْ هَبَطْتُهُ ،
تَعَاوَرَ فِيهِ كُلُّ أَوْطَفَ حَنَّانِ (٢)

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
أَفَانِينَ جَرْيٍ ، غَيْرِ كَزٍّ وَلَا وَانِي (٣)

يُدَافِعُ أَعْطَافَ ٱلْمَطَايَا بِرُكْنِهِ
كَمَا مَالَ غُصْنٌ نَاعِمٌ بَيْنَ أَغْصَانِ (٤)

---

(١) الخرق والخرقاء المفازة وهي الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها . وجمعها مفازات ومفاوز ، سميت بذلك تفاؤلًا بان يفوز سالكها (النياط) بعد المفازة فكأنها نيطت بمفازة أخرى فلا تكاد تنقطع . ومعنى هذه المادة في الاصل التعليق . يقال ناط الشيء ينوطه نوطًا ونياطًا اي علقه . ومثله اناطه ونوّطه . ويقال انتاط الشيء اي تعلق ، والنّياط هو معلق كل شيء . وعرق غليظ نيط به القلب الى الوتين فاذا انقطع مات صاحبه . والجمع انوطة ونُوط . ويقال ناط الشيء اي اقتضبه برأيه من غير مشورة (اللَّوث واللوثة) بفتح اللام القوة . واللّوثة بالضم معناها الاسترخاء والبطء والحمق والحبسة في اللسان (السهوة) السهلة المشي (المذعان) المطاوعة المذللة (٢) الغيث معناه المطر ، واراد به هنا الكلأ الذي يُرعى . وسمّاه غيثًا لانه مسبّب عنه ، فهو مجاز مرسل علاقته السببية . فقد اطلق السبب واراد المسبّب (الفنا) عنب الثعلب . او هو شجر ذو حبّ يُتّخذ منه قراريط يوزن بها . ومفرده فَنَاة (هبطته) نزلته (تعاورفيه) تداوله . يقال تعاورته المصائب ، اذا تداولته بحيث اذا ذهبت مصيبة حلّت به غيرها (الاوطف) السحاب الداني من الارض المسترخي الذي تدلت ذيوله ، ومؤنثه وطفاء ، والجمع وُطْف . ويقال وطف المطر اي انهمر (الحنَّان) الذي فيه صوت الرعد ، واصله السهم الذي اذا نقرته بين اصبعيك صوّت . ومن معانيه ذو الرحمة ، ومن يحنُّ الى الشيء ، وهو اسم من اسماء الله الحسنى .
(٣) الهيكل الضخم (افانين الشيء) ضروبه وانواعه (الكز) المنقبض ، والضيق (الواني) الفاتر . والفعل منهُ وني يني (٤) الاعطاف النواحي والجوانب (بركنه) بمنكبه

وَمَجْرٍ كَغُلَّانِ ٱلْأُنَيْعِمِ بَالِغٍ
دِيَارَ ٱلْعَدُوِّ ، ذِي زُهَاءٍ وَأَرْكَانِ (١)

مِطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ ،
وَحَتَّى ٱلْجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ (٢)

موت امرئ القيس

فلمّا صار في بلدة من بلاد الروم تُدعى (أَنقِرَة) احتُضِرَ بها . فقال : « ربَّ خُطبةٍ مُحَبَّرة (٣) ، وطعنةٍ مُسْحَنْفِرة (٤) ، وجَفنةٍ مُثْعَنْجِرة (٥) ، تبقى غداً بأَنْقِرة »

قالوا : ورأى امرؤ القيس قبرَ امرأة من بنات الملوك ماتت هناك ، فدُفنت في سفح جبل يقال له (عسيب) . فسأل عنها فأُخبرَ بقصتها ، فقال :

أَجَارَتَنَا ، إِنَّ ٱلْخُطُوبَ تَنُوبُ ، وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ (٦)
أَجَارَتَنَا ، إِنَّا غَرِيبَانِ هٰهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

---

(١) المجر الجيش الكبير الثقيل السير لكثرته (الغُلّان) الاودية الغامضة في الارض الكثيرة الشجر ، ومفردها غالٌ وغليل (الانيعم) مصغر الانعم ، وهو جبل ببطن عاقل بين المدينة واليمامة (الزهاء) الكثرة (اركان الشيء) نواحيه التي تطيف به وقد شبه التفاف الجيش واشتباك الرماح فيه وارتفاعها بواد كثير الشجر

(٢) مطوت بهم مددت بهم في السير واسرعت (المطي) الجمال ، ومفردها مطية (الجياد) الخيل (مايقدْن بارسان) اي انها اعيت وتعبت فلا تحتاج الى ان تقاد بالارسان . وحتى هنا في الموضعين حرف ابتداء فلا ينصب المضارع بعدها (٣) اي محسنة مزينة (٤) اي واسعة (٥) الجفنة القصعة الكبيرة يقال اعظم القصاع الجفنة ، ثم القصعة وهي التي تشبع العشرة ، ثم الصفحة وهي التي تشبع الخمسة (مثعنجرة) ممتلئة . واصل معنى المثعنجر هو المنصب ، وفعله اثعنجر بمعنى انصب (٦) تنوب تصيب . من نابه الامر ، بمعنى اصابه

وهذا آخر شيء تكلّم به . ثم مات . فدُفن الى جنب المرأة . فقبره هناك .

وممّا يؤثر عنه قبل وفاته قوله :

أَلَا أَبلِغ بَنِي حُجرِ بنِ عَمرٍو ، وَأَبلِغ ذٰلِكَ الحَيَّ الحَدِيدَا[1] :

بِأَنِّي قَد هَلَكتُ بِأَرضِ قَومٍ ، سَحِيقاً مِن دِيَارِكُم بَعِيدَا[2]

الكلام على شعره

كان امرؤ القيس فصيح الالفاظ ، جيد السبك ، كثير المعاني ، مقدَّماً على شعراء الجاهلية . وهو اول من سبق الى اشياء ابتدعها ، فاستحسنتها العرب ، واتبعته عليها الشعراء . وذلك كتلطيفه المعاني ورقّة النسيب ، وقرب المأخذ ، واستيقاف الاطلال ، ووصف النساء بالظباء[3] والمها[4] ، وتشبيه الخيل بالعِقبان[5] ، والتفريق بين النسيب[6] وما سواه في القصيدة وإحكام التشبيه ، وتجويد الاستعارة ، وقد شهد له بذلك كثير من الشعراء كلبيدٍ وغيره .

---

(١) الحديد القوي (٢) سحيقاً بعيداً . والفعل منهُ سحق يسحق من باب علم (٣) الظباء جمع ظبي وهو الغزال ، ومؤنثه ومذكره سواء . وقيل ان الانثى ظبية ، ويجمع ايضاً على اظبٍ وظبيات وظُبِيّ (٤) المها جمع مهاة وهي البقرة الوحشية . وتشبه بها المرأة في سمنها وجمالها وحسن عينيها . وتجمع ايضاً على مهوات ومهيات

(٥) العقبان ، بكسر العين طيور من الجوارح اشد من النسر ، ومفردها عقاب بضم العين . وقد قيل العقاب سيد الطيور والنسر عريفها . ويجمع ايضاً على اعقب وتجمع العقبان على عقابين (٦) النسيب ذكر محاسن النساء في الشعر . والفعل منه نسب ينسب والمضارع بوزن يضرب وينصر . ومثل النسيب في المعنى التشبيب والتشبب . والفعل منها شبب وشبب . واما الغزل فهو محادثة النساء واللهو معهن والفعل منه غزل يغزل ، من باب علم وكثير من الناس لايفرق بين الغزل والنسيب ظاناً انها واحد .

وروى الجُمَحي ان سائلاً سأل الفرزدق : من اشعر الناس ؟ قال : ذو القروح حيث يقول :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ ، وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِقَابُ [١]

ومرَّ لبيدٌ بالكوفة في بني نهد ، فسألوه : من اشعر الناس ؟ قال : الملك الضِّليل [يعني امرأ القيس] قيل : « ثمّ من ؟ » قال : الغلام القتيل [يعني طَرَفة بن العبد] قيل : « ثمّ من ؟ » قال : الشيخ ابو عقيلٍ الجليل [يعني نفسهُ]

وكان امرؤ القيس مُقِلاً من الشعر ، كثير المعاني والتصرُّف . ولا يصح له الأعشرون شعراً ونيِّف [٢] بين طويل وقطعة .

وسأل العباس بن عبد المطلب عمر بن الخطاب [رضي الله عنهما] عن الشعراء ، فقال : « امرؤ القيس سابقهم : خسف لهم عينَ الشعر [٣] ، فافتقرَ عن معانٍ عُورٍ أَصحَّ بصرٍ [٤] »

---

(١) الجد بفتح الجيم هو الحظ (٢) النيف ، بفتح النون وتشديد الياء المكسورة ويجوز تخفيفها معناه الزيادة . ويستعمل بعد العدد ، فيقال . عشرة ونيف ، ومن الخطأ استعماله قبله ، فلا يقال «نيف وعشرة» كما هو الشائع على الالسنة واقلام الكتّاب

(٣) اي فجّرها بحيث لاتنقطع ، يقال خسف فلان البئر اي حفرها في صخر فنبعت بماء كثير لاينقطع . والخسيف والخسوف البئر التي تحفر في صخر فلا ينقطع ماؤها لكثرته . والجمع خُسُف . والمعنى انه هو الذي ارشدهم باختراعه وحسن اسلوبه الى تجويد الشعر معنىً ولفظاً (٤) افتقر فتح وفتق ومنه الفقير ، وهو فم القناة (عور) جمع اعور . يريد بهذه العبارة ان امرأ القيس من اليمن وان اهل اليمن ليست لهم فصاحة نزار فكانَ الفاظهم ومعانيهم عُور ، فجاء امرؤ القيس ففتق عن هذه المعاني العور اصح بصر .

وامرؤ القيس يماني النسب ، نزاري الدار والمنشأ . وفضّله علي [رضي الله عنهُ] بان قال : « رأيته احسنهم نادرة ، واسبقهم بادرة ، وانه لم يقل لرغبةٍ او رهبة »

وكان كثير الاجادة في وصف الفرس ، حتى لا تكاد تجد قصيدة من قصائده تخلو من وصفه . ومن أحسن ماوصفهُ به قوله :

وَقَدْ أَغْتَدِي ، وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ ، قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ ، هَيْكَلِ (١)

مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ، كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ ، وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

فقوله : « قيد الاوابد » في البيت الاول هو من الالفاظ الشريفة البالغة نهاية الحسن ، وعنى بذلك انهُ أذا ارسل فرسه على الصيد صار قيدًا له ، وكان الصيد بحالة المقيَّد ، وذلك من شدة عدو هذا الفرس . وقد اُقتدى به الناس واُتبعه الشعراء ، فقيل : « قَيْد النواظر » و « قيد الالحاظ » و « قيد الكلام » و قيد الحديث » و « قيد الرِّهان » . وذكر الاصمعي وابوعبيدة انه أحسن في هذه اللفظة وأنه اُتُّبِع فيها فلم يُلحَق . وذكرها اهل البيان في باب (التشبيه البليغ) . وجعلها بعضهم من باب (الإرداف) وهو ان يريد الشاعر دلالةً على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظٍ تابع له ورِدْف ، وذلك هو الكناية . قالوا :

---

(١) سيأتي شرح هذه الابيات في معلقته .

ومنه قوله ايضاً :

وَيُضْحِي فَتِيتُ ٱلْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ،
نَؤُومُ ٱلضُّحَى ، لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ [1]

اراد بقوله : « نؤوم الضحى » انها مترفهة ، عندها من يقضي لها حاجات بيتها ، فلا تحتاج الى النهوض ضحىً . ومنه قوله الآخر :

بَعِيدَةُ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ . إِمَّا لِنَوْفَلٍ
أَبُوهَا ، وَإِمَّا عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ [2]

اراد ان يصف طول جيدها [3] فأتى بردفه .

وقوله : « له ايطلاظبي » في البيت الثالث ، هو من التشبيه البديع ، وذلك انه شبه اربعة اشياء باربعة اشياء ، أحسن فيها ما شاء

وقد امتاز امرؤ القيس عن شعراء الجاهلية — إلا اقلهم — برقة الالفاظ وحسن التشبيه ورقته . قال بشار بن بُرْدٍ : لم ازل اجهد الخيال منذ سمعت قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ ٱلطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِساً
— لَدَى وَكْرِهَا — ٱلْعُنَّابُ وَٱلْحَشَفُ ٱلْبَالِي [4]

---

(١) لم تنطق لم تلبس النطاق وهو مايشد به الوسط (التفضل) ان تلبس المراة ثوب مهنتها . و(عن) في قوله عن تفضل بمعنى لام التعليل . والمعنى انها لم تلبس النطاق بسبب ثوب المهنة ، لانها في غنى عمّا يلبس للمهنة ، وذلك ان عندها من يكفيها العمل في بيتها

(٢) مهوى القرط اراد به العنق . و (القرط) هو ما يلبس في الاذن

(٣) الجيد العنق (٤) تقدم تفسيره في حاشية الصفحة (٦٥) .

حتى قلت :

كَأَنَّ مُثَارَ ٱلنَّقْعِ — فَوْقَ رُؤُوسِنَا —
وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ (١)

وفي بيتي امري القيس وبشار تشبيه شيئين بشيئين، غير ان امرأ القيس قد سبق الى صحة التقسيم في التشبيه، ولم يتمكن بشار الاَّ من تشبيه احدى الجملتين بالاخرى، دون صحة التقسيم والتفصيل .

ومما استحسن من تشبيهه قوله :

كَأَنِّي غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ حِينَ تَرَحَّلُوا
— لَدَى سَمُرَاتِ ٱلْحَيِّ — نَاقِفُ حَنْظَلِ (٢)

وقوله :

كَأَنَّ عُيُونَ ٱلْوَحْشِ — حَوْلَ خِبَائِنَا
وَأَرْحُلِنَا — ٱلْجَزْعُ ٱلَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ (٣)

وقوله في وصف الليل :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي (٤)

---

(١) النقع والنقعاء الغبار (المثار) اسم مفعول من إثار الغبار اذا هيجه واثاره
(٢) سيأتي تفسيره في معلقته (٣) الخباء خيمة تكون على عمودين او ثلاثة
(الارحل) جمع (رحل) وهو المركب الذي يوضع على البعير . ويجمع ايضاً على رحال
(الجزع) الخرز اليماني والصيني، وهو الذي فيه سواد وبياض، وتشبه به الاعين
(ثقب الشيء يثقبه) من باب نصر وثقّبه يثقبه اي خرقه بالمثقب وهو اداة يخرق بها
(٤) سيأتي تفسير هذه الابيات في معلقته

فَقُلْتُ لَهُ [لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ، وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا ، وَنَاءَ بِكَلْكَلِ] :

أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ ، أَلَا ٱنْجَلِ بِصُبْحٍ . وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة :

كِلِينِي لِهَمٍّ — يَا أُمَيْمَةَ — نَاصِبٍ ،
وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ ، بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ [1]

تَقَاعَسَ ، حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ،
وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَرْعَى ٱلنُّجُومَ بِآيِبِ

وَصَدْرٍ أَرَاحَ ٱللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ ،
تَضَاعَفَ فِيهِ ٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وقد جرى ذلك بين يَدَيْ بعض الخلفاء ، فقُدِّمت ابيات امرئ القيس ، واُستُحسِنت استعارتها : فقد جعل لِلَّيْل صدرًا يثقل تَنَحِّيه ، ويُبطئ تَقَضِّيه ، وجعل له أردافاً كثيرة ، وجعل له صلباً يمتدُّ ويتطاول . ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره ابو تمّام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة . ورأوا انّ الالفاظ جميلة .

وقد طرق كثيرًا من المعاني فأجاد ، حتى عُدَّ من فحول الطبقة الأولى . فأحسنُ مطالع الجاهليين مَطالعُه ، وأجودُ التشابيه تشبيهُه ،

---

(١) سيأتي تفسير هذه الابيات في ترجمته

وأحسنُ الغزل غزله . وممَّا بلغ حدَّ النهاية في الرِّقة واللطف قوله :

أَفَاطِمَ ، مَهْلًا بَعْضَ هٰذَا ٱلتَّدَلُّلِ .
وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي[1]

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ،
وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي ٱلْقَلْبَ يَفْعَلِ

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي
بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وله ابيات كثيرة جرت مجرى المثل ، منها قوله :

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي ٱلْآفَاقِ ، حَتَّى رَضِيتُ مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ بِٱلْإِيَابِ[2]

وقوله :

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ
فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

وكان واسع الخيال ، بجيد الوصف يدلّك على ذلك قوله :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ — فِيهَا وَطَفٌ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ — تَحَرَّى وَتَدُرُّ[3]

---

(١) سيأتي شرح هـذه الابيات في معلقته (٢) طوَّف يطوِّف تطويفاً وتطوافاً : أكثر من الطواف (الاياب) الرجوع وفعـله آب يؤوب (٣) الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . وقيل المطر الذي يدوم يوماً وليلةً (الوطف) ذيول دانية من الارض . واصل معنى الوطف كثرة شعر الحاجبين . وقد شُبهت الغمامة ذات الذيول به —

وَتَرَى ٱلضَّبَّ خَفِيفًا مَاهِرًا ، ثَانِيًا بُرْثُنَهُ مَا يَنْعَفِرْ [١]

وَتَرَى ٱلشَّجْرَاءَ فِي رَيِّقِهَا كَرُؤُوسٍ قُطِّعَتْ ، فِيهَا ٱلْخُمُرْ [٢]

سَاعَةً . ثُمَّ ٱنْتَحَاهَا وَابِلٌ ، سَاقِطُ ٱلْأَكْنَافِ ، وَاهٍ ، مُنْهَمِرْ [٣]

رَاحَ تَمْرِيهِ ٱلصَّبَا ، ثُمَّ ٱنْتَحَى فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ [٤]

— ويقال : « رجل اوطف » اذا كان كثير شعر العينين والاذنين (طبّق الارض) اي عمها (تحرّى) الاصل تتحرى تتحرى بمعنى تعتمد ونقصد ما هو الاولى والاحرى بالاصابة . او بمعنى تصيب حرام . والحرا معناه الناحية والساحة (تدر) تصبّ بكثرة

(١) الضبّ : حيوان ، ويقال : هو من امهر الحيوان في السباحة . وله ذنب كثير العقد ، وفي المثل : « اعقد من ذنب الضب » للامر الكثير المشكلات . ومن امثالهم فيه : اضل من ضب ، واحير من ضب . قيل : لانهُ اذا فارق جحره تحيَّر فلم يهتدِ اليه . وقولهم احيل من ضب ، واجبن من ضب (ماهرًا) اراد انه ماهر بالسباحة (ثانيًا) قابضًا لاويًا (البرثن) من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الانسان . وجمعه براثن (ما ينعفر) ما يصيب العفر وهو التراب . وذلك ان عظم السيل قد اربى الماء على وجه الارض فلا يصل برثنه الى التراب وهو يسبح .

(٢) الشجراء : الشجر للواحد والجمع على رأي سيبويه . وقال غيره هي جمع شجرة (ريقها) اولها ، والضمير يعود الى الديمة . والريِّق – بتشديد الياء المكسورة – في غير هذا المقام معناه : من كان على الريق بحيث لم يتناول طعامًا ولا شرابًا (الخمر) جمع خمار والمراد بالخمر هنا العمائم . واصل معنى الخمار ما تغطي به المرأة رأسها ، وكل ما ستر شيئًا فهو خماره . ومعنى البيت ان السيل قد فاض حتى بلغ اعالي الشجر ، فلمَّا تناقص ظهرت رؤوسها وعليها ما تركه السيل من الغثاء (وهو ماعلى وجه السيل من فتات الاشجار واوراقها ونحو ذلك) فكانت رؤوسها كرؤوس رجال مقطعة وعليها العمائم

(٣) ساعة : اي اصابتها ساعة من الزمن . (انتحاها) اعتمدها وقصدها فاصابها (الوابل) اشد المطر وعنه يكون السيل (الاكناف) النواحي ، وكنف كل شيء ناحيته (واه) منشقق ومنه « وهى الثوب يهي » اذا تخرّق وتشقق (منهمر) منصبّ بشدة وكثرة (٤) راح : عاد في وقت الرواح وهو آخر النهار ، كأن المطر كان اول النهار ثم عاد في آخره (تمريه) تستدره ، يقال : « مرى ضرع الشاة » اي مسحه بيده ليدرّ (الصبا) ريح مهبها من مطلع الثريَّا الى بنات نعش ، وهي مؤنثة ، ومثناها « صبوان –

ثَجٌّ ، حَتّى ضَاقَ عَنْ آذِيِّهِ   عَرْضُ خَيْمٍ فَخُفَافٍ فَيُسُرْ (١)
قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ   لَاحِقُ ٱلْإِطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرّْ (٢)

ومن ذلك وصفه زيارة حبيبته خلسةً بحيث لايشعر به احد . قال :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سُمُوَّ حَبَابِ ٱلْمَاءِ ، حَالًا عَلَى حَالِ (٣)

وله من امثال ما قدّمناه كثير من الشعر . وسترى كثيرًا منهُ في معلّقته . وانّا نختم هذا الفصل بشيءٍ من قصيدة له ابدع فينا ما شاءَت شاعريته . قال :

أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو ، كَأَنِّي خَمِرْ .   وَيَعْدُو عَلَى ٱلْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ (٤)

— وصبيان » وجمعها « صبوات واصباء » ويقابل هذه الريح ريح تسمّى « الدَّبور » بفتح الدال (الشؤبوب) الدفعة الشديدة من المطر والجمع شآبيب . اراد ان الصبا كانت اول ما انشأت السحاب وانزلته ، ثم اعتمدتها ريح الجنوب فاهمرت شآبيبها . وريح الجنوب عندهم من اندى الرياح واغزرها مطرًا (١) ثجّ : صبّ بكثرة (الآذى) الموج ، وجمعه الاواذي (خيم وخفاف ويسر) اسماء مواضع (٢) انف الشيء : اوله (لاحق) ضامر (الاطلان) الخاصرتان (المحبوك) الشديد المدمج الخلق (ممر) اراد انه مفتول الاعضاء ، يقال : « امرّ الحبل » اذا فتله فتلًا شديدًا محكمًا . وهذه الصفات هي لحصانه (٣) تقدم تفسيره في حاشية الصفحة (٦٣) (٤) أحار : الهمزة للنداء و (حار) منادى مرخم بحذف آخره والاصل (احارث) ولك في المنادى المرخم ان تبقي آخره على ما كان عليه من الحركة قبل الترخيم وان تضمه للبناء على الضم (الخمر) من خامره داء او وجع ، او هو من اصابه الخمار بضم الخاء وهو صداع الخمرة واذاها (يعدو على المرء) اي يصيبه ويتزل به (يأتمر) يهمّ به ويعزم عليه ، يقال : « امرته فائتمر » اي عزم ان يفعل ما امرته به ، والمعنى ان المرء اذا ائتمر امرًا غير رشيد وعزم عليه عاد عليه فاهلكه . — فائدة — يقال : (عزم الشيء وعزم عليهِ) يتعدى بنفسه وبحرف الجر

فَلَا ، وَأَبِيكِ ٱبْنَةَ ٱلْعَامِرِيِّ — لَا يَدَّعِي ٱلْقَوْمُ أَنِّي أَفِرّْ
تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَأَشْيَاعُهَا ، وَكِنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعاً صُبُرْ (٣)
إِذَا رَكِبُوا ٱلْخَيْلَ وَٱسْتَلْأَمُوا تَحَرَّقَتِ ٱلْأَرْضُ ، وَٱلْيَوْمُ قَرّْ (١)

ومنها :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ ٱلْفُؤَادَ غَدَاةَ ٱلرَّحِيلِ ، فَلَمْ أَنْتَصِرْ
فَأَسْبَلَ دَمْعِي كَفَضِّ ٱلْجُمَانِ أَوِ ٱلدُّرِّ رَقْرَاقُةُ ٱلْمُنْحَدِرْ (٢)
فَبِتُّ أُكَابِدُ لَيْلَ ٱلتِّمَامِ — وَٱلْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ مُقْشَعِرّْ (٣)

---

(٣) صبر : جمع (صبور) ويخطئ من يجمع صبورًا وامثاله بالواو والنون او الياء والنون — جمعَ المذكور السالم — لان الصفات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث لا تجمع هذا الجمع ، فمثل (صبور وغيور وكفور واكول وقتيل وجريح) ونحوها لا يقال في جمعها : صبورون وغيورون وقتيلون ، بل يقال : غُيُر وكُفُر وأُكُل وقتلى وجرحى . فليتنبه لذلك كثير من كتّاب هذا العصر خصوصاً بعض كتبة الجرائد . كما انه لا يجوز ان يلحق مثل هذه الصفات تاء التأنيث بل يكون مؤنثها كمذكرها بلا تاء . يقال : (امرأة صبور وجريح) الخ . واعراب تميم على انه بدل من القوم . والمعنى لا يدعي القوم من تميم واشياعها اني افرّ والحال ان كندة حولي جميعاً صابرون على مصادمة الاهوال .

(١) استلأموا : لبسوا اللأمة وهي الدرع (قرّ) بفتح القاف اي بارد شديد البرودة . والقُر بالضم معناه البرد الشديد . يقال : (قرَّ يومنا يقر) من باب ضرب اي برد . و (قرَّ القدر) اي صب فيها ماء بارداً . وقرّ فلان بالمجهول اي اصابه القر . ورجل مقرور اصابه البرد (٢) اسبل : سال (كفض الجمان) اي كتفرق الجمان وهو اللؤلؤ الصغار (رقراق الدمع) هو الذي يترقرق اي يتحرك في العين قبل ان يسيل . ورفع رقراقه على انه بدل من الدمع ، اي « ان رقراق دمعي المنحدر المتساقط يشبه حبات عقد اللؤلؤ الذي انقطع نظامه فتفرق (٣) اكابد : اقاسي (ليل التمام) هو —

فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا ، فَثَوْبًا لَبِسْتُ ، وَثَوْبًا أَجُرّْ (١)
وَلَمْ يَرَنَا كَالِئٌ كَاشِحٌ ، وَلَمْ يُفْشَ مِنَّا لَدَى ٱلْبَيْتِ سِرّْ (٢)

ومنها في وصف فرسهِ :

لَهَا غُدَرٌ كَقُرُونِ ٱلنِّسَاء — رُكِّبْنَ فِي يَوْمِ رِيحٍ وَصِرّْ (٣)
لَهَا جَبْهَةٌ كَسَرَاةِ ٱلْمِجَنّ — حَذَّفَهُ ٱلصَّانِعُ ٱلْمُقْتَدِرْ (٤)
لَهَا مِنْخَرٌ كَوِجَارِ ٱلسِّبَاعِ ، فَمِنْهُ تُرِيحُ إِذَا تَنْبَهِرْ (٥)
إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتَ دُبَّاءَةٌ مِنَ ٱلْخُضْرِ ، مَغْمُوسَةٌ فِي ٱلْغُدُرْ (٦)

– ما كان من اثنتي عشرة ساعة الى خمس عشرة (مقشعر) واجل خائف من اهلها ، فكأنه اصابته قشعريرة ، وهي ما تقشعر منه الابدان وترتعد (١) دنوت : قربت (تسديتها) اي تناولتها واخذتها ، يقال : تسدى الشيء اي علاه وركبه واخذه من فوقه (ثوبًا) مفعول مقدم للفعل بعده في الموضعين . والمعنى ان لهُ ثوبين قد لبس احدهما وجرَّ الآخر حتى يمحو آثارهما كيلا يهتدي اليهما احد . ويروى فثوبًا نسيت والمعنى انه لفرط اشتغاله ولهوه معها نسي احد ثوبيه (٢) الكالئ : الرقيب والحافظ . يقال : كلأك الله بعين عنايته اي حفظك (الكاشح) المولي عنك بوده والمراد به العدو .

(٣) الغدر : فسرها الوزير ابو بكر عاصم بن ايوب بالشعرات التي تكون قدام القربوس . فهي الشعر الذي عند منتهى عرف الدابة مما يلي القربوس . والقربوس مقدم سرج الدابة (القرون) الذوائب (الصر) شدة البرد . او الريح الباردة . اراد ان شعر عرفها منتشر ، وضرب لذلك مثلًا ضفائر النساء في يوم بارد شديد الريح فان شعرها يكون منتشرًا غير مسوًّى (٤) السراة : الظهر (المجن) الترس (حذفه) اتقنه وسواه تسوية حسنة (٥) الوجار : جحر الضبع وغيرها . والضبع مؤنثة ومذكرها ضِبْعان بكسر الضاد وسكون الباء (تريح) تتنفس (تنبهر) ينقطع نفسها من التعب والاعياء (٦) الدباءة واحدة الدباء وهو القرع ، يريد انها منطوية ملساء اولها طويل رقيق وآخرها غليظ ، وذلك صفة مستحبة في انثى الخيل (الغدر) جمع غدير ويجمع ايضًا على غدران . والغدير القطعة من الماء يغادرها السيل . يريد بذلك انها مرتوية ليست بذابلة ، لا انها مغموسة حقيقة في الماء ، كما تقول فلان مغموس بالخير

وَإِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ أُثْفِيَّةٌ مُلَمْلَمَةٌ ، لَيْسَ فِيهَا أُثُرْ (١)

وَإِنْ أَعْرَضَتْ قُلْتَ سُرْعُوفَةٌ ، لَهَا ذَنَبٌ خَلْفَهَا مُسْبَطِرْ (٢)

لَهَا وَثَبَاتٌ كَصَوْبِ ٱلسَّحَابِ : فَوَادٍ خَطِيطٌ ، وَوَادٍ مَطِرْ (٣)

معلقته وسبب نظمها

اما معلَّقته فهي احسن شعره بلا ريب . وقد ذكروا ان سبب نظمها واقعته مع معشوقته بنت عمه عُنَيْزة بنت شُرَحْبيل . وكان قد مُنع من الاجتماع بها على عادة العرب من عدم تمكين العاشق من الاجتماع بمن يعشق وعدم تزويجه بها . وقد كان امرؤ القيس يَتحيَّن الفُرَص لملاقاتها . فاتفق ان لاحت له فرصة . وذلك أن الحيَّ قد ظعنوا [وكان من عاداتهم اذا ظعنوا أنَّ الرجال تمشي أوَّلُ ثم النساء] فتخلَّف امرؤ القيس عن الرجال ، وتربَّص يترقَّب النساء . فلما ظعنَّ مشى خلفهنَّ بحيث لا يشعرْنَ به . وكان في الطريق غدير ، وهو غدير (دارة جُلْجُل) في منازل كِنْدة

---

(١) الاثفية الصخرة المدوَّرة ، وحجر يوضع عليه القدر ، والجمع اثافيّ بتشديد الياء . شبه استدارة موخرها وعظمه بالصخرة المدورة الملساء (ململمة) مجتمعة (الاثر) اثر الجرح يبقى بعد البرء وجمعه آثار وأثور بضم همزة الثاني . واصل الاثر بسكون الثاء وضمّها هنا للضرورة (٢) اعرضت اخذت عرضاً (السرعوفة) الجرادة ، والمرأة الطويلة الناعمة . يريد انها اذا ذهبت عرضاً فبان لك طولها وشكلها فهي كالمرأة الطويلة الناعمة (مسبطر) طويل ممتد (٣) الصوب المطر (خطيط) غير ممطور . والخطيطة الارض التي لم تُمطر بين ارضين ممطورتين (مطر) ذو مطر . يريد ان فرسه واسعة الخطو تصيب حوافرها موضعها ولا تصيب غيره . وقد شبه ما بين خطواتها بوادٍ غير ممطور وموضع حوافرها بوادٍ ممطور .

بنجد .فسبقهنّ اليه . فلما وصلن الى الغدير نزعن ثيابهنّ ونزلن الى الماء وكان فيهن عنيزة ، فبرز امرؤ القيس من مكمنه ، وجمع ثيابهنّ وجلس عليها .فلما شعرنَ بمكيدته تلطّفن في المقال ، وضرعنَ اليه ان يعطيهنّ الثياب ، فآلى ان لايعطي واحدة منهنّ ثوبها حتى تخرج اليه عارية فتأخذه .فخرجن اليه الاَّ عُنيزة معشوقته . وأقسمتْ عليه ان يعدل عن شرطه ، فأبى .وما زال بها حتى خرجت ، فدفع اليها ثوبها فلبسته .

ثم اجتمع عليه النساء وأنَّبْنَهُ على فِعلته الشنعاء . ثم عَقَرَ لهنّ ناقته وأطعمهنّ من لحمها حتى شبعن . وكان معه ركوة خمر فسقاهنّ .

ثم حمل امتعته وكور ناقته على رواحلهنّ . وفي ذلك يقول في معلَّقته :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ، وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ
وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي ، فَوَاعَجَبًا مِنْ كُورِهَا ٱلْمُتَحَمَّلِ ! (١)
فَظَلَّ ٱلْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا ، وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ ٱلدِّمَقْسِ ٱلْمُفَتَّلِ (٢)

ثم انه طلب من عُنيزة ان تحمله على راحلتها ، فأبتْ . فضرع اليها وساعدتهُ صواحبها ، فحملته على مُقدَّم هودجها . فجعل يدخل رأسه

---

(١) عقرت نحرت وذبحت (العذارى) جمع عذراء وهي البكر (فوا عجبا) تعظيم لهذا الحادث وهو عقر ناقته ، وذلك ان العرب اذا ارادت ان تعظم امرًا قالت يا عجبا ، والمعنى انه يعجب من سفهه في نحره ناقته وتقسيم النساء اداة رحله (الكور) الرحل وهو ما يوضع البعير (٢) ظل فلان يفعل كذا اذا فعله نهارًا ، وبات يفعل كذا اذا فعله ليلًا (هُدَّاب الثوب وهُدبه وهُدبته) الخيوط التي تبقى في طرفيه . ومن معاني الهدّاب : الرجل الغبي الثقيل ، كأنه اطراف الثوب المرخاة

في الهودج ويغازلها ويُقبِّلها . وفي ذلك يقول في معلّقتهِ:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ ٱلْخِدْرَ : خِــدْرَ عُنَيْزَةٍ ،
فَقَالَتْ : لَكَ ٱلْوَيْلَاتُ ، إِنَّكَ مُرْجِلِي[1]

تَقُولُ – وَقَدْ مَالَ ٱلْغَبِيطُ بِنَا مَعاً – :
عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ . فَٱنْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَـا : سِيرِي ، وَأَرْخِي زِمَامَهُ ،
وَلَا تَحْرِمِيـنِي مِنْ جَنَاكِ ٱلْمُعَلَّلِ

(١) سيأتي تفسير هذه الابيات في معلقته .

نخبة من معلقته

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ ٱللِّوَى ، بَيْنَ ٱلدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (١)

فَتُوضِحَ فَٱلْمِقْرَاةِ ، لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ،
لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ (٢)

كَأَنِّي غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ حِينَ تَرَحَّلُوا
— لَدَى سَمُرَاتِ ٱلْحَيِّ — نَاقِفُ حَنْظَلِ (٣)

---

(١) قفا ، قال الفراء ان العرب تخاطب الواحد والجماعة مخاطبة الاثنين ، فتقول للرجل قوما عني . وانشد على ذلك

فان تزجراني يا ابن عفَّان أنزجرْ ، وان تتركاني أحم عرضاً ممنّعا

ويُروَى ذلك عنهم ، لان اقلَّ اعوان الرجل في اهله اثنان ، وكذلك الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة فيجري كلام الرجل على صاحبيه . وقيل انه يخاطب صاحبيه حقيقة . (الذكرى) التذكر (سقط اللوى) مكان وأصل معنى السقط : منقطع الرمل حيث يسترقّ طرفه . ومايتساقط من الندى . والولد قبل تمام الحمل يسقط حياً او ميتاً على شرط ان يكون مستبين الخلقة . ويجوز في سينه الضم والفتح والكسر . واصل معنى اللوى : ما التوى من الرمل وتقوّس . يقال الوى اذا اتى اللوى ، كما يقال اشأم اذا اتى الشام ، وانجد وأتهم اذا اتى نجداً وتهامه (الدخول وحومل) موضعان

(٢) توضح والمقراة موضعان (لم يعفُ) لم يندرس ولم ينمح (الرسم) مالصق بالارض من آثار الديار كالرماد وغيره (النسج) معلوم . واراد بالنسج هنا اختلاف مَهابّ الرياح كما تختلف كُبّة النساج على الثوب ذهاباً واياباً . وفاعل نسجت يجوز ان يكون ضميراً عائداً الى الريح المعلومة من القرينة والمفسّرة بالجنوب والشمأل . ويجوز ان يعود على « ما » باعتبار انها مؤنثة معنى ، كما تقول ان ما حملتهُ على هذا هي شراهته

(٣) غداة صبيحة (البين) الفراق (تحملوا) حملوا رحالهم على ابلهم وارتحلوا —

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ،
يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ [١]

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ ؟ [٢]

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ ٱلْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا
وَجَارَتِهَا أُمِّ ٱلرَّبَابِ ، بِمَأْسَلِ [٣]

— (سمرات) جمع سَمُرة وهي شجرة ام غيلان ، تكون عظيمة ولها شوك (ناقف) اسم فاعل من نقف الحنظل وغيره اذا شقه ليستخرج ما فيه (الحنظل) نبتٌ يمتدُّ على الارض كالبطيخ واسم ثمره الهبيد وهو كثمر البطيخ الّا انه صغير جدًا ، وهو مرٌّ ، ويُضرب بمرارته المثل . قال الشاعر

لا تكن حُلوًا فيأكلك الناس — ولا حنظلًا تُذاق فترمى

ومن نقف الحنظل تدمع عينهُ لحدته . فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل

(١) وقوفاً ، يجوز ان يكون جمع واقف ، فيكون منصوبًا على الحال . ويجوز ان يكون مصدرًا مبينًا للنوع والعامل فيهِ قولهُ قفا ، اي قفا وقوفًا مثل وقوف صحبي مطيهم . ووقف يكون متعديًا ولازمًا ، تقول وقفتُ ناقتي ، ووقفتُ هي . وقد استعمله هنا متعديًا ومفعولهُ هو المطي (الصحب) جمع صاحب (المطي) الابل ، وهي جمع مطية . سُميت بذلك لانه يركب مطاها اي ظهرها (الاسى) الحزن ، واعرابه انهُ مفعول لاجله . يقال (أَسِيَ يأسى اسًى فهو آسٍ وأسيان وهي آسية واسيانة . وجمع التكسير منها أساياً — (تجمل) تجلدْ وتصبر (٢) العَبرة الدمعة ، وهي بفتح العين . واما العِبرة بكسر العين فمعناها العِظة (مهراقة) مسفوحة مصبوبة . يقال هرق الماء يهرقه وأهرقهُ يُهرقهُ وَهراقه يُهَريقه وهرّقه يُهرّقه واراقه يُريقه . والامر من الاول إهرقْ ، ومن الثاني أهرقْ ، ومن الثالث هَرِقْ . ومن الرابع هرّقْ . ومنه المثل هرّقْ على جمرك . يخاطب به الغضبان . ومعناه اصبب على نار غضبك ماءً ، ومن الخامس ارِق (المعوَّل) اما مصدر ميمي من (عوَّل) بمعنى (اعول) اي بكى ، فيكون الاستفهام بمعنى التحضيض ، فهو يحض صاحبيهِ على البكاء معهُ عند هذا الرسم ، او هو مصدر ميمي من عوَّلت على فلان اي اعتمدت عليهِ . فيكون الاستفهام بمعنى النفي ، اي ليس من يُعتمد عليهِ عند هذا الرسم الدارس فَلِمَ اتكل عليهِ انا

(٣) الدأب العادة . واصل معناه التتابع في العمل والاستمرار عليهِ . يقال . دأب —

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ ٱلْمِسْكُ مِنْهُمَا
نَسِيمَ ٱلصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا ٱلْقَرَنْفُلِ (١)

فَفَاضَتْ دُمُوعُ ٱلْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً
عَلَى ٱلنَّحْرِ ، حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي (٢)

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ،
وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ (٣)

وَيَوْمَ دَخَلْتُ ٱلْخِدْرَ : خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ،
فَقَالَتْ : لَكَ ٱلْوَيْلَاتُ ، إِنَّكَ مُرْجِلِي (٤)

تَقُولُ – وَقَدْ مَالَ ٱلْغَبِيطُ بِنَا مَعًا –:
عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ ، فَٱنْزِلِ (٥)

– في العمل يداب دأبًا ودأَبًا ودؤوبًا اي جد وتعب واستمر (مأسل) جبل او موضع

(١) تضوع فاحت رائحتهُ (الريَّا) الرائحة الطيبة (٢) فاضت سالت سيلانًا عظيماً (الصبابة) رقة الشوق (النحر) اعلى الصدر (المحمل) حِمالة السيف (٣) رب حرف جر للتقليل وقد تكون للتكثير (سيما) يجوز في اللغة تشديد يائها وتخفيفها ، وهي بمعنى مثل ، يقال . هما سيَّان اي مثلان و (ما) في (سيما) زائدة و (يوم) مجرور بالاضافة الى سي . (دارة جلجل) موضع فيهِ غدير ماء (٤) اصل معنى (الخدر) سترٌ يُمدُّ للجارية في ناحية البيت ، واراد بهِ هنا الهودج (الويلات) جمع ويلة ، والويلة والويل شدة العذاب (المرجل) اسم فاعل من ارجلتهُ اذا احوجتهُ ان يمشي راجلًا (٥) الغبيط القتب الذي يوضع عليهِ الهودج (عقرت بعيري) جرحت ظهره . والبعير يُطلق على الذكر والانثى من الجمال . والبعير هنا مذكر لانهم لم يكونوا يحملون النساء في الهوادج الّا على الذكور لانها اقوى

فَقُلْتُ لَهَـا : سِيرِي ، وَأَرْخِي زِمامَهُ ،
وَلَا تُحْرِمِينِي مِنْ جَنَاكِ ٱلْمُعَلَّلِ (١)

أَفاطِمَ ، مَهْلًا بَعْضَ هٰذَا ٱلتَّدَلُّلِ
وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي (٢)

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ،
وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي ٱلْقَلْبَ يَفْعَلِ (٣)

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي
بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ (٤)

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ — لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا —
تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ (٥)

---

(١) ارخي زمامهُ اي طوّلي لهُ منهُ و(الزمام) سير اللجام الذي تُمسك بهِ الدابة (الجنى) كل ما يجتنى ويقطف ، واراد بهِ هنا تلك القُبَل التي كان يسترقها منها (المعلل) المكرَّر مرةً بعد مرة ، وهو مأخوذ من العَلَل وهو الشرب مرة بعد أُخرى – هذا اذا كان بفتح اللام اي كان اسم مفعول . وان كان المعلل اسم فاعل اي بكسر اللام فمعناه الذي يعللني ويجعلني اتلهى بهِ عن غيره . مأخوذ من قولك عللت الصبي اذا اعطيته فاكهة او ليلهو بها (٢) فاطم منادى مرخم بحذف آخره (ازمعت) عزمت . يقال ازمعت الامر وازمعت عليهِ وعزمتهُ وعزمت عليهِ . فهما لازمان ومتعديان (الصرم) القطيعة (اجملي) اي احسني واعتدلي ولا تفرطي فيهِ (٣) اغرك : الهمزة للاستفهام . و(الغرور) الخداع (٤) ذَرَفتِ العين تذرِفُ ذُروفاً : سال دمعها (السهمان) اراد بهما العينين (اعشار قلب) اي قلب اعشار فهو من اضافة الصفة للموصوف ، واراد بالاعشار انه مكسور مُفتّت . يقال : قدح اعشار اذا كان مكسوراً او مقطعاً . والاعشار معناها الكسور ، وهي جمع لا مفرد له (مقتل) مذلل غاية التذليل حتى كانه مقتول (٥) الخدر تقدم معناه . واراد ببيضة الخدر محبوبته وقد شبهها بها لبياضها –

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ ، وَتَتَّقِي
بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ (١)

وَيُضْحِي فَتِيتُ ٱلْمِسْكِ فَوقَ فِرَاشِهَا ،
نَؤُومُ ٱلضُّحَى ، لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ (٢)

تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ ٱلرِّجَالِ عَنِ ٱلصِّبَا ،
وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ (٣)

. . . . . .

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي (٤)

— وصفائها وصيانتها عن الابتذال لانه لايتوصل اليها بنكاح ولا سفاح (غير معجل) اي لا يعجلني احد فانا آمنٌ (١) تصدُّ : تعرضُ من الصدود وهو الاعراض (تبدي) تظهر (الخد الاسيل) الذى في طوله امتداد ، او هو الخد السهل الذي ليس بمنقبض (تتقي) الاتقاء : هو الحجز بين شيئين بشيء ، يقال : اتقيتهُ بالترس اذا جعلتهُ حاجزًا بينك وبينهُ اراد انها تحفظ نفسها بنبال عينيها (الناظر) العين (الوحش) جمع وحشي مثل روم ورومي (وجرة) موضع بين مكة والبصرة ومسافته اربعون ميلًا ليس فيها منزل فهى مساكن للوحوش (المطفل) التي لها طفل ، وانما وصفها بانها ذات طفل لانها اذا كانت كذلك لحظت اطفالها بعين الرقة وحرصت عليها من ان تُصاب بسوء .

(٢) تقدم تفسيره في الصفحة (٨٣) وحاشيتها (٣) تسلت تلهّت ونسيتْ مأخوذ من السلوّ بمعنى تعمُّد النسيان (العمايات) جمع عمايه وهي الغواية والجهل (الصبا) اللهو واللعب والتصابي (المنسلي) الناسي (٤) السدول جمع سدل بضم السين وكسرها وهو الستر (يبتلي) يختبر .

فَقُلْتُ لَهُ [لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ،
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا ، وَنَاءَ بِكَلْكَلِ] :(١)

أَلا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ، أَلا انْجَلِ
بِصُبْحٍ . وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ(٢)

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ ! كَأَنَّ نُجُومَهُ
بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ(٣)

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا ،
بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ(٤)

. . . . . .

---

(١) تمطى : امتد واستطال (الصلب) عظم الظهر من لدن الكاهل الى العَجْب (اردف اعجازًا) اي اعاد مآخره عليّ ، يريد انه رجع حين رجا ان يكون قد ذهب ، والارداف معناه اتباع شيء بشيء . والاعجاز : جمع عَجُز وهو موءخر كل شيء (ناء بكلكل) نهض به مثقلًا و (الكلكل) الصدر شبه الليل بجملٍ باركٍ لـهُ صلب واعجاز كثيرة وقد تمطى بصلبهِ واتعبته اعجازه واثقله صدره فلم يستطع النهوض . يشير بذلك الى طول الليل

(٢) انجلِ : انكشفْ (الاصباح) الصبح والفجر او اوّله (امثل) افضل

(٣) مغار الفتل : مُحْكَمه ، يقال : اغرت الحبل اذا احكمت فتله (يذبل) اسم جبل (٤) الثريّا : كواكب سبعة في عنق الثور ، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل . والثريا في الاصل مصغَّر الثرواء وهي المرأة المتمولة اي الكثيرة المال ، ومذكرها الاثرى وهو مأخوذ من الثراء اي كثرة المال (المصام) المكان الذي يقام فيهِ ، ومنه مصام الفرس ومصامته اي موقفه الذي يربط فيهِ . ومصام الثريا مكانها . ومنه سمي الصائم لثباته وامتناعه عن تناول ما يضرُّ بالصوم (الامراس) الحبال (الصم) الصلاب ، وهي جمع اصمّ (الجندل) الحجارة الصلبة ، والجمع جنادل . واضافة الصم الى الجندل من اضافة الصفة للموصوف .

وَقَدْ أَغْتَدِي — وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا —
بِمُنْجَرِدٍ ، قَيْدِ الْأَوَابِدِ ، هَيْكَلِ (١)

مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ،
كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (٢)

دَرِيرٍ ، كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمَرَّهُ
تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٣)

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ ،
وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَنْفُلِ (٤)

. . . . . .

---

(١) اغتدي : اذهب وقت الغدوة ، وهو ما بين طلوع الفجر والشمس (الطير) جمع طائر (الوكنات) بضم الواو وفتح الكاف او ضمها هي المواضع التي تأوي اليها الطير وهي جمع وكنة بسكون الكاف وتثليث الواو . ومثلها الوكرات (المنجرد) القصير شعر الجسم ، وهو من صفات الخيل العتاق . وقيل : هو الماضي في سيره (القيد) ما يوضع في رجل الفرس . واراد انه كالقيد للاوابد بسبب سرعة جريه ولحوقه بها بحيث لا تفلت منه (الاوابد) الوحوش ، ومفردها آبدة سميت بذلك لتوحشها ونفرتها من الناس . يقال : تأبّد المكان اذا توحش وخلا من السكان (الهيكل) الضخم العظيم . والهيكل في الاصل هو البناء المرتفع المشرف ، والشجرة العظيمة ، والنبات الذي طال وعظم وبلغ .

(٢) مكر مفر : يصلح للكر والفر ، وهما صيغتا مبالغة (المقبل) هو المكر لانه اذا كر على الاعداء فقد اقبل عليهم (المدبر) هو المفر لانهُ اذا فر فقد ادبر (معًا) اي هو يصلح للاقبال والادبار فهو طوع الراكب يميلهُ حيث شاء . وهذا من صفات الخيل الممدوحة . وليس المراد انهُ مقبل مدبر في آنٍ واحد لان هذا محال (الجلمود) الصخرة العظيمة الصلبة والجمع جلاميد (حطه) القاه (من عل) من موضع عال (٣) درير : سريع الجري كانه يدرُّ الجريَ درًّا (الخذروف) شيء يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع لهُ دوي والجمع خذاريف وهي الدوّارة او الخرّارة ويسميه صبياننا اليوم البلبل فكأنهم شبهوا صوته وهو يدور بصوت البلبل وهو يغني ويصوت (الوليد) الصبي (امره) فتلهُ ودوّره (خيط موصل) اي انهُ قطع مرات فوصل (٤) الايطلان : مثنى ايطل وهو الخاصرة (الظبي) الغزال —

أَصَاحِ ، تَرَى بَرْقًا – أُرِيكَ وَمِيضَهُ –
كَلَمْعِ ٱلْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (١)

يُضِيءُ سَنَاهُ ، أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ
أَمَالَ ٱلسَّلِيطَ بِٱلذُّبَالِ ٱلْمُفَتَّلِ (٢)

وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ ،
وَلَا أُطُمًا ، إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ (٣)

– (النعامة) طائر عظيم سريع الجري . يقال : ركب جناحي نعامة اذا اسرع في مشيهِ (الارخاء) نوع من السير السريع السهل مأخوذ من الرخاء وهي الريح السهلة (السرحان) الذئب ، وجمعه سراحين (التنفل) ولد الثعلب – وقد خص الظبي بالذكر لان خاصريته ضامرتان ، وخص النعامة لان ساقيها طويلتان صليبتان ، وخص الذئب لانه سريع الجري سهله . وقد سُميَ السرحان لانسراحه في العدو والسير . وخص الثعلب لانه حسن التقريب و (التقريب) نوع من السير . يقال منه : قرَّب الفرسُ اذا مشي تقريباً

(١) اصاحِ الهمزة للنداء و (صاحِ) منادى مرخم بحذف آخره . والاصل صاحب (الوميض) لمعان البرق (لمع اليدين) حركتها (الحبي) السحاب المعترض قبل ان يرتفع الى عنان السماء ، فهو دانٍ من المرتفعات . مأخوذ من حبا يحبو اذا دنا ، يقال حبوت الى الخمسين اي دنوت منها (مكلل) متبسم ، يقال تكلل السحاب اذا تبسم بالبرق . وقيل المكلل الذي بعضه فوق بعض . وقيل المكلل هو الذي عليهِ الاكليل ، فشبه اعلاه بالاكليل (٢) السنا ضوء البرق خاصــة ، وهو مقصور واماً السناء بالمـد فمعناه الرفعة (المصابيح) جمع مصباح وهو السراج (السليط) هو الزيت وعند اهل اليمن هو السيرج او الشيرج – بالسين والشين – وهو دهن السمسم (الذبال) جمع ذبالة وهي فتيلة السراج (المفتل) الكثير الفتل – ويجوز في المصابيح الجر عطفاً على لمع والرفع على انها خبر لمبتدأ محذوف (٣) تيماء اسم مدينة كثيرة النخل والتين والعنب بين حوران ومدينة الرسول – عليهِ الصلاة والسلام – وهي منصوبة على تقدير فعل مفسر بما بعده . اي ولم يدع تيماء من التخريب فانهُ لم يترك بها شيئاً الّا خرّبه الّا ما كان مشيدًا بالجندل فلم يقوَ عليهِ . والضمير في يترك راجع الى المطر في ابيات قبل هذا البيت اهملنا ذكرها مع ما تركناه من ابيات المعلقة (جذع النخلة) ساقها التي تقوم عليها (الأُطم) الحصن والجمع آطام (المشيد) المبني المرفوع (الجندل) الحجارة الصلبة

كَأَنَّ ثَبِيرًا — فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ —
كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ (١)

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ ٱلْجِوَاءِ غُدَيَّةً
صُبِحْنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ (٢)

كَأَنَّ ٱلسِّبَاعَ فِيهِ — غَرْقَى عَشِيَّةً
بِأَرْجَائِهِ ٱلْقُصْوَى — أَنَابِيشُ عُنْصُلِ (٣)

---

(١) ثبير : اسم جبل (العرانين) جمع عرنين وهو من كل شيء اوله (الوبل) المطر القوي . كما ان الطل هو المطر الضعيف (البجاد) الكساء المخطط (مزمل) مدثر ملتف . يريد ان هذا المطر قد غمر هذا الجبل الّا اعلاه فكأنه رجل مزمل بكساء — فجعل المطر الذي غمره كالكساء لهُ — وقد جرّ مزمل وحقه ان يكون مرفوعاً لانه صفة لكبير . وانما جره لمجاورته لبجاد توهماً انه صفة له على حد قولهم : « هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ » بجر خرب لمجاورته الضب . والخرب انما هو الجحر لا الضب (٢) المكاكي : جمع مكّاء — بضم الميم وتشديد الكاف — وهو نوع من الطير . واماّ المكاء — بضم الميم وتخفيف الكاف — فهو بمعنى الصفير . ومنه قوله تعالى : وما كان صلاتهم عند البيت الّا مُكاءً وتصديةً . والتصدية : التصفيق (الجواء) الوادي الواسع الجوف (غدية) تصغير غدوة (صبحن سلافاً) اي سقين السُّلاف وقت الصبح . و (السلاف) ما سال من عصير العنب قبل ان يعصر . قالوا : والخمر منه اجود ما تكون (الرحيق) صفوة الخمر (مفلفل) يلذع لذع الفلفل . يريد انها كانت تصوّت وتغنى غناءً شديداً فكأنها شربت عند الصبح خمراً مفلفلاً (٣) غرقى : جمع غريق (العشية) من سقوط قرص الشمس الى العتمة (الارجاء) الاطراف والنواحي وهي جمع رجاً (القصوى) البُعدى وهو مؤنث الاقصى . وهي صفة للارجاء من وصف الجمع بصفة المؤنثة المفردة وهو جائز كثير الاستعمال . قال تعالى : من آياتنا الكبرى . ولو وصف على الاصل لقيل : القُصَى والكُبَر (الانانيش) اصول النبات لانهُ ينبش عنها وواحدها أنبوشة وأنبوش (العنصل) البصل البري . وقوله : غرقى حال من السباع . وبارجائهِ متعلق بغرقى . والمعنى كأن السباع — وقد غرقت فيهِ ثم طفَتْ باطرافهِ — اصول البصل البري ، وذلك لكثرة ما عليها — اي السباع — من الطين

٢ طرفة بن العبد

توفي سنة (٥٥٠) او (٥٥٢) م ، وسنة (٧٠) قبل الهجرة

هو : طَرَفة بن العبد بن سُفيان البكري ، من بني بكر بن وائل . وينتهي نسبهُ الى عدنان . وهو ابن اخت جَرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمِّس . وطَرَفة لقب غلب عليهِ ، واسمه عمرو . والطرفة في اللغة واحدة الطرفاء وهي الشجر المعروف .

ولم يعش الا ستّاً وعشرين سنة . وقيل : « بل عشرين » وبلغ مع ذلك ما لم يبلغهُ القوم في طول اعمارهم .

وكان هجّاءً جريئاً على قومه وغيرهم . وكان في حسب من عشيرته ، وهذا هو الذي جرّأه على هجائهم .

وله المثل : « استنوق الجمل » قيل : قاله لمّا وفد مع خاله المُتلمس على عمرو بن هند ، ملك الحيرة . وكان الشعراء يأْتونهُ وينشدونه الشعر . فلما دخلا عليهِ كان المسيَّب بن عَلَس ينشد شعراً في وصف جمل فوسمه بسمَةٍ من سِمات النوق . ويقال : ان المنشد كان المتلمس ، انشد في مجلس لبني قيس بن ثعلبة وكان طرفة يلعب مع الصبيان ويتسمع ، فدعاه المتلمس وقال : أَخرج لسانك ، فأخرجه ، فاذا هو اسود ، فقال : « ويل لهذا من هذا »

وهذا المثل يُضرَب للرجل الواهن الرأي المخلِّط في كلامهِ .

ولما شبَّ طَرَفة أعجب عمرو بن هند بشعره فنادمهُ مع المتلمس . وبقي عنده زماناً . وكان طرفة غلاماً مُعجَباً . فكان يوماً يشرب بين يَدَيِ الملك عمرو ، فجعل يتخلّج[1] في مِشيته ، فنظر اليه عمرو بن هند نظرةً كادت تقتلعه من مجلسه . فقال المتلمس له حين قاما : « اني اخاف من نظرتــه اليك » فقال طرفة : « كلا » وكان عمرو ذا هيبة شديــدة لا يضحك ولا يتبسّم . فأسرّ السوء لطرفة على إعجابه بهِ . وقيل : بل لان اختــه اشرفت وهم في مجلس الشراب ، فرآهـا طرفة ، فقال فيها شعرًا ، فحقد عليهِ ، فعزم على قتله وعلى قتل المتلمس ايضاً خوف هجائه ، لكنهُ خاف ان تجتمع عليه بكر بن وائل ان قتلهما ظاهرًا . فعزم ان يكيد لهم مكيدة .

وكانت اخت طرفة تحت عبد عمرو بن بشر بن مَرثَد . وكان عبد عمرو هذا سيد اهل زمانه ، مقدَّماً عند عمرو بن هند ملك الحيرة . فشكَت اخت طرفة اليه يوماً شيئاً من امر زوجها ، فقال يهجوه :

لَقَــدْ عَلِمَ ٱلأَقْوَامُ أَنَّا بِنَجْوَةٍ ،
عَلَتْ شَرَفًا مِنْ أَنْ تُضَامَ ، وَتُشْتَمَا[2]

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَدْخُلُ ٱلذُّلُّ وَسْطَهَــا ،
وَيَأْوِي إِلَيْهَــا ٱلْمُسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا[3]

---

(١) اي يتمايل يمنةً ويسرة (٢) النجوة : المرتفع من الارض (تضام) تحمل الضيم وهو الظلم والقهر .

(٣) الهضبة : الجبل المنبسط على وجهِ الارض ، او هو كل جبل خُلق من صخرة واحدة (يُعصم) يُمنع . والالف منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة والاصل يعصَمَنْ

وَأَرْعَنَ مِثْلَ ٱللَّيْـلِ مَجْرٍ يَقُودُهُ
أَرِيبٌ ، إِذَا مَا سَاوَرَ ٱلْأَمْرَ أَبْرَمَا (١)

شَدِيدُ ٱلْقُوَى ، ضَخْمُ ٱلدَّسِيعَـةِ مِقْوَلٌ ،
أَبِيٌّ ، إِذَا مَا هَمَّ بِٱلْأَمْرِ أَلْحَمَـا (٢)

فَأَيُّ خَمِيسٍ — لَا أَبَانَا — نَهَابُـهُ ؟
وَأَسْيَافُنَـا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمَا (٣)

أَبِي أَنْزَلَ ٱلْجَبَّارَ عَامِلَ رُمْحِـهِ ،
وَعَمِّي ٱلَّذِي أَرْدَى ٱلرَّئِيسَ ٱلْمُعَمَّمَا (٤)

فَوَا عَجَبًا مِنْ عَبْدِ عَمْرٍو وَبَغْيِـهِ !
لَقَدْ رَامَ ظُلْمِي عَبْدُ عَمْرٍو ، فَأَنْعَمَا (٥)

---

(١) الارعن : الجيش المضطرب لكثرته . واصل معناه الاحمق ، والجبل الذي لـهُ رِعان اي انوف تتقدمه ، وقد شبه الجيش الكثير به (المجر) الجيش العظيم لثقله وضخامته (الاريب) العاقل (ساور الامر) اخذ برأسه (ابرم الامر) احكمه

(٢) الدسيعة ، تُطلق على معان ، منها العطية الجزيلة ، والجفنة الكبيرة ، والمائدة الكريمة ، والقوة . وكلها جائز هنا (المقول) الحسن القول ، وهو ايضاً القَيْل بلغة اهل اليمن ، والقيل هو الملك دون الملك الاكبر . والمقول ايضاً اللسان . وقد اراد المعنى الاول (ابيّ) ممتنع عن الضيم (الحم) اتمّ . يقال . الحم الثوب اذا نسجه . وألحم فلان ما اسدى اي اتمّ ما بدأ به (٣) الخميس : الجيش العظيم (الكبش) سيد القوم وقائدهم

(٤) عامل الرمح : صدره وهو ما يلي السنان (اردى) اهلك (٥) انعم في لامر : بالغ فيه ، مثل امعن .

وَلَا عَيْبَ فِيهِ ، غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنًى ،
وَأَنَّ لَهُ كَشْحاً — إِذَا قَامَ — أَهْضَمَا [١]

وَأَنَّ نِسَاءَ ٱلْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ ،
يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمَا [٢]

فبلغ الشعرُ عمرَو بن هند الملك . وكان طرفة قد هجاه قبل ذلك الاّ انهُ لم يبلغه هجوه ، لانه لم يكن احد يجسر ان يرفع اليه ذلك .

سبب غضب عمرو بن هند على طرفة

ذلك ان عمرو بن هند خرج يوماً يتصيد ومعه عبد عمرو . فأمعنَ في الطلب ، فانقطع بنفرٍ من اصحابه حتى اصاب حمارًا وحشيًّا فعقره [٣] . فقال لعبد عمرو : أنزل اليه . فنزل فأعياه ، فضحك عمرو بن هند . ثم قال لاصحابه : اجمعوا حطباً وأوقِدوا . فأوقدوا نارًا وشوى .

فبينما عمرو بن هند يأكل من شِوائهِ وعبد عمرو يقدّم اليه ، إذ نظر الى قميصه متخرّقاً فأبصر كشحه [وكان من احسن اهل زمانه جسماً] ، فقال له : « لقد ابصر طرفة حسن كشحك حين قال :

وَلَا عَيْبَ فِيهِ ، غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنًى ، وَأَنَّ لَهُ كَشْحاً — إِذَا قَامَ — أَهْضَمَا

---

(١) الكشح : مابين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو اقصر الاضلاع وآخرها وهو من لدن السرة الى المتن (الاهضم) اللطيف الكشح الخمصان البطن (٢) العسيب . جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يُكشط خوصها (السرارة) خيار الشيء وصفوته (ملهم) موضع كثير النخل . شبه كشحه الاهضم بجريدة نخل من خيار نخل هذا المكان (٣) اي جرحه .

فغضب عبد عمرو من ذلك وأَنف ، وقال له : « ابيتَ اللعن ، لقد قال فيك ماهو شرٌّ من ذلك واقبح » قال : « أَوَقد بلغ من امره هذا ؟ » قال : «نعم »قال : « فما قال ؟ » فندم عبد عمرو على ما كان منه ، وابى ان يُسمعه » فقال عمرو بن هند : « أَسمِعنيهِ وَطَرَفَةُ آمِنٌ » فأَسمعه القصيدة التي هجاه بها طرفة ، وهي :

أَمِنْ لَيلَى بِنَاظِرَةٍ خُدُورُ ؟ يُؤَمُّ بِهِنَّ خَبْتٌ أَوْ ضَفِيرُ (١)

فَكَيْفَ صَبَوْتَ ؟ أَوْ تَرْجُو مَهَاةً مُنَعَّمَةً ، تُزَارُ وَلَا تَزُورُ ؟ (٢)

جَلَتْ بَرَدًا فَهَشَّ لَهُ فُؤَادِي ، فَكِدْتُ إِلَيْهِ مِنْ شَوْقٍ أَطِيرُ (٣)

فَدَعْهَا وَٱنْحَلِ ٱلنُّعْمَانَ قَوْلًا كَنَحْتِ ٱلْفَأْسِ ، يُنْجِدُ أَوْ يَغُورُ (٤)

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ ٱلْمَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَدُورُ (٥)

مِنَ ٱلزَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا ، وَضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ (٦)

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كَثِيرُ (٧)

---

(١) ناظرة : اسم جبل (الخدور) جمع خدر وهو ستر يُمدُّ للجارية في ناحية البيت (يؤم) يُقصد (خبت وضفير) اسمان لموضعين (٢) صبا الرجل يصبو صَبْوًا وصُبُوًّا ، مال الى الصبوة وهي جهلة الفتوَّة (المهاة) البقرة الوحشية وتشبَّه بها المرأة (٣) البرَدَ حبُّ الغمام وتشبَّه به الاسنان الشديدة البياض (٤) نحلتهُ القول اي اضفته اليه (ينجد) يأتي نجدًا (يغور) يأتي الغور (٥) الملْك ، بسكون اللام واصلها الكسر (الرغوث) النعجة المرضع (٦) الزمرات القليلات الصوف وهي اغزر البانًا من غيرها . ويقال فلان زَمِر المروءة اي قليلها (اسبل) طال (قادماها) اراد بهما ثدييها ، واصل القادمين للناقة لان لها اربعة اخلاف قادمين وآخرين . (الضرة) لحم الضرع (مركنة) لها اركان اي جوانب ، وقيل معناها مجتمعة . (الدرور) الكثيرة الدرّ (٧) النوك الحمق .

قَسَمْتَ ٱلدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِيٍّ ۰ كَذَاكَ ٱلْحُكْمُ: يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ (١)

لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكِرْوَانِ يَوْمٌ ، تَطِيرُ ، ٱلْبَائِسَاتِ ، وَمَا نَطِيرُ (٢)

فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سُوءٍ ، تُطَارِدُهُنَّ بِٱلْحَدَبِ ٱلصُّقُورُ (٣)

وَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَظَلُّ رَكْباً ، وُقُوفاً ، مَا نَحُلُّ وَمَا نَسِيرُ (٤)

أَرَانِي كُلَّمَا عَادَيْتُ قَوْماً أُتِيحَ لَهُمْ مِنَ ٱلْأَدْنَى نَكِيرُ (٥)

وَهَلْ يَخْشَى وَعِيدَ ٱلنَّاسِ إِلَّا كَبِيرُ ٱلسِّنِّ أَوْ ضَرِعٌ صَغِيرُ (٦)

وَمِثْلِي [فَٱعْلَمِي يَا أُمَّ عَمْرٍو ، إِذَا مَا ٱعْتَادَهُ ٱلسَّفَهُ ٱلنَّعُورُ] (٧)

يَطِيرُ عَلَى مُذَكَّرَةٍ تَسُورُ ، وَمُفْرَجَةٍ لَهَا نِسْعٌ وَكُورُ (٨)

فَلَمَّا أَنْ أَنَخْتُ عَلَى مَلِيكٍ ، مَسَاكِنُهُ ٱلْخَوَرْنَقُ وَٱلسَّدِيرُ (٩)

---

(١) الرخي السهل اللين (يقصد) يعدل (يجور) يظلم . (٢) الكروان طائر مفرده وجمعهُ واحد . وقيل هو جمع ومفرده « كرا » وفاعل تطير يعود الى الكروان (البائسات) منصوب على الترحم . وهي جمع بائسة . والبؤس الشقاء والضر

(٣) الحدب المرتفع من الارض (الصقور) جمع صقر وهو طائر من الجوارح

(٤) ركباً راكبين وهو جمع راكب (٥) أُتيح هُيئ . (٦) الضرع المتذلل ، والضعيف (٧) اعتاده نابه حتى صار عادة له (السفه) الجهل والخفة والطيش (النعور) المهيّج واصل معناه الريح التي تفاجئك ببرد وانت في حر (٨) المذكرة الناقة الشبيهة بالجمل في الخَلق والخُلق (تسور) تثب وتثور (المفرجة) اراد بها الناقة (النسع) ما يُشدُّ به الرحل (الكور) ما يوضع على البعير (٩) انخت ابركت ناقتي (الخورنق) قصر كان بظهر الحيرة بناه النعمان بن امرئ القيس ، وينتهي نسبه الى يعرب بن قحطان . وقد ملك ثمانين سنة ، وبنى الخورنق في ستين منها بناه له رجل من الروم يدعى « سنمار » وكان بناؤه متقطعاً . فلما فرغ من بنائه صعد النعمان على رأسه ونظر الى البحر تجاهه والبر خلفه فرأى الحوت والضب والظبي والنخل . فقال ما رأيت مثل هذا البناء فقال له سنمار اني اعلم موضع آجرّة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان أيعرفها احد غيرك . قال لا قال لاجرم لادعنّها وما يعرفها احد . ثم امر به فقذف به من اعلى القصر—

لِيُنْجِزَنِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ بِطَيِّ صَحِيفَةٍ فِيهَا غُرُورُ
فَأَوْعَدَنِي وَأَخْلَفَ ثُمَّ ظَنِّي وَبِئْسَ خَلِيقَةُ الْمَلِكِ الْفُجُورُ (١)

وكان السبب في هذه القصيدة على ما حكى المفضَّل بن سلمة أنَّ عمرو بن المنذر [هو عمرو بن هند نفسه] كان يرشّح اخاه قابوس بن المنذر ليملك بعده . فقدم عليه المتلمس وطرفة فجعلهما في صحابة قابوس وامرهما بلزومه . وكان قابوس شابّاً يُعجبهُ اللهو وكان يركب يوماً في الصيد فيركض يتصيَّد وهما معه يركضان حتى يرجعا عشيةً وقد تعبا . فيكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان بباب سُرادقه (٢) الى العشيِّ . فكان قابوس يوماً على الشراب فوقفا ببابه النهار كلَّه ولم يَصلا اليه . فضجر طرفة فقال هذه القصيدة .

وقال يعقوب بن السكِّيت والأعلم الشَّنْتَمَرِي في شرحهما لديوان طرفة : « ان عمرو بن هند المذكور كان شِرِّيرًا . وكان له يوم بؤس ويوم نعمه . فيوم يركب في صيده يقتل من يلقى ويوم يقف الناس ببابه فان اشتهى حديث رجل اذن لهُ . فكان هذا دهره كله . فهجاه طرفة »

الى اسفله فتقطَّع . فضربت العرب به المثل . قال الشاعر :

جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر وحسنِ فعل كما يجزى سنمَّار

والخورنق ايضاً قرية بالقرب من بلخ في العراق . وموضع في الكوفة .

(السدير) قصر قريب من الخورنق كان النعمان الاكبر قد اتخذه لبعض ملوك العجم . والسدير ايضاً موضع بالحيرة او نهر .

(١) الخليقة الطبيعة (الفجور) الكذب (٢) السرادق الفسطاط الذي يمدُّ فوق سطح البيت وهو البيت ايضاً

والقصيدة المذكورة هي هجاءٌ لعمرٍو واخيه قابوس

قالوا : فلما سمع القصيدةَ عمرو بن هند سكت على ما وقر [١] في نفسه ، وكره ان يُعَجّلَ عليه لمكان قومه ، فأضرب عنه . وبلغ ذلك طرفة ، فخافه على نفسه . غير أنه قد أَمِنَ لمـّا علم انه رضي عنه وغفر له جريرته .

وكان عمرو بن هند بطّاشاً جبّارًا . وكان لا يتبسم ولا يضحك . وقد ملك ثلاثاً وخمسين سنة . وكانت العرب تهابه هيبة شديدة . وفيه يقول الدهاب العِجْليّ :

أَبَى ٱلقَلْبُ أَنْ يَهْوَى ٱلسَّدِيرَ وَأَهْلَـهُ ،
وَإِنْ قِيلَ : عَيْشٌ بِٱلسَّـدِيرِ غَرِيرُ [٢]

لَقَدْ أَنْذَرُوا ٱلحَيَّ ٱلَّذِي نَزَلُوا بِـهِ ،
وَإِنِّي لِمَنْ لَمْ يَأْتِـهِ لَنَـذِيرُ

بِهِ ٱلبَقُّ ، وَٱلحُمَّى ، وَأُسْدٌ خَفِيَّةٌ ،
وَعَمْرُو بْنُ هِنْـدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ

وسيأتي ذكر قتل عمرو بن هند وموته ، عند الكلام على ترجمة عمرو بن كلثوم .

---

(١) وقر الشيء في نفسه وقع وبقي اثره (٢) الغرير العيش الواسع الطيب

قتل طرفة وموته

وكان المتلمس خال طرفة قد قال قصيدة يهجوبها عمرو بن هند ايضاً . وكان في نفس عمرو من ذلك مَوجدة [١] عليه يكتمها عنه . فأتّفق ان قدم طرفة والملتمس على عمرو بن هند يتعرّضان لفضله ومعروفه . فكتب لهما كتاباً الى عامله على البحرين وهَجَرَ ، وكان عليهما (المُكَعْبِرِ) وقيل : بل (ربيعة بن الحارث العبدي) وقال لهما : « انطلقا فخذا جوائزكما منه » . فخرجا .

قال المتلمس : فلما هبطنا بذي الركاب من (النَّجَف) اذا انا بشيخ على يساري يتبرّز ومعه كسرة يأكلها وهو يقصع القمل [٢] . فقلتُ : « تالله ما رأيت شيخاً احمق واضعف واقلّ عقلاً » قال : « وما تُنكر عليّ من حمقي ؟ » قلت : « تتبرّز وتأكل وتقصع القمل » قال أُدخلُ طيِّباً ، وأُخرج خبيثاً ، واقتل عدوًّا . واحمقُ مني الذي يحمل حتفه [٣] بيده لايدري ما فيه » قال المتلمس : « فنبَّهني ، وكأنما كنت نائماً »

ثم ان المتلمس قال لطرفة : « انك غلام حديث السن ، والملك مَنْ عرفت حقده وغدره ، وكلانا قد هجاه ، فلست آمن ان يكون قد أَمر فينا بشرٍّ . فهلمّ ، فَلْننظُرْ في كُتُبنا هذه ، فان يكن قد امر لنا بخيرٍ مَضَيْنا ، وان تكن الاخرى لم نُهلك انفسنا » فأَبى طرفة ان يفكّ خاتم الملك . فحرّضه المتلمس على ذلك فأبى .

وعدل المتلمس الى غلام من غلمان الحيرة فأَعطاه الصحيفة فقرأها ،

---

(١) الموجدة الغضب ، وفعلها وجد عليه يجد بمعنى غضب .

(٢) اي يقتله بين ظفريه (٣) اي موته

ولم يكد يصل الى ما أمر بهِ في المتلمس حتى جاءَ غلام آخر فأشرف على الصحيفة لايدري من هو المتلمس ، فقرأها فقال : ثكِلَت المتلمسَ أُمه [١] » فانتزع المتلمس الصحيفة من يد الغلام ، واكتفى بذلك من قوله . وكان في الصحيفة : « باسمك اللهم . من عمرو بن هند ، الى المُكَعْبِر : اذا جاءَك كتابي هذا مع المتلمس فأقطع يده ورجله وادفنه حياً »

ثم انه أُتّبع طَرَفة فلم يدركهُ . وقد قيل : بل أدركه وقال له : « تعَلَّمْ [٢] ان مافي صحيفتك لمِثْلُ مافي صحيفتي » فقال طرفة : « ان كان قداجترأ عليك فما كان ليجترئَ عليَّ ولا ليغرَّني ولا ليقدمَ عليَّ » فلماَّ غلب المتلمس على امره ألقى الصحيفة في نهر الحيرة ، ثم خرج هارباً الى الشام . وفي ذلك يقول :

وَأَلْقَيْتُهَا بِٱلثّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ . كَذٰلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ [٣]

رَضِيتُ لَهَا بِٱلْمَاءِ لَمَّا رَأَيْتُهَا يَجُولُ بِهَا ٱلتَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلِ [٤]

في هذه الواقعة يقول ايضاً :

مَنْ مُبْلِغُ ٱلشُّعَرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمِ نَبأً ، فَتَصْدُقُهُمْ بِذَاكَ ٱلْأَنْفُسُ :

أَوْدَى ٱلَّذِي عَلِقَ ٱلصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ ٱلْمُتَلَمِّسُ [٥]

أَلْقِ ٱلصَّحِيفَةَ – لَا أَبَا لَكَ – إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحِبَاءِ ٱلنِّقْرِسُ [٦]

---

(١) اي عدمته (٢) اي اعلمْ (٣) الثني واحد اثناء الشيء اي تضاعيفه . يقال ارسلته في ثني كتابي ، اي في طيّه . والثني من كل جبل او نهر منعطفه ، او هو اسم لكل نهر (الكافر) النهر الكبير (اقنو) اتخذ . يقال قنا المال يقنوه قنْوًا وقُنوانًا ، اي جمعه واتخذه لنفسه لا للتجارة (القط) الصك تكتب فيه الجائزة (٤) التيار الموج (الجدول) النهر الصغير (٥) اودى هلك (علق الشيء وعلق به) من باب علم ، اي هويهُ وأحبَّه . (الحباء) العطية (٦) النقرس داء يأخذ في الرجل ، او هو ورم يحصل في مفاصل القدم وفي ابهامها اكثر .

وقد ضُربَ المثل بصحيفة المتلمس، وذلك لمن يسعى الى حتفه بيده . وفي ذلك يقول الفرزدق لمروان :

يا مروُ ، إنَّ مَطيَّتي محبوسةٌ ترجو الحباء ، وربُّها لم ييأسِ[1]

وحبوتني بصحيفةٍ مختومةٍ ، يُخشى عليَّ بها حباءُ النقرسِ[2]

ألقِ الصحيفةَ يا فرزدقُ ، لا تكنْ نكداءَ ، مثلَ صحيفةِ المتلمسِ[3]

اما طرفة فانهُ قد سار حتى قدم على عامل البحرين ، وهو في هَجَر . فدفع اليه كتاب عمرو بن هند ، فقرأه ، فقال له : « تعلم ما أُمرتُ به فيك ؟ » قال: « نعم ، أُمرتَ ان تُجيزني وتُحسنَ اليَّ » فقال لهُ : « انَّ بيني وبينك لخؤولةً[4] انا لها راعٍ[5] ، فاهربْ من ليلتك هذه ، فاني قد أُمرت بقتلك ، فاخرج قبل ان تُصبح ويعلم بك الناس » فقال طرفة : « قد اشتدَّتْ عليك جائزتي ، واحببتَ ان اهرب واجعل لعمرو بن هند عليَّ سبيلاً ، كأني قد اذنبت . والله لا افعل ذلك ابداً » فلما اصبح امرَ بحبسهِ وتكرَّم عن قتله . وكتب الى عمرو بن هند أن « ابعثْ الى عملك رجلاً غيري ، فاني غير قاتل الرجل » فبعث اليه عمرو رجلاً من بني تغلب يقال له عبد هند . واستعمله على البحرين [وكان رجلاً شجاعاً] وامره ان يقتل طرفة . فلما وصل اليها قال لطرفة : « اني قاتلك لا محالة ، فاخترْ لنفسك

---

(١) مرو : منادى مرخَّم والاصل « يا مروان » (مطيتي) ناقتي (٢) حباه الشيءَ وحباه به اي اعطاه اياه (٣) نكداء : مؤنث الأنكد وهو العسير المشؤوم
(٤) الخؤولة : النسبة الى الخال ، كما ان العمومة النسبة الى العم . وهي ايضاً جمع الخال (٥) اي حافظ

مِيتَةً تهواها » فقال : « ان كان ولا بدّ فاسقِني خمرًا وافصد أكْحَلي[١] » ففعل به ذلك . فما زال ينزف حتى مات . وله من العمر ستٌّ وعشرون سنة كما قالت اخته في رثائه :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً . فَلَمَّا تَوَفَّاهَا ٱسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمَا[٢]
فُجِعْنَا بِــهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ ، لَا وَلِيدًا وَلَا قَحْمَا[٣]

ولما بلغ المتلمسَ مقتلُهُ قال :

عَصَانِي فَمَا لَاقَى رَشَادًا ، وَإِنَّمَا يَبِينُ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلْغَوِيِّ عَوَاقِبُهْ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آلَةٍ ، تَمُجُّ نَجِيعَ ٱلْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهْ[٤]

وكان موته في اواسط القرن السادس للميلاد .

الكلام على شعره

كان طرفة لطيف التخيُّل ، شاعرًا مطبوعاً . وهو اجودهم طويلة ، كلما طالت قصيدته حَسُنت . وقد بلغ من الشعر مبلغاً لم تبلغه الفحول وهو حديث السن ، حتى عُدَّ من شعراء الجاهلية المبرزين .

وشعره يجمع بين الجزالة ، والرونق ، ونباهة الاغراض ، وعذوبة

---

(١) الاكحل : عِرق في الذراع ، قيل هو عرق الحياة ، ويدعى نهر البدن .
(٢) الحجة السنة ، وجمعها حِجَج (توفّاها) اتمّها (ضخما) عظيما
(٣) فجعنا به فقدناه (ايابه) رجوعه ، وارادت رجوعه من البحرين بجائزته على خير حالٍ (القحم) الطاعن في السنّ
(٤) النجيع الدم (الترائب) عظام الصدر ، ومفردها تريبة .

المشرب ، وصباحة الفصاحة . وقد صحح شعرًا للمتلمّس وهو يرسف في قيد غُلوميّته . وقد شهد له لَبيد وجَرير والأخطل بانه الشاعر غيرَ مُدافَع . وهو القائل :

وَلاَ أُغِيرُ عَلَى ٱلْأَشْعَارِ أَسْرِقُهَا ، غَنِيتُ عَنْهَا ، وَشَرُّ ٱلنَّاسِ مَنْ سَرَقَا[١]
وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ : صَدَقَا

وكان مُقِلاًّ من الشعر لقِصَر عمره ، ومع إقلاله فان شعره مُعَوَّل اصحاب اللغة في الاستشهاد بهِ . وله ديوان شعر صغير ، ولكنه جيد متين .

وله شعر جميل ، ومعانٍ بديعة . واشهر شعره معلَّقته . ومنها يذكر مجده وخلاعته :

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ ٱلتِّلَاعِ مَخَافَةً ، وَلٰكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ ٱلْقَوْمُ أَرْفِدِ[٢]
فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ ٱلْقَوْمِ تَلْقَنِي ، وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي ٱلْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ
وَإِنْ يَلْتَقِ ٱلْحَيُّ ٱلْجَمِيعُ تُلَاقِنِي إِلَى ذُرْوَةِ ٱلْبَيْتِ ٱلشَّرِيفِ ٱلْمُصَمَّدِ

ومنها قوله في انقضاء الايام :

أَرَى ٱلْمَوْتَ يَعْتَامُ ٱلْكِرَامَ ، وَيَصْطَفِي
عَقِيلَةَ مَالِ ٱلْفَاحِشِ ٱلْمُتَشَدِّدِ

---

(١) غنيت عنها استغنيت عنها . يقال غَنِيَ بالشيء عن غيره يَغْنَى غِنًى وغناء ، اي اكتفى به عنه (٢) سيأتي تفسير هذه الابيات وما بعدها في معلقته .

ومنها في الخبرة التامة والتجربة الصادقة :

وَظُلْمُ ذَوِي ٱلْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى ٱلْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ

ومن حِكَمِهِ التي حملَتْ لبيداً على الاعتراف بفضله وتقدُّمه قوله فيها :

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وقد أُنشد هذا البيت للنبي [صلى الله عليه وسلم] فقال : « هو من كلام النبوّة » وأَخرج الامام احمد بن حنبل في مُسْنَدِهِ بسندٍ صحيح عن عائشة ، قالت : « كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] اذا استراب الخبر [1] تمثَّل ببيت طرفة : « ويأتيك بالاخبار من لم تزوِّدِ »

ومن شعره قوله مخاطباً اعمامه . وكان ابوه قد مات وهو صغير ، فهضموا حق امه (وَرْدَة) :

مَا تَنْظُرُونَ بِمَالِ وَرْدَةَ فِيكُمُ ؟ صَغُرَ ٱلْبَنُونَ ، وَرَهْطُ وَرْدَةَ غُيَّبُ [2]

قَدْ يَبْعَثُ ٱلْأَمْرَ ٱلْعَظِيمَ صَغِيرُهُ ، حَتَّى تَظَلَّ لَهُ ٱلدِّمَاءُ تَصَبَّبُ [3]

وَٱلظُّلْمُ فَرَّقَ بَيْنَ حَيَّيْ وَائِلٍ : بَكْرٌ تُسَاقِيهَا ٱلْمَنَايَا تَغْلِبُ [4]

وَٱلصِّدْقُ يَأْلَفُهُ ٱلْكَرِيمُ ٱلْمُرْتَجَى ، وَٱلْكِذْبُ يَأْلَفُهُ ٱلدَّنِيُّ ٱلْأَخْيَبُ

وَٱلْإِثْمُ دَاءٌ لَيْسَ يُرْجَى بُرْؤُهُ ، وَٱلْبِرُّ بُرْءٌ لَيْسَ فِيهِ مَعْطَبُ [5]

---

(١) اي ارتاب فيه وشك (٢) رهط الرجل عشيرته وقومه (٣) تصبب اصلها تتصبب بمعنى تجري (٤) المنايا جمع منية وهي الموت (٥) الاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس (البر) الاحسان وهو ضد الاثم (معطب) عطب

أَدُّوا ٱلْحُقُوقَ تُفَرْ لَكُمْ أَعْرَاضُكُمْ ، إِنَّ ٱلْكَرِيمَ إِذَا يُحَرَّبُ يَغْضَبُ (١)

وممَّا يُتمثَّلُ به من شعره قولهُ :

لَنَا يَوْمٌ ، وَلِلْكِرْوَانِ يَوْمٌ ، تَطِيرُ ٱلْبَائِسَاتِ ، وَمَا نَطِيرُ (٢)

وقوله :

وَتَرُدُّ عَنْكَ مَخِيلَةَ ٱلرَّجُلِ — ٱلْعِرِّيضِ ، مُوضِحَةٌ عَنِ ٱلْعَظْمِ (٣)

بِحُسَامِ سَيْفِكَ ، أَوْ لِسَانِكَ — وَٱلْكَلِمِ ٱلْأَصِيلِ كَأَرْغَبِ ٱلْكَلْمِ (٤)

ومن شعره قوله يهجو عبد عمرو الذي تقدم ذكره :

وَفَرَّقَ عَنْ بَيْتَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَعَمْرًا وَعَوْفًا مَا تَشِي وَتَقُولُ (٥)

وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَدْنَى شَمَالٌ عَرِيَّةٌ ، شَآمِيَّةٌ ، تَزْوِي ٱلْوُجُوهَ ، بَلِيلُ (٦)

وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَقْصَى صَبًا غَيْرُ قَرَّةٍ ، تَذَاءَبُ مِنْهَا مُرْزِغٌ وَمُسِيلُ (٧)

---

(١) (تُفَر) تُحفظ وتُصن . يقال وفر فلان عرضه اي حفظه وصانه (الاعراض) جمع عِرْض وهو النفس (يُحرَّب) يُغضَب . يقال حرَّبه اذا اغضبه .

(٢) تقدم تفسيره في الصفحة (١٠٨) (٣) المخيلة الكِبْر (العريض) الذي يتعرَّض للناس بالشر (موضحة) فاعل ترد . اي ترد عنك كِبرهُ ضربةٌ موضحةٌ اي كاشفة عن العظم (٤) بحسام سيفك اي بسيفك الحسام اي القاطع (الكلم الاصيل) هي الكلمات المحكمة الناتجة عن حكمة وروية ' واصل الكلم بكسر اللام . والاصالة هي جودة الرأي والفكر

(٥) تشي فعل مضارع من الوشاية ' وماضيه وشى . (٦) الادنى الاقرب (الشمال) ريح تهب من جهة الشمال (العرية) الريح الباردة (شآمية) تأتي من جهة الشام ' لان بلاد الشام هي في شمال الجزيرة (تزوي الوجوه) تقبضها وتكلّحها لشدة بردها ' والماضي منه زوى (بليل) فيها بلل اي رطوبة ' والبليل هي الريح الباردة مع ندًى (٧) الاقصى الابعد (الصبا) ريح تهب من مطلع الثريَّا الى بنات نعش —

وَأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بِٱلظَّنِّ: أَنَّهُ — إِذَا ذَلَّ مَوْلَى ٱلْمَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ (١)

وَأَنَّ لِسَانَ ٱلْمَرْءِ — مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ — حَصَاةٌ — عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ (٢)

وَأَنَّ ٱمْرَأً لَمْ يَعْفُ يَوْماً — فُكَاهَةً — لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءاً بِهِ، لَجَهُولُ (٣)

والبيت الذي قبل الاخير وعَجُزُ ما قبله مما يُتمثَّلُ به .

ومن شعره قوله في هجاء قومه :

أَسْلَمَنِي قَوْمِي، وَلَمْ يَغْضَبُوا — لِسَوْءَةٍ حَلَّتْ بِهِمْ، فَادِحَهْ (٤)

وَكُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ . — مَا أَشْبَهَ ٱللَّيْلَةَ بِٱلْبَارِحَهْ (٥)

وصدر البيت الثاني ممَّا يُتمثَّل به ايضاً، وكذا عَجُزُه .

وقوله في وصف الخيل :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ ٱلْخَيْلَ وَهْيَ مُغِيرَةٌ، — وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ ٱلرَّبَلَاتِ (٦)

رَبَلَاتِ جُودٍ تَحْتَ قَدٍّ بَارِعٍ، — حُلْوِ ٱلشَّمَائِلِ، خَيِّرِ ٱلْهَلَكَاتِ (٧)

— (غير قرَّة) غير باردة (تذاءب) اتى من كل جانب (المرزغ) مطر يُرزغ الارض اي يجعل عليها وحلًا قليلًا . والرَّزغة الوحل القليل (المسيل) اراد بهِ المطر الذي يُسيل السيل على وجه الارض — يصفه بانهُ ضارٌّ باقربائه نافعٌ للبعداء عنه .

(١) المولى يُطلق على السيد والعبد وابن العم، والمراد به هنا الاخير

(٢) الحصاة العقل (٣) فُكاهة عن طيب نفس . يقال فكه الرجل، من باب علم اي كان طيّب النفس ضحوكاً يحب المزج، فهو فَكِهٌ .

(٤) السوءة الفاحشة والخصلة القبيحة (فادحة) عظيمة باهظة صعبة . يقال فدحه الامر والحمل والدَّين اي اثقله وبهظه (٥) اروغ احيل وامكر واخدع . يقال راغ الرجل والثعلب عن الطريق روْغًا وروغانًا، اي حاد عنه هكذا وهكذا مكرًا وخديعة (٦) الربلات جمع ربلة وهي اصول الافخاذ (٧) القد القامة (بارع) فائق جميل (الشمائل) الطباع، ومفردها شمال بكسر الشين (الخير) الفاضل —

رَبَلَاتِ خَيلٍ مَا تَزَالُ مُغِيرَةً ، يَقْطُرْنَ مِنْ عَلَقٍ عَلَى الثُّنَّاتِ[١]

وقوله :

وَتَقُولُ عَاذِلَتِي [وَلَيسَ لَهَا بِغَدٍ وَلَا مَا بَعْدَهُ عِلْمُ] :[٢]
إِنَّ الثَّرَاءَ هُوَ الْخُلُودُ ، — وَإِنَّ الْمَرْءَ يُكْرِبُ يَوْمَهُ الْعُدْمُ[٣]
وَلَئِنْ بَنَيْتُ إِلَى الْمُشَقَّرِ ، فِي هِضَبٍ تُقَصِّرُ دُونَهَا الْعُصْمُ[٤]
لَتُنَقِّبَنْ عَنِّي الْمَنِيَّةُ ، — إِنَّ اللهَ لَيسَ لِحُكْمِهِ حُكْمُ[٥]

وله البيت المشهور الذي جرى مجرى المثل ، وليس هو من معلقته[٦] :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ ، وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ، فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

ومن جيد شعره قوله :

أَلْخَيرُ أَبْقَى ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ،
وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيتَ مِنْ زَادِ[٧]

— المختص بالخير (الهلكات) السنين المجدبه — اراد انه ذو خيرات في السنين ذات القحط والجدب . ومفرد الهلكات هلكة وتجمع ايضاً على هُلك .

(١) العلق الدم (الثنّات) جمع ثنّة وهي الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة فاذا طالت تكاد تبلغ الارض (٢) عاذلتي لائمتي ، واراد من تلومه على عدم ادخاره المال . والعذل اللوم . (٣) الثراء كثرة المال والغنى (يكرب) يدني ويقرّب (يومه) يوم وفاته (العدم) الفقر (٤) المشقر محل في ارض اليمامة (الهضب) جمع هضْبة وهي الجبل من صخرة واحدة او هي الجبل المنبسط على وجه الارض ، وتجمع ايضاً على هضبات وهُضب وهِضاب (العصم) جمع اعصم وهو الظبي والوعل الذي في ذراعيه او في احداهما بياض (٥) تنقّب تبحث (المنية) الموت — والمعنى اني لو بنيت في مكان مرتفع تقصّر عن الوصول اليه الظباء والوعول فان الموت يبحث عني ويوافيني ولا يحول بيني وبينه الغنى وكثرة المال . فالغنيّ والفقير في موافاة الاجل سواء (٦) وقيل هو لعدي بن زيد (٧) اوعى الشيء : وضعه في وعاء .

ومن شعره قوله [وهو في السجن يخاطب عمرو بن هند] من قصيدة :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي ،
وَلَمْ أُعطِكُمْ بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي

أَبَا مُنْذِرٍ ، أَفْنَيْتَ . فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا .
حَنَانَيْكَ ، بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وقوله : « بعض الشر اهون من بعض » مما يُتمثَّلُ به .

ولهُ البيت المشهور :

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى   وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ فَاعِلُ [1]

وقد قال طرفة الشعر وهو صغير . وقد رُوِيَ عنه انه خرج مع عمه في سفرٍ وهو ابن سبع سنين . فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخٍّ لهُ الى مكان يقال له مَعمر . فنصبه للقنابر . وبقي عامة يومه . فلم يصِدْ شيئاً . ثم حمل فَخَّه وعاد الى عمه . فحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطنَ ما نثر لهنَّ من الحب ، فقال ، وهو اول شعر قاله :

يَا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ !   خَلَا لَكِ الْجَوُّ ، فَبِيضِي وَاصْفِرِي [2]
وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي ،   قَدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْكِ ، فَابْشِرِي
وَرُفِعَ الْفَخُّ ، فَمَا ذَا تَحْذَرِي ؟   لَا بُدَّ يَوْماً أَنْ تُصَادِي ، فَاصْبِرِي

---

(١) الطرق بالحصى : كناية عن التكهن لادراك الغيب . ومثله زجرُ الطير : كانوا يطيرون الطائر فان طار الى يمين المطير استبشر ، وان طار الى يساره استنكر

(٢) القبَّرة ، وقد يقال القنبرة والقُنْبُراء : نوع من العصافير . والجمع قنابر .

معلقته وسبب نظمها

معلَّقته احسن شعره بلا ريب ، فقد اتى فيها بالمبـدع من الوصف والحكمة والموعظة والعتاب ، وفيها يشبه حدوج[1] حبيبته بالسُّفُن السابحة ، ويصف ناقته وصفاً جميلاً دقيقاً يوهم السامع انه يصف حبيبته ، ثم لايلبث ان يعدل عمَّا توَّهم . وقد وصف كل عضو من اعضائها حتى ذيلها وقلبها ، ثم انتقل الى الحكمة والموعظة والعتاب .

وقد ذكروا في سبب نظمها ان اخاه معبدًا كانت له إِبل ضلَّتْ ، فذهب طرفة الى ابن عمه مالك ، ورغب اليه ان يُعِينه في طلبها . فقال له : « فرَّطت فيها ثم اقبلت تتعب في طلبها » فهاجت قريحته لذلك ، وقال معلقته . وفيها يعاتبهُ على تعنيفهِ وعذله ، ويأسف لانه لايقدر على ان يردّ عليه ملامته وتعنيفه لمكانته عنده . وقد ندَّد فيها ايضاً باعمامه ، لانهم كانوا ظلموا احقهُ ، وابوا قسمة ماله بعد وفاة ابيهِ وهو صغير .

ولما بلغت القصيدة ابن عمه عمرو بن مَرْثَد ، وسمع قوله فيها :

وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ ،
وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بْنَ مَرْثَدِ

وجَّهَ الى طرفة يقول لهُ : « أمَّا الولد فالله يعطيكم ، واما المال فسنجعلك فيه أُسوتنا » ودعا ولده [وكانوا سبعة] فأَمرهم ، فدفع كل منهم الى طرفة عشرة من الابل ، ثم امر ثلاثة من بني بنيه فدفعوا له مثل ذلك .

---

(١) الحدوج : جمع حِدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج .

نخبة من معلّقته

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ، تَلُوحُ كَبَاقِي ٱلْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ ٱلْيَدِ (١)

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ، يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ (٢)

كَأَنَّ حُدُوجَ ٱلْمَالِكِيَّةِ — غُدْوَةً — خَلَايَا سَفِينٍ بِٱلنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ (٣)

عَدَوْلِيَّةٌ ، أَوْ مِنْ سَفِينِ ٱبْنِ يَامِنٍ ، يَجُورُ بِهَا ٱلْمَلَّاحُ طَوْرًا ، وَيَهْتَدِي (٤)

يَشُقُّ حَبَابَ ٱلْمَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا ، كَمَا قَسَمَ ٱلتُّرْبَ ٱلْمُفَايِلُ بِٱلْيَدِ (٥)

---

(١) خولة : اسم امرأة (الاطلال) جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار اي ارتفع عن الارض حتى يُرى (برقة ثهمد) موضع لبني دارم (تلوح) تبدو وتظهر (الوشم) غرز الابرة في البدن وذرُّ شيءٍ كالكحل مكانها (٢) قد توارد طرفة وامرؤ القيس على هذا البيت مع اختلاف القافية . وقد تقدم شرحه في الصفحة (٩٥) و (التجلُّد) تكلُّف الجلادة والصبر . وكان ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين ينكر الموارَدة ، حتى وارد غيره في قوله :

سفرنَ بدوراً وانتقبنَ اهلَّةً ومسنَ غصوناً ، والتفتنَ جآذرا

فاعترف بها . وكان المتنبي يقول : « الشعر ميدان ، والشعراء فرسان ، فربما اتفق توارد الخواطر ، كما قد يقع الحافر على الحافر » (٣) الحدوج : جمع حِدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج (المالكية) امرأة منسوبة الى سعد بن مالك (الخلايا) جمع خَلِيَّة وهي السفينة العظيمة (السفين) جمع سفينة . واضافة الخلايا للسفن من اضافة الخاص الى العام (النواصف) جمع ناصفة ، وهي مسيل الماء الى الوادي (دد) اسم موضع

(٤) عدولية : منسوبة الى عدولى وهي قرية بالبحرين . ويجوز فيها الرفع على انها صفة لخلايا والجر على انها صفة لسفين (ابن يامن) كان ملَّاحاً من اهل البحرين (يجور) يميل عن الطريق والمعنى يضل عنها (٥) الحباب : فقاقيع الماء التي تعلو وجهه (الحيزوم) الصدر وجمعه حيازيم (المفايل) صانع الفِيَال وهي لعبة لفتيان العرب ، وذلك انهم يكوّمون تراباً او رملاً ثم يخبئون فيه خبيئاً ثم يشق المفايل بيده الكومة قسمين فيقول : في اي الجانبين خبَّأتُ ؟ فان اصاب المجيب غَلب والّا قُمِر .

وَإِنِّي لَأُمْضِي ٱلْهَمَّ عِنْدَ ٱحْتِضَارِهِ ... بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ، تَرُوحُ وَتَغْتَدِي (١)

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ، وَأَتْبَعَتْ ... وَظِيفاً وَظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ (٢)

صُهَابِيَّةُ ٱلْعُثْنُونِ، مُوجَدَةُ ٱلْقَرَا ... بَعِيدَةُ وَخْدِ ٱلرِّجْلِ، مَوَّارَةُ ٱلْيَدِ (٣)

وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ — إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ — ... كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ (٤)

. . . . . .

إِذَا ٱلْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ (٥)

---

(١) امضي : أنفذ (الهم) العزيمة والارادة (الاحتضار) الحضور (العوجاء) الناقة الضامرة (مرقال) مسرعة (الرواح) الذهاب وقت العشيّ (الاغتداء) الذهاب وقت الغداة – يريد انها تصل سير العشي بسير الغداة فهي صابرة على السير

(٢) باراه يباريه مباراة : عارضه وفعل مثل فعله على سبيل المغالبة (العتاق) جمع عتيق وهو الكريم من الخيل والابل (الناجيات) السريعات في سيرها (الوظيف) ما بين الرسغ الى الساق (المور) الطريق المستوي الموطوء ، سُمي بذلك لانهُ يمار عليهِ ان يُتحرَّك ذهاباً واياباً (معبَّد) موطَّأ مذلَّل بكثرة المشي عليهِ . (٣) صهابية العثنون : شقراؤه. يقال : صهِب الشعر صَهَباً وصُهْبَةً وصُهوبةً – من باب علم – ان كان فيهِ شقرة او حمرة (العثنون) شعرات طوال تحت حنك البعير (موجدة القرا) قوية الظهر (الوخد) نوع من السير وهو ان يرمي البعير بقوائمهِ كمشي النعام (موّارة) كثيرة المور اي الحركة .

(٤) الاتلع : العنق الطويل . يقال : اتلع الرجل اي مدّ عنقه متطاولاً . وتلع اي طالت عنقه (نهّاض) كثير النهوض (صعدت به) رفعته (السكان) هو ذنب السفينة لانها بهِ تُقوَّم وتسكن . واراد بالسكان هنا الخشبة الطويلة التي تُشدُّ في وسط السفينة يمدُّ عليها الشراع وتسمى « الدقل » – (البوصي) نوع من السفن والكلمة معربة (دجلة) نهر معروف ببغداد (مصعد) سائر . يقال اصعدت السفينة اي مدّت شراعها فذهبت بها الريح (٥) من فتى ، اي مَن الفتى المدخر للامر العظيم ؟ (خلت) ظننت ، هذا اصل معناها واراد بها هنا معنى علمت وتيقنت والدليل قرينة الحال والمقام (عنيت) قصدت

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ ٱلتِّلَاعِ مَخَافَةً ،
وَلَٰكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ ٱلْقَوْمُ أَرْفِدِ [١]

فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ ٱلْقَوْمِ تَلْقَنِي ،
وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي ٱلْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ [٢]

وَإِنْ يَلْتَقِ ٱلْحَيُّ ٱلْجَمِيعُ تُلَاقِنِي
إِلَى ذُرْوَةِ ٱلْبَيْتِ ٱلشَّرِيفِ ٱلْمُصَمَّدِ [٣]

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي ٱلْخُمُورَ وَلَذَّتِي ... وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلَدِي [٤]
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي ٱلْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ... وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُعَبَّدِ [٥]
رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي ، ... وَلَا أَهْلُ هٰذَاكَ ٱلطِّرَافِ ٱلْمُمَدَّدِ [٦]

أَلَا أَيُّهٰذَا ٱلزَّاجِرِي أَحْضُرَ ٱلْوَغَى ،
وَأَنْ أَشْهَدَ ٱللَّذَّاتِ ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي ؟ [٧]

---

(١) التلاع جمع تلعة وهي مجرى الماء من اعلى الارض الى بطون الاودية وهي ايضاً المرتفع من الارض والمنخفض منها فهي من الاضداد ، والمعنى لست انزل مكاناً غير معروف بحيث لا يراني من يطلبني (يسترفد القوم) يطلبون رفدي وعطائي (ارفد) أُعطِ .

(٢) تبغني : تطلبني (حلقة القوم) حيث يجتمعون حلقات (تلتمسني) تطلبني (الحوانيت) جمع حانوت وهو مكان مبيع الخمر (٣) الحي : القبيلة (الجميع) المجتمع (ذروة الشيء) بتثليث الذال : اعلاه (المصمّد) هو من يقصده الناس بحاجاتهم ، ومثله الصمد (٤) التشراب : كثرة الشرب (الطريف) المال المستحدث الذي يجنيه الانسان بنفسهِ وسعيهِ (المتلد) المال القديم الموروث ، ومثله التليد والتالد (٥) تحامتني : تجنّبتني (أُفردت) تُركت منفرداً (المعبّد) المذلل بسبب ما اصابه من الجرب

(٦) بنو غبراء : الفقراء المحاويج . والغبراء الارض (الطراف) البيت من الجلد (الممدّد) الممدود بالاطناب . وكنى باهل الطراف عن الاغنياء (٧) الزجر المنع (احضر) مضارع منصوب بان المحذوفة على غير قياس ، والاصل ان احضر (الوغى) الحرب ، وهي في الاصل اصوات المقاتلين فيها (مخلدي) اي جاعلي خالداً في هذه الحياة من غير موت

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي   فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي (١)

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ   كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي ٱلْبَطَالَةِ مُفْسِدِ : (٢)

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ ، عَلَيْهِمَا   صَفَائِحُ صُمٌّ ، مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدِ (٣)

أَرَى ٱلْمَوْتَ يَعْتَامُ ٱلْكِرَامَ ، وَيَصْطَفِي
عَقِيلَةَ مَالِ ٱلْفَاحِشِ ٱلْمُتَشَدِّدِ (٤)

أَرَى ٱلْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ،
وَمَا تَنْقُصِ ٱلْأَيَّامُ وَٱلدَّهْرُ يَنْفَدِ (٥)

لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ — مَا أَخْطَأَ ٱلْفَتَى —
لَكَالطِّوَلِ ٱلْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِٱلْيَدِ : (٦)

مَتَى مَا يَشَأْ يَوْماً يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ ،
وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ ٱلْمَنِيَّةِ يَنْقَدِ (٧)

---

(١) المنية الموت (ابادرها) اعاجلها (٢) النحّام البخيل الذي اذا سُئل نحم اي تنحنح (الغوي) الضّال عن طريق الصواب .

(٣) الجثوة بتثليث الجيم : الكومة من التراب او الحجارة (الصفائح) الحجارة العريضة ، ومفردها صفيحة (صمّ) صلاب ، ومفردها للمذكر اصمّ وللمؤنث صمّاء (الصفيح) وجه كل شيء عريض واراد به معنى الصفائح (منضد) مفروش مضموم بعضه الى بعض . يقال نضَد المتاع ونضّده اي ضمّ بعضه الى بعض متّسقاً او مركوماً (٤) يعتام يختار ، ومثله يصطفي (عقيلة كل شيء) خياره (الفاحش) الشديد البخل (المتشدد) المبالغ والمراد به هنا المبالغ في الحرص على ماله والمحافظة عليه محافظة شديدة

(٥) العيش اراد به العمر (ينفد) يفنَ فلا يبقى منهُ شيء (٦) الطّوَل الحبل الطويل تشدُّ به قائمة الدابة (المرخى) المطول (ثنياه) طرفاه . والمعنى ان الموت مهما اخطأ الانسان فهو لا بد آتيه . وقد ضرب لذلك مثلًا الدابة المربوطة بحبل فمهما طوّل لها صاحبها وتركها ترعى فهو لا بد ان يجذبها اليه متى حان وقت انصرافه . وكذلك الانسان لا بد ان يقوده الموت بحبله (٧) يقده يجره (الحتف) الموت —

فَمَا لِي أَرَانِي وَٱبْنَ عَمِّيَ مَالِكًا ،
مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي وَيَبْعُدِ ؟ (١)

يَلُومُ ، وَمَا أَدْرِي عَلامَ يَلُومُنِي ؟ ،
كَمَا لَامَنِي فِي ٱلْحَيِّ قُرْطُ بْنُ أَعْبَدِ (٢)

وَأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ ،
كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسِ مُلْحَدِ (٣)

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قُلْتُهُ ، غَيْرَ أَنَّنِي
نَشَدْتُ — فَلَمْ أُغْفِلْ — حَمُولَةَ مَعْبَدِ (٤)

وَظُلْمُ ذَوِي ٱلْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً
عَلَى ٱلْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ (٥)

أَنَا ٱلرَّجُلُ ٱلضَّرْبُ ٱلَّذِي تَعْرِفُونَهُ ، خَشَاشٌ كَرَأْسِ ٱلْحَيَّةِ ٱلْمُتَوَقِّدِ (٦)

— (ينقد) ينجر ، يقال انقاد الشيء ينقاد انقياداً (١) دنا يدنو دنوًّا : قرب (نأى ينأى نأياً) بعد (٢) علام على اي شيء ، فعلى حرف جر وما استفهامية وحُذفت الفها تخفيفاً ، كما هي القاعدة فيها اذا دخل عليها حرف الجر (٣) أيأسني جعلني يائساً قانطاً (الرمس) القبر (الملحد) الموضوع في اللحد . والمعنى انه قطع حبل رجائي واملي فلم يكن ليرجى منه خير كما لايرجى شيء من الميت (٤) نشد الضائع طلبه وبحث عنه (الحمولة) الابل التي يُحمل عليها (معبد) هو اخو طرفة (٥) المضاضة ألم المصيبة في القلب . يقال امضه الامر اي احرقه واوجعه وآلمه (وقع الحسام) نزوله وشدة ضربته . والحسام السيف القاطع (المهند) السيف المصنوع في الهند ، وكان للهنود حذق في صنع السيوف ومهارة فائقة (٦) الضرب : الرجل الخفيف اللحم ، والرجل الماضي في امره . والمعنى على الاول (الخشاش) بفتح الخاء هو الرجل الماضي في امره . امَّا بكسر الخاء فهي حية الجبل كما ان الافعى حية السهل . ومن معاني الخشاش المكسور الخاء : حشرات الارض والعصافير ونحوها (المتوقد) الكثير الحركة . والتوقد في الاصل هو اشتعال النار

فَآلَيْتُ لَا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً   لِعَضْبٍ، رَقِيقِ ٱلشَّفْرَتَيْنِ، مُهَنَّدِ (١)

حُسَامٍ، إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ
كَفَى ٱلْعَوْدَ مِنْهُ ٱلْبَدْءُ، لَيْسَ بِمِعْضَدِ (٢)

أَخِي ثِقَةٍ، لَا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيبَةٍ،
إِذَا قِيلَ: مَهْلًا، قَالَ حَاجِزُهُ: قَدِي (٣)

إِذَا ٱبْتَدَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلسِّلَاحَ وَجَدْتَنِي   مَنِيعًا، إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي (٤)

فَإِنْ مُتُّ فَٱنْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ،   وَشُقِّي عَلَيَّ ٱلْجَيْبَ، يَا ٱبْنَةَ مَعْبَدِ (٥)

وَلَا تَجْعَلِينِي كَٱمْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ   كَهَمِّي، وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي (٦)

بَطِيءٍ عَنِ ٱلْجُلَّى، سَرِيعٍ إِلَى ٱلْخَنَا،   ذَلُولٍ بِأَجْمَاعِ ٱلرِّجَالِ، مُلَهَّدِ (٧)

---

(١) آليت حلفت، والأَلِيَّة الحلف (الكشح) ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وعليه يكون السيف (البطانة) للثوب ما يلي منه الجسد (العضب) السيف القاطع (الشفرة) حدُّ السيف (٢) المعضد السيف المتخذ لقطع الاشجار. يقول: اذا قمت منتصرًا بهذا الحسام فلا احتاج الى ان اضرب به اكثر من ضربة واحدة. فاذا بدأت بضربة كفتني ان اعود الى ثانية (٣) اخي ثقة: موثوق به معتمد عليه (لا ينثني) لا يرجع (الضريبة) المضروبة. اي لا ينبو عما تضرب به فيرجع خائبًا. وانما لحقتها التاء — مع ان ما كان على وزن فعيل بمعنى مفعول كان مذكره ومؤنثه سواء — لانها خرجت عن معنى الوصفية الى معنى الاسمية (الحاجز) المانع والمراد به حامله (قدي) حسبي. اي اذا قال قائل للضارب به: مهلًا فلا تضرب ثانية قال له كفتني الضربة الاولى (٤) ابتدروا السلاح: استبقوا اليه (بلت) لصقت (قائم السيف وقائمته) مقبضه (٥) النعي اشاعة خبر الموت. والناعي والنعي هو الذي يأتي بهذا الخبر (الجيب) من القميص هو الذي يدخل منه الرأس (ابنة معبد) ابنة اخيه معبد (٦) همه: عزمه وقصده (يغني غنائي) ينفع نفعي (مشهدي) اي ولا يشهد شهودي (٧) الجلى الامر الجليل العظيم (الخنا) الفحش (ذلول) ذليل (الاجماع) جمع جُمْع وهو قبض الرجل اصابعه ليضرب بها. وضربة الجمع هوان يفعل الرجل كذلك (الملهد) مدفع يدفعه الناس

فَلَوْ كُنْتُ وَغْلًا فِي ٱلرِّجَالِ لَضَرَّنِي
عَدَاوَةُ ذِي ٱلْأَصْحَابِ وَٱلْمُتَوَحِّدِ [١]

وَلٰكِنْ نَفَى عَنِّي ٱلرِّجَالَ جَرَاءَتِي
عَلَيْهِمْ ، وَإِقْدَامِي ، وَصِدْقِي ، وَمَحْتِدِي [٢]

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ
نَهَارِي ، وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ [٣]

أَرَى ٱلْمَوْتَ أَعْدَادَ ٱلنُّفُوسِ ، وَلَا أَرَى
بَعِيدًا غَدًا ، مَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ غَدِ ! [٤]

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ،
وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ [٥]

وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ
بَتَاتًا ؛ وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ [٦]

---

(١) الوغل: الضعيف النذل اللئيم (المتوحد) المنفرد عن غيره (٢) نفى باعد (المحتد) الاصل في النسب (٣) غمة: مبهم ملتبس (السرمد) الدائم (٤) اي ارى الموت على قدر عدد النفوس (٥) لم تزود اي لم تعطه زادًا والزاد طعام السفر . والمعنى انه يأتيك بالاخبار من لم تعطه الزاد ليسافر و يأتيك بها ، فهو يجيئك بها على غير قصد

(٦) لم تبعْ له : لم تشترِ لاجلهِ (البتات) الزاد او ما يدخره الرجل لسفره من زاد ومركب وما يصلح لسفره . وهو بمعنى البيت الاول .

٣ زُهَيْر بن ابي سُلمى

توفي سنة (٦٣١) لميلاد المسيح عليه السلام

هو زُهَير بن ابي سُلْمَى، واسم ابي سُلمى ربيعةُ بن رِياح بن قرّة بن الحارث بن مازن، وينتهي نسبه الى مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدْنان.

وهو احد الثلاثة المقدَّمين على سائر الشعراء، وانما اختلفوا في تقديم احد الثلاثة على صاحبيه. اما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ القيس، وزهير، والنابغة الذبياني.

حدّث عِكرِمَة بن جرير، قال: «قلت لابي: يا أبتي، مَنْ اشعرُ الناس؟» قال: «أعنِ الجاهلية تسألني ام عن الاسلام؟» قلت: «ما اردتُ الاّ الاسلام، فاذ ذكرتَ الجاهلية فأخبرْني عن اهلها» قال «زهير اشعر اهلها» قلت «فالاسلام؟» قال: «الفرزدق نَبْعة الشعر [1]» قلت: «فالاخطل؟» قال: «يُجيد مدح الملوك، ويُصيب صفة الخمر» قلت: «ما تركت لنفسك؟» قال «نحرتُ الشعر نحرًا»

وسُئل العباس بن الأحنف بن قيس عن اشعر الشعراء، فقال: «زهير» قيل: «وكيف؟» قال: «ألقى عن المادحين فُضول الكلام»

---

(١) النبعة في الاصل: هي واحدة النَّبْع، وهو شجر تتخذ منه القِسيّ ومن اغصانه السهام. واراد بنبعة الشعر اصله ومصدره.

قيل : « مثل ماذا ؟ » قال : مثل قوله :

فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبلُ

قال ابن عباس : خرجت مع عمر بن الخطاب [رضي الله عنهما] في اول غزاة غزاها . فقال لي: « أنشدني لشاعر الشعراء » قلت : «ومن هو ياامير المؤمن ؟ » قال ابن ابي سلمى » قلت : وبمَ صار كذلك قال : «لانهُ لايتبّع حوشيّ الكلام ، ولا يعاظل في المنطق [1] ، ولا ولا يقول الاّ مايعرف ، ولا يمتدح احداً الاّ بما فيه . أليس الذى يقول:

إِذَا ٱبْتَدَرَتْ قَيسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً ... مِنَ ٱلْمَجْدِ [مَنْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا يُسَوَّدِ][2]

سَبَقْتَ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ ، ... سَبُوقٍ إِلَى ٱلْغَايَاتِ ، غَيْرِ مُزَنَّدِ[3]

فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ ٱلنَّاسَ لَمْ تَمُتْ ، ... وَلٰكِنَّ حَمْدَ ٱلنَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ

أنشدني » فأنشدته حتى برق الفجر . فقال : « حسبُكَ الآن ، فاقرأ القرآن» قلت : «وما اقرأ ؟» قال : «اقرأ الواقعة » فقرأتها ، ونزل فأذَّن وصلّى .

وقد روي أن النبي [صلى الله عليه وسلم] نظر الى زُهير وله مئة سنة ، فقال : «اللهم أعذني من شيطانه » فما لاك بعدها بيتاً حتي مات.

وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع .

---

(١) المعاظلة : تعقيد الكلام وابهامه (٢) ابتدروا الشيء : استبقوا اليه (يسوّد) يجعل سيداً (٣) الطلق الظبي اي الغزال وجمعه أطلاق . فلان طَلْق اليدين ، اي سخيّ كريم (المزنّد) هو البخيل .

وكان حديث زهير واهل بيته أَنّهم كانوا من مُزَينة احدى قبائل مضر . وكان يقيم هو وابوه وولده في منازل بني عبد الله بن غطفان بالحاجز من نَجْد . واول من نزل هناك منهم ابوه (ابو سُلمى) لانه تروج امرأة من بني فهر بن مُرَّة من ذبيان بن غطفان ، فولدت له زهيرًا واوساً . وتروج زهير امرأة من سُحَيم بن مُرَّة . ولذلك كان يذكر في شعره بني مُرَّة وغطفان ويمدحهم .

وكان من امر ابيهِ أَنه خرج وخالهُ اسعد بن الغُرَير بن مُرَّة الذبياني وابنه كعب بن اسعد ، في ناسٍ من بني مُرَّة يُغيرون على طَيّ . فأصابوا نَعَماً كثيرة واموالاً ، فرجعوا حتى انتهوا الى ارضهم . فقال ابو سلمى لخالهِ اسعد وابن خالهِ كعب : أَفرِدا لي سهمي ، فأَبيا عليه ومنعاه حقَّه ، فكفَّ عنهما . حتى اذا كان الليل اتى الى امِه ، فقال لها : « والذي أَحلِفُ بهِ لَتَقومِنَّ الى بعيرٍ من هذه الإِبِل فَلَتَقْعُدِنَّ عليهِ او لأَضرِبَنَّ بسيفي تحت قُرطَيْك » فقامت امُّه الى بعيرٍ منها فاعتنقت سَنامه [1] وساق بها ابو سلمى ، حتى انتهى الى قومهِ (مُزَينة) . فلبث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمزينة مُغيرًا على بني ذبيان . حتى اذا مُزَينةُ أَسهلت [2] وخلَّفتْ بلادها ونظروا الى ارض غَطَفان ، تطايروا عنه راجعين وتركوه وحده . وأقبل حين رأى ذلك من مزينة ، حتى دخل في اخوالهِ بني مرة . فلم يزل هو وولده في بني عبد الله بن غطفان .

فنشأ زهير فيهم ، وهناك قال قصيدته المعلَّقه يذكر فيها قتل وَرْد

---

(١) سنام الجمل ما ارتفع من ظهره (٢) اي صارت في السهل .

ابن حابس العبسي هَرِمَ بن ضَمْضَم المري ، ويمدح فيهـا هَرِمَ بن سِنان ابن ابي حارثة والحارث بن عوف بن سعد بن ذبيان المُرِّيَّيْنِ ، لانهما احتملا دِيتَهُ من مالهما

وكان زهير بعد ذلك يكثر من مدح هَرِم وابيهِ سنان ، ولهُ فيهما قصائد غُرّ . فحلف هرم ان لا يمدحه الاّ اعطاه ، ولا يسأله الاّ اعطاه ، ولا يُسَلِّم عليهِ الاّ اعطاه عبدًا او وليدة او فرساً . فاستحيا زهير من كثرة بَذْلِهِ لهُ على كل حال ، وجعل يتجنَّب مقابلته .

وكان اذا رآه في محفل قال : « عِموا صباحاً غيرَ هَرم ، وخيرَكمُ استثنيت » وسيأتي ذكر طَرَفٍ من مدائحه فيه عند الكلام على شعره

وسأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) احد اولاد زهير : « ما فعلت الحُللُ التي كساها هرمٌ اباك ؟ » قال : « قد ابلاها الدهر » قال عمر : « ولكنَّ الحللَ التي كساها ابوك هرماً لم يُبلها الدهر » يعني قصائده التي مدحه بها .

ويروى عنهُ ايضاً انه قال لبعض ولد هرم : « أَنشِدْني بعضَ مدح زهير اباك » فأنشده فقال : « إنّه كان ليُحْسِنُ فيكم المدح » قال : « ونحن والله كنا لَنُحْسِنُ له العطية » قال : « قد ذهب ما اعطيتموه وبقيَ ما اعطاكم »

وقيل : لم يترك زهير من آل ابي حارثة (وهو جدُّ هرم) غنياً ولا فقيرًا الاّ مدحه .

موت زهير

كان زهير قد رأى في منامه في آخر عمره أنَّ آتياً اتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسُّها بيده ، ثم تركه فهوى الى الارض . فلما احتُضر قصَّ رؤياه على ولده كعب . ثم قال : اني لا اشكُّ انه كائنٌ من خبر السماء بعدي ، فان كان فتمسَّكوا به وسارعوا اليه . ثم تُوفِّيَ قبل مَبعَثِ النبي (عليه الصلاة والسلام) بسنة .

فلما بُعث الرسول (عليه الصلاة والسلام) خرج اليه ولده كعب بقصيدته (بانت سعاد) المشهورة ، واسلم .

ورويَ ايضاً انه رأى في منامه ان سبباً [1] تدلَّى من السماء الى الارض ، كأنَّ الناس يُمسكونه . وكلما اراد ان يُمسكَه تقلَّص عنه . فأوَّلَهُ بنبيّ آخر الزمان ، فانه واسطة بين الله وبين الناس ، وانَّ مدته لا تصل الى زمن مبعثه ، فاوصى بنيه ان يؤمنوا به عند ظهوره .

وكانت وفاته سنة (٦٣١) لميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام .

ولما مات زهير قالت اخته (خنساء) ترثيه :

وَمَا يُغْنِي تَوَقِّي ٱلْمَرْءِ شَيْئًا ، وَلَا عَقْدُ ٱلتَّمِيمِ وَلَا ٱلْغَضَارُ [2]

إِذَا لَاقَى مَنِيَّتَهُ فَأَمْسَى يُسَاقُ بِهِ ، وَقَدْ حَقَّ ٱلْحِذَارُ [3]

وَلَاقَاهُ مِنَ ٱلْأَيَّامِ يَوْمٌ ، كَمَا مِنْ قَبْلُ لَمْ يَخْلُدْ قُدَارُ [4]

---

(١) اي حبلًا (٢) التميم والتميمة عَوذة تُعلَّق على صغار الانسان مخافة العين ، وجمعها تمائم . واماطة التمائم كناية عن الكِبَر (الغضار) خزف اخضر يحمل لدفع العين .

(٣) حق الحذار وقع ما كان يحذر منه . يقال « حَقَقْتُ حذَرَك » اي فعلتُ ما كنت تحذره . اي ليس يغنيه شيء اذا وافت منيته ووقع ما كان يحاذره

(٤) قدار الذي يظهر انها ارادت به قُدارًا عاقر ناقة صالح عليه السلام .

الكلام على شعره

هو احد الثلاثة المقدَّمين على سائر الشعراء كما قدمنا . وكما ان امرأ القيس امتاز بتلطيف المعاني ، وابتداع الاساليب ، واستنباط الافكار ، فقد امتاز زهير بما نظمه من منثور الحكمة البالغة ، وكثرة الامثال ، وسَنِيّ المدح ، وتجنُّب وحشيِ الكلام ، وعدم مدح احدٍ الا بما فيه . وقد كان احسن الشعراء شعرًا ، وابعدهم عن سُخْف الكلام ، واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفظ .

وكان لزهير اخلاق عالية ، ونفس كبيرة ، مع سعة صدر وحلم وورع . فرفع القوم منزلته وجعلوه سيدًا ، وكثر ماله واتسعت ثروته . وكان مع ذلك عريقاً في الشعر .

قال ابن الاعرابي : لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره : كان ابوه شاعرًا ، وخاله شاعرًا ، واخته سُلمى شاعرة ، واخته الخنساء شاعرة ، وابناه كعب وبُجير شاعرين ، وابن ابنه المضرّب بن كعب شاعرًا ، ولهذا قال الاخطل : « اشعر الناس قبيلة بنو قيس ، واشعر الناس بيتاً آل ابي سلمى ، واشعر الناس رجلاً رجلٌ في قميصي ، يعني نفسه

وكان لشعره تأثير كبير في نفوس العرب ، وهو واسطة عِقْد الفحول من شعراء الطبقة الأولى

وكان عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] مع قوم يتذاكرون اشعار العرب اذ اقبل ابن عباس ، فقال عمر : « قد جاءكم أعلمُ الناس بالشعر »

فلما جلس قال : « يا ابن عباس ، من اشعر الناس ؟ » قال : « زهير ابن ابي سُلمى » قال : فهل تنشد شيئاً تستدل بهِ على ما قلت ؟ » قال: نعم ، امتدح قوماً من غطفان ، يقال لهم بنو سنان ، فقال :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ ٱلشَّمْسِ مِنْ أَحَدٍ
قَوْمٌ ، لَأَوَّلُهُمْ يَوْماً إِذَا قَعَدُوا

مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ .
لَا يَنْزِعُ ٱللهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا

ومن محاسن شعر زهير قوله :

وَلَا تُكْثِرْ عَلَى ذِي ٱلضِّغْنِ عَتْباً ، وَلَا ذِكْرَ ٱلتَّجَرُّمِ لِلذُّنُوبِ[1]
وَلَا تَسْأَلْهُ عَمَّا سَوْفَ يُبْدِي ، وَلَا عَنْ عَيْبِهِ لَكَ فِي ٱلْمَغِيبِ
مَتَى تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخَبِّرْكَ ٱلْوُجُوهُ عَنِ ٱلْقُلُوبِ

قال ابن الاعرابي : أُمُّ أوفى ، التي ذكرها زهير في شعره ، كانت امرأته ، فولدت منه اولاداً ماتوا ، ثم تزوَّج بعد ذلك امرأة اخرى وهي أُمُّ ابنَيْهِ كعبٍ وبُجير ، فغارت من ذلك وآذَته ، فطلَّقها ، ثم ندم ، فقال فيها :

لَعَمْرُكَ [وَٱلْخُطُوبُ مُغَيِّرَاتٌ ، وَفِي طُولِ ٱلْمُعَاشَرَةِ ٱلتَّقَالِي][2]
لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى ، وَلٰكِنْ أُمُّ أَوْفَى لَا تُبَالِي[3]

---

(١) الضغن الحقد (تجرُّم الذنوب) اكتسابها .
(٢) التقالي التباغض (٣) باليت الشيء وباليت به اكترثتُ له واهتممتُ به .

وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان اتى بني غُلَيب ، واكرموه لمَّا نزل بهم وأَحسنوا جواره . وكان رجلاً مولعاً بالقمار ، فنهوه عنهُ فأبى الاَّ المقامرة . فَقُمِرَ مرة فردُّوا عليه ، ثم قُمر أُخرى فردوا عليهِ ، ثم قُمر الثالثة فلم يردوا عليه . فترحَّلَ عنهم . وشكا ما صُنع به الى زهير [والعرب حينئذٍ يتَّقون الشعراء اتِّقاءً شديداً] فقال زهير : « ما خرجتُ في ليلةٍ ظلماءَ الاَّ خفت ان يُصيبني الله بعقوبـةٍ لهجائي قوماً ظلمتهم » والذي هجاهم به قوله :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَـةَ ٱلْجِوَاءُ فَيُمْنٌ فَٱلْقَوَادِمُ فَٱلْحِسَاءُ (١)

لَقَـدْ طَالَبْتُهَا ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ — وَإِنْ طَالَتْ لَجَاجَتُهُ — ٱنْتِهَاءُ (٢)

ومنها يذمُّهم :

وَمَا أَدْرِي [وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي]
أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ ؟ (٣)

فَمَنْ فِي كَفِّـهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ
كَمَنْ فِي كَفِّـهِ مِنْهُمْ قَنَـاءُ (٤)

---

(١) عفا امحى واندرس (الجواء) اسم واد في ديار عبس واسد (يمن) اسم ماء لبني غطفان (القوادم) موضع في ديار غطفان (الحساء) اسم مـاء لبني فزارة

(٢) اللجاجة التمادي في العناد الى الفعل المزجور عنه ، ومثله اللج واللجاج . والفعل لجَّ يلَجُّ (٣) اخال اظن (القوم) الجماعة من الرجال خاصة

(٤) الخضاب هو تلوين اليدين ونحوهما بالحناء (القناء) بالهمز واصله القنـا بالقصر وهمزه للضرورة جمع قناة وهي الرمح ، ويُجمع ايضـاً على قنوات وقنيات وقُنِيّ . يريد ان رجالهم ونساءهم سواء

وفيها يقول :

أَرُونَا خُطَّةً لَا ضَيْمَ فِيهَا ، يُسَوِّى بَيْنَنَا فِيهَا ٱلسَّوَاءُ [1]
فَإِنْ تُرِكَ ٱلسَّوَاءُ فَلَيسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ — بَنِي حِصْنٍ — بَقَاءُ
فَإِنَّ ٱلْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ : يَمِينٌ ، أَوْ نِفَارٌ ، أَوْ جَلَاءُ [2]
فَذَلِكُمُ مَقَاطِعُ كُلِّ حَقٍّ ، ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ لَهُ شِفَاءُ

قال بعض الرُّواة : لو أنَّ زهيرًا نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ما زاد على ما قال : « فان الحق مقطعه ثلاث الخ »

وقد لُقِّبَ زهير بقاضي الشعراء بهذا البيت

ومما ينسب لزهير [وقد ذكره ابن هشام في اوائل شرح قصيدة « بانت سعاد »] قوله :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذَمِّي ، لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ ٱلْجَاهِلِ
فَٱخْشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ ، فِيكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا ٱلْقَائِلِ [3]
فَسَامِعُ ٱلذَّمِّ شَرِيكٌ لَهُ ، وَمُطْعِمُ ٱلْمَأْكُولِ كَٱلْآكِلِ
مَقَالَةُ ٱلسُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرٍ سَائِلِ [4]

---

(١) الخطة بضم الخاء الامر والطريقة (الضيم) الذل والظلم والقهر (السواء) النَّصفة والعدل (٢) يعني يمينًا ، او منافرة الى حاكم يقطع بالبينات ، او جلاء وهو بيان يجلو به الحق وبرهان تتضح به الدعوى (٣) الخنا قول الفحش .
(٤) المنحدر المنهبط .

وَمَنْ دَعَا ٱلنَّاسَ إِلَى ذَمِّـهِ ذَمُّوهُ بِٱلْحَقِّ وَبِٱلْبَاطِلِ

ونسب صاحب كتاب (زهر الآداب) هذه الابيات الى محمد بن حازم الباهلي، وزاد عليها هذه الثلاثة :

فَلَا تَهِـجْ — إِنْ كُنْتَ ذَا إِرْبَةٍ — حَربَ أَخِي ٱلتَّجْرِبَةِ ٱلْعَاقِلِ [1]
فَإِنَّ ذَا ٱلْعَقْلِ إِذَا هِجْتَـهُ هِجْتَ بِهِ ذَا خَبَلٍ خَابِلِ [2]
تُبْصِرُ مِنْ عَاجِلِ شِدَّاتِـهِ عَلَيْكَ غِبَّ ٱلضَّرَرِ ٱلْآجِلِ [3]

وُيستحسن قوله :

هُوَ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا، وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا، فَيَنْظَلِمُ [4]

ومما حَسُنَ من تشابيهه انه شبه امرأة بثلاثه اصناف في بيت واحد وهو قوله :

تَنَازَعَتِ ٱلْمَهَـا شَبَهًـا، وَدُرُّ —
— ٱلْبُحُورِ، وَشَاكَهَتْ فِيهَا ٱلظِّبَاءُ [5]

ثم فسَّرَ فقال :

فَأَمَّا مَا فُوَيْقَ ٱلْعِقْدِ مِنْهَـا فَمِنْ أَدْمَاءَ، مَرْتَعُهَا ٱلْخَلَاءُ [6]

---

(١) هـاج فلانٌ الشيء يهيجهُ : اثاره وهيجه . ويقال هاج الشيءُ، اي ثار وتهيج، فهو متعد ولازم (الاربة والإرب) الدهاء (٢) الخبل الجنون وهو ايضاً فساد في العقل (الخابل) المفسد (٣) غبُّ الشيء عاقبته (٤) ينظلم يحتمل الظلم (٥) المها جمع مهاة وهي البقرة الوحشية وشبه بها المرأة (شاكهت) شابهت وشاكلت (٦) فويق مصغَّر فوق ويريد بما فوق العقد العنق (الادماء) الظبية التي —

وَأَمَّا ٱلْمُقْلَتَانِ فَمِنْ مَهَـاةٍ ، وَلِلدُّرِّ ٱلْمَلَاحَـةُ وَٱلصَّفَاءُ (١)

وقال عبد الملك لقومٍ من الشعراء : « ايُّ بيتٍ أمدحُ ؟ » فأتفقوا على قول زهير :

تَرَاهُ – إِذَا مَا جِئْتَـهُ – مُتَهَلِّلَا ،
كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ ٱلَّذِي أَنتَ سَائِلُـهْ (٢)

وهذا البيت من ابيات يمدح فيها هَرِمَ بن سنان بن ابي حارثة المريّ وفيها يقول :

وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ ، يَدَاهُ غَمَامَةٌ ، عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُـهْ (٣)
تَرَاهُ – إِذَا مَا جِئْتَهُ – مُتَهَلِّلَا ، كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ ٱلَّذِي أَنتَ سَائِلُهْ
أَخُو ثِقَةٍ ، لَا تُتْلِفُ ٱلْخَمْرُ مَالَهُ ، وَلٰكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ ٱلْمَالَ نَائِلُـهُ (٤)

تَرَى ٱلْجُنْـدَ وَٱلْأَعْرَابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ ،
كَمَا وَرَدَتْ مَاءَ ٱلْـكِلَابِ هَوَامِلُـهْ (٥)

– أشرب لونها بياضاً ، يقول ان عنقهـا عنق الظبية (١) المقلة شحمة العين التي تجمع البياض والسواد (٢) متهلّلاً : متلألئ الوجه (٣) معتفيه : طالب فضله وجوده ومعروفـه . يقال : اعتفى فلاناً ، اذا جاءه يطلب معروفـه وفضله (ماتغب) ماتتأخر ، او المعنى انها ماتأتيهم يومـاً وتتركهم يومـاً بل هي فيّاضة عليهم دائماً (الفواضل) جمع فاضلة ، وهي النعمـة الجسيمـة الجميلـة – والواو في « وابيض » واو رب وهو مجرور بهـا او بربّ المقدرة وعلامـة جره الفتحة لانه ممنوع من الصرف

(٤) اخو : رفع على انهُ خبر لمبتدأ محذوف . والتقدير هو اخو ثقة (النائل) العطاء

(٥) يغشون بابه : يأتونه ويغدون عليهِ ، وماضيه «غَشِيَ» (الهوامل) جمع هاملة ، وهي الابل التى تُتركت ليلاً ونهارًا ترعى بلا راعٍ ، ومثلها «الهَمَل»

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ
لَجَادَ بِهَا . فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهْ

ومن شعره الجيد قوله في مدح سنان بن ابي حارثة وقومه

إِذَا فُزِعُوا طَارُوا إِلَى مُسْتَغِيثِهِمْ ،
طِوَالَ الرِّمَاحِ ، لَا ضِعَافٌ وَلَا عُزْلُ (١)

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ ،
جَدِيرُونَ يَوْماً أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا (٢)

عَلَيْهَا أُسُودٌ ضَارِيَاتٌ ، لَبُوسُهُمْ
سَوَابِغُ بِيضٌ ، لَا تُخَرِّقُهَا النَّبْلُ (٣)

ومنها :

هُمُ جَدَّدُوا أَحْكَامَ كُلِّ مَضَلَّةٍ مِنَ الْعُقْمِ ، لَا يُلْفَى لِأَمْثَالِهَا فَصْلُ (٤)

---

(١) اذا فُزعوا ، اراد ان يقول : . اذا فُزع اليهم . فحذف الجار وأوصل الضمير بالفعل . وهو جائز سماعاً وقيل قياساً . ويسمى هذا الصنيع عند النحويين الحذف والايصال ، اي حذف الجار وايصال المجرور بالفعل – يقال فَزِع فلان الى فلان بمعنى استغاثه . وتقول : افزعتهُ لمّا فَزِع ، اي اغثته لما استغاث (العزل) جمع اعزل ، وهو من لارمح معه . ومثله «الأُزل» وجمعه «آعزال» (٢) جِنّة : بكسر الجيم : اي فوارس تشبه الجن (العبقري) الكامل من كل شيء . والسيد . والقوي . والشديد . والذي ليس فوقه شيء . واصل معنى «العبقر» موضع يزعمون انه كثير الجن . ومنه قول لبيد : «كهول وشبان كجنة عبقر» ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه او جودة صنعه او قوته ، فقالوا : عبقري (٣) اللَّبوس : ما يُلبس (سوابغ) اي دروع سوابغ ، يقال : درع سابغة اي تامّة طويلة (٤) المضلة اصل –

بِعَزْمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ ، وَآمِرٍ مُطَاعٍ ، فَلَا يُلْفَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلُ
هُمُ خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عَلِمْتُهُمْ ، لَهُمْ نَائِلٌ فِي قَوْمِهِمْ ، وَهُمْ فَضْلُ

ومنها :

تَدَارَكْتُمَا ٱلْأَحْلَافَ ، قَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا ،
وَذُبْيَانَ ، قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا ٱلنَّعْلُ (١)

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
سَبِيلُكُمَا فِيهِ — وَإِنْ أَحْزَنُوا — سَهْلُ (٢)

إِذَا ٱلسَّنَةُ ٱلشَّهْبَاءُ بِٱلنَّاسِ أَجْحَفَتْ ،
وَنَالَ كِرَامَ ٱلْمَالِ فِي ٱلْحَجْرَةِ ٱلْأَكْلُ (٣)

رَأَيْتَ ذَوِي ٱلْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ
قَطِينًا بِهَا ، حَتَّى إِذَا نَبَتَ ٱلْبَقْلُ (٤)

— معناها : الارض التي يُضَلُّ فيها الطريق ، واراد بها الامور الصعبة الحل (العقم) اصل معناها السدّ والمنع والقطع . ويأتي مجازاً كما هنا بمعنى عدم الفائدة والخير (لايلفى) لايوجد

(١) الاحلاف جمع حلف وهو الصديق الذي يحلف لصديقه انه لايخونه . وهو ايضاً العهد يكون بين القوم لانه لايُعقد الا بالحَلف . والمراد بالاحلاف هنا بنو اسد وبنو غطفان لانهم كانوا تحالفوا على التناصر (ثلَّ عرشها) قُوِّض وهُدِّم (زلت به النعل) سقط عن مجده وقوته (٢) اخزنوا سلكوا الحَزْن وهو الارض الغليظة والحزونة غلاظة الارض (٣) السنة الشهباء هي التي فيها الجدب والقحط (اجحف بالشيء) ذهب به ، هذا اصل معناه ثم استُعير الاجحاف للنقص الفاحش (الحجرة) الناحية . ولعلهُ اراد بها ناحيةً بعينها (٤) قطيناً بها مقيمين فيها . والقطين جمع قاطن ، من قطن بالمكان ، اذا قام فيهِ وتوطّن . والمعنى متى اجدب الناس رأيت ذوي الحاجة منهم قاطنين حول ديارهم يُطعَمون الى ان تنبت البقول ويزول القحط

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ ،
وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا ٱلْقَوْلُ وَٱلْفِعْلُ (١)

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ،
وَعِنْدَ ٱلْمُقِلِّينَ ٱلسَّمَاحَةُ وَٱلْبَذْلُ (٢)

وَإِنْ قَامَ فِيهِمْ حَامِلٌ قَالَ قَاعِدٌ :
هُدِيتَ ، فَلَا غُرْمٌ عَلَيْكَ ، وَلَا خَذْلُ (٣)

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا
تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

وَهَلْ يُنْبِتُ ٱلْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ ؟
وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا ٱلنَّخْلُ ؟ (٤)

والبيت الاخير مما يُتَمَثَّلُ به

---

(١) المقامات جمع مَقامة ، وهي المجلس ، والجماعة من الناس ، وشيء من الكلام يقام بهِ بين يدي الامير ، والسيادة . واراد بها المعنى الاخير على تأويل وفيهم ذوو مقامات ، اي قوم ذوو سيادة (الاندية) جمع نادٍ وهو المجلس مادام فيهِ اهله . هذا اصل معناه ثم صار يطلق على كل مجلس يُرجع اليه ويجتمع فيهِ . ومثله النَّدي والمنتدى . يقال ندا القوم يندون وانتدوا ينتدون ، اذا اجتمعوا في النادي والمنتدى (ينتابها) يقصد اليها . يقال : انتاب فلان المكان اذا اتاه مرة بعد أخرى

(٢) اراد بالمكثرين الذين نما مالهم وعظم ما بايديهم من الخير (يعتريهم) ياتيهم طالباً معروفهم (٣) المراد بالحامل هنا هو من يحمل الديات ويكفلها (الغرم) الغرامة ، او هو لزوم نائبة في مال من غير جناية (الخذل) الخذلان وهو ترك النصر والاعانة

(٤) الخطي الرمح المنسوب الى الخط وهو مرفأ بالبحرين . وقد نسبت الرماح الخطية اليهِ لانه مبيعها لا منبتها (الوشيج) شجر تُتخذ منه الرماح .

ومن محاسن شعره قوله يمدح الحارث بن ورقاء ، ويهجو قومه :

أَبلِـغْ بَنِي نَوْفَلٍ عَنِّي [فَقَدْ بَلَغُوا ... مِنِّي ٱلْحَفِيظَةَ لَمَّا جَاءَنِي ٱلْخَبَرُ] (١)

أَنَّ ٱبْنَ وَرْقَاءَ لَا تُخْشَى غَوَائِلُهُ ، ... لٰكِنْ وَقَائِعُهُ فِي ٱلْحَرْبِ تُنْتَظَرُ (٢)

لَوْلَا ٱبْنُ وَرْقَاءَ وَٱلْمَجْدُ ٱلتَّلِيدُ لَهُ ... كَانُوا قَلِيلًا ، فَمَا عَزُّوا وَلَا كَثُرُوا (٣)

ٱلْمَجْدُ فِي غَيْرِهِمْ ، لَوْلَا مَآثِرُهُ ، ... وَصَبْرُهُ نَفْسَهُ ، وَٱلْحَرْبُ تَسْتَعِرُ (٤)

أَوْلَى لَهُمْ ، ثُمَّ أَوْلَى أَنْ تُصِيبَهُمُ ... مِنِّي بَوَاقِرُ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٥)

وَأَنْ يُعَلَّلَ رُكْبَانُ ٱلْمَطِيِّ بِهِمْ ... بِكُلِّ قَافِيَةٍ شَنْعَاءَ تَشْتَهِرُ (٦)

وسبب هذه الابيات ان الحارث بن ورقاء الصيداوي [من بني اسد] اغار على بني عبد الله بن غطفان ، فغنم واخذ ابل زهير وغلامه يسارًا . فهجاه زهير بقصيدة ، فلم يلتفت اليها الحارث ، فهجاه ثانيه . فقال له قومه : اقتل يسارًا غلام زهير . فأبى عليهم ذلك . وكساه ورده فمدحه زهير بهذه الابيات .

---

(١) الحفيظة الغضب (٢) الغوائل جمع غائلة ، وهي الشر .
(٣) التليد القديم (٤) المآثر جمع مأثرة ، وهي المكرمة المتوارثة (صبر نفسه صبرًا) الزمها الصبر او حبسها كيلا تنفر . وفي غير هذا المعنى . يقال صبر فلانًا بمعنى اعطاه كفيلًا ، وأصبره امره بالصبر . وكذا صبَّره (تستعر) تشتعل
(٥) اولى لك كلمة تهديد ووعيد ، معناها قد وليك الشر اي قاربك فأحذرْ . وقيل : المعنى الويل لك . وتتصرف فيقال اولى لك واولى لكم واولى لهم الخ (البواقر) جمع باقرة واراد بها الاهاجي التي تبقر الاعراض اي تشقها (لاتذر) لاتدع ولا تترك (٦) يُعلل يلهى (القافية) المراد بها الشعر .

ومن حكمته العالية قوله :

إِذَا أَنتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ ٱلْجَهْلِ وَٱلْخَنَا
أَصَبْتَ حَلِيماً ، أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ (١)

ومن مدائحه في هرم بن سنان قوله :

قِفْ بِٱلدِّيَارِ ٱلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا ٱلْقِدَمُ ،
بَلَى ، وَغَيَّرَهَا ٱلْأَرْوَاحُ وَٱلدِّيَمِ (٢)

لاَ ٱلدَّارُ غَيَّرَهَا بَعْدِي ٱلْأَنِيسُ ، وَلا
بِٱلدَّارِ – لَوْ كَلَّمَتْ ذَا حَاجَةٍ – صَمَمُ (٣)

ومنها :

إِنَّ ٱلْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ ، وَلٰكِنَّ — ٱلْجَوَادَ عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمُ (٤)
هُوَ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ — عَفْواً . وَيُظْلَمُ أَحْيَاناً ، فَيَظَّلِمُ (٥)
وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ — يَقُولُ : لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلاَ حَرِمُ (٦)

ومنها :

وَمِنْ ضَرِيبَتِهِ ٱلتَّقْوَى . وَيَعْصِمُهُ — مِنْ سَيِّءِ ٱلْعَثَرَاتِ ٱللهُ وَٱلرَّحِمُ (٧)

---

(١) الخنا قول الفحش (٢) لم يعفها لم يمحها ولم يغيّرها (الارواح) جمع ريح (الديم) جمع ديمة ، وهي المطرة التى تدوم في سكون بلا رعد ولا برق . والمراد بها هنا المطر الدائم (٣) الصمم فقدان حاسة السمع (٤) العلات الحالات المختلفة والشؤون المتنوعة (٥) النائل المطاء (يظّلم) يحتمل الظلم فلا يجازي من ظلمه . ويروى ايضاً فينظلم . والمعنى واحد (٦) الحرم مايحميه الرجل ويقاتل عنه ، وما لا يحلّ انتهاكه . ومثله الحريم . ومنه سُميت نساء الرجل بالحريم (٧) الضريبة العادة والخُلُق . وجمعها ضرائب (يعصمه) يمنعه (العثرات) الزلات –

مُوَرَّثُ ٱلْمَجْدِ ، لَا يَغْتَالُ هِمَّتَهُ
عَنِ ٱلرِّيَاسَةِ لَا عَجْزٌ وَلَا سَأَمُ [1]

كَٱلْهِنْدُوَانِيِّ ، لَا يُخْزِيكَ مَشْهَدُهُ
وَسْطَ ٱلسُّيُوفِ ، إِذَا مَا تَضْرِبُ ٱلْبُهَمُ [2]

ومن مدائحه فيه قوله ايضاً :

لِمَنْ طَلَلٌ بِرَامَةَ لَا يَرِيمُ ، عَفَا وَأَحَالَهُ عَهْدٌ قَدِيمُ [3]
تَطَالَعُنِي خَيَالَاتٌ لِسَلْمَى كَمَا يَتَطَالَعُ ٱلدَّيْنَ ٱلْغَرِيمُ [4]

ومنها :

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا هَرِمُ بْنُ سَلْمَى بِمَلْحِيٍّ ، إِذَا ٱللُّؤَمَاءُ لِيمُوا [5]
وَلَا سَاهِي ٱلْفُؤَادِ وَلَا عَيِيُّ — ٱللِّسَانِ ، إِذَا تَشَاجَرَتِ ٱلْخُصُومُ [6]

— (الرحم) العطف والرحمة (١) لا يغتال : لا يُضعف ، واصل معناها لا يُهلك (السأم) السآمة وهي الملل (٢) الهندواني : السيف المنسوب الى الهند ، وهي نسبة شاذة (البهم) جمع بُهْمَة ، وهو الشجاع الذي يستبهم على اقرانه ما يأتيه من ضروب الشجاعة والقتال (٣) الطلل : الشاخص من آثار الديار (رامة) اسم مكان (لا يريم) لا يزول . يقال : رام عن المكان يريم ، اي زال عنهُ وفارقه (٤) تطالعني : تطرقني وتوافيني واصلها تتطالعني بتاءين حُذفت احداهما تخفيفاً (الدين) معروف والمراد به هنا المديون اي ان خيال سلمى يوافيني مرة بعد مرة كما يوافي الغريم مديونه . و (الغريم) الدائن . و يأتي ايضاً بمعنى المديون . والاول هو المراد هنا (٥) ملحي : مذموم . يقال : لحاه يلحوه اذا ذمَّه وشتمه (اللؤماء) جمع لئيم (ليموا) ماض مجهول من اللوم . يقال : لامه يلومهُ لوماً ومَلامةً فهو مَلوم ومَليم . اي كدَّره بالكلام لاتيانه ما ليس جائزاً ، او ما ليس ملائماً لحال اللائم او الملوم — وقد يجوز ان يكون اصل ليموا « أُلئِموا » بمعنى نسبوا الى اللؤم . يقال : لأَّمه يلائمه ، اذا نسبه الى اللؤم (٦) الساهي : الغافل (عيي اللسان) لايقدر ان يعبّر عما في ضميره .

أَرَاهُ غَيْثَنَـا فِي كُلِّ عَامٍ ، يَلُوذُ بِهِ ٱلْمُخَوَّلُ وَٱلْعَدِيمُ (١)
وَعَوَّدَ قَوْمَـهُ هَرِمٌ عَلَيْهِ . وَمِنْ عَادَاتِهِ ٱلْخُلُقُ ٱلْكَرِيمُ
كَذٰلِكَ خِيمُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ – إِذَا مَسَّتْهُمُ ٱلضَّرَّاءُ – خِيمُ (٢)
لَهُ فِي ٱلذَّاهِبِينَ أَرُومُ صِدْقٍ . وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرُومُ (٣)

ومن محاسن شعره الذي جمع بين الحكمة والموعظة والرونق قوله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ يَرَى ٱلنَّاسُ مَا أَرَى
مِنَ ٱلْأَمْرِ ؟ أَوْ يَبْدُو لَهُمْ مَا بَدَا لِيَا ؟ :

بَدَا لِيَ أَنَّ ٱلنَّاسَ تَفْنَى نُفُوسُهُمْ
وَأَمْوَالُهُمْ ، وَلَا أَرَى ٱلدَّهْرَ فَانِيَا (٤)

وَأَنِّي مَتَى أَهْبِطْ مِنَ ٱلْأَرْضِ تَلْعَةً
أَجِدْ أَثَرًا قَبْلِي جَدِيدًا وَعَافِيَا (٥)

أَرَانِي إِذَا أَمْسَيْتُ أَمْسَيْتُ ذَا هَوًى ،
فَثُمَّ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا (٦)

---

(١) الغيث المطر (المخوّل) اراد به الغني . يقال خوَّلهُ الله مالًا ، اي اعطاه ايَّاه متفضّلًا وملّكه ايّاه (العديم) المعدم الذي لا يملك شيئًا (٢) الخيم الطبيعة والسجيّة (الضرَّاء) الضر والبؤس (٣) الاروم والأَرومة والأُرومة : الحسب الكريم واصل معناها اصل الشجرة (٤) نرى ان قولهُ هنا ينافي عقيدته في الحساب والبعث كما سيجيء في معلقتهِ (٥) التلعة هي المنخفض من الارض ، والمرتفع منها ، فهي من الاضداد ، واراد بها المعنى الاول بقرينة اهبط (عافيًا) مندرسًا
(٦) غاديًا : مبكرًا

إِلَى حُفْرَةٍ أَهْوِي إِلَيْهَا مُصَمَّةٍ يَحُثُّ إِلَيْهَا سَائِقٌ مِنْ وَرَائِيَا (١)

بَدَا لِيَ أَنَّ اللّٰهَ حَقٌّ ، فَزَادَنِي
إِلَى الْحَقِّ – تَقْوَى اللّٰهِ – مَا كَانَ بَادِيَا (٢)

بَدَا لِيَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى ، وَلَا سَابِقٌ شَيْئاً إِذَا كَانَ جَائِيَا

أَرَانِي إِذَا مَا شِئْتُ لَاقَيْتُ آيَةً ،
تُذَكِّرُنِي بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ نَاسِيَا (٣)

وَمَا إِنْ أَرَى نَفْسِي تَقِيهَا مَنِيَّتِي ، وَمَا إِنْ تَقِي نَفْسِي كَرَائِمُ مَالِيَا (٤)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَهْلَكَ تُبَّعاً ، وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِيَا ؟ (٥)

وَأَهْلَكَ ذَا الْقَرْنَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى ،
وَفِرْعَوْنَ جَبَّاراً طَغَى ، وَالنَّجَاشِيَا ؟ (٦)

---

(١) الى حفرة الجار والمجرور متعلقان بقولهِ « غاديا » (مصمة) مسدودة بما يوضع فوقها من الحجارة والتراب . يقال اصمّ القارورة اذا جعل لهـا صِماما اي سِداداً وجمع الصمام أَصِمَّـة . والصِمامة بمعنى الصمام ايضاً (يحث) اي يحثني ويسوقني

(٢) تقوى الله بدل من الحق (باديًا) ظاهرًا (٣) الآية : العلامة وجمعها آيٌ وآيات

(٤) تقيها تحفظها (٥) تبع ، بدون ال لقب من ملك اليمن . ولم يكن يلقّب بهِ الملك حتى يملك اليمن والشِحْر وحضرموت (لقمان بن عاد) كان حكيماً من حكماء العرب وفيلسوفاً من فلاسفتهم وكان رجلًا صالحًا . وبعضهم يقول انه كان نبيًّا . وهو المذكور في القرآن الكريم و (عاد) رجل من العرب الاولى البائدة وبه سميت قبيلة قوم هود . (عاديا) هو ابو السموأل المشهور بالوفاء . واصله عادياء بالهمز (٦) ذو القرنين كان ملكاً من ملوك العرب الاولين وقد افتتح كثيرًا من الممالك ودانت اليه رقاب كثير من الناس ، وهو المذكور في القرآن الكريم . ولُقّب بذلك لضفيرتين كانتا في قرنيْ رأسه او لانه قد ملك قرنيِ الارض عن حسب ما توصلوا اليه منها في ذلك الوقت . وليس هو الاسكندر كما يغلط به كثير من الناس حتى من المفسرين واللغويين لِما ستعلم في آخر هذه القصيدة (فرعون) لقب كل من ملك مصر واكثرهم من العرب المعروفين في —

أَلَمْ تَرَ لِلنُّعْمَانِ كَانَ بِنَجْوَةٍ
مِنَ ٱلشَّرِّ ، لَوْ أَنَّ ٱمْرَأً كَانَ نَاجِيَا (١)

فَغَيَّرَ مِنْهُ رُشْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً
مِنَ الدَّهْرِ — يَوْمٌ وَاحِدٌ كَانَ غَاوِيَا (٢)

فَلَمْ أَرَ مَسْلُوباً [لَهُ مِثْلُ مُلْكِهِ]
أَقَلَّ صَدِيقاً صَافِياً أَوْ مُوَاسِيَا (٣)

استطراد لفائدة جُلَّى

تلقيب الاسكندر المقدوني بذي القَرْنَين قد استفاض على ألسنة كثير من الناس واللغويّين والمفسرين والمؤرخين . وهو خطأ فاحش . فان « ذو » كلمة عربية محضة ، و « ذو القرنين » من القاب العرب ملوك اليمن . وكان منهم « ذو جَدَن (٤) » و « ذو كَلَاع (٥) » و « ذو نُوَاس (٦) »

— التاريخ بالملوك الرُّعاة . وكانوا من العمالقة الذين قدموا من الشام الى ديار مصر وامتلكوها . واراد بفرعون هنا فرعونَ موسى الذي ادّعى الالوهية واسمه الوليد بن مصعب . امّا فرعون يوسف فاسمه الريان ابن الوليد ، وهو قبل هذا (النجاشي) لقب كل من ملك الحبشة

(١) اراد بالنعمان النعمان بن المنذر اللخمي ، وكان قد فرَّ حين طلبه كسرى قبأذ ليقتلهُ لانه لم يتابعهُ على الزندقة ، كما قدمنا ذلك في ترجمة امريء القيس (النجوة) المرتفع من الارض (٢) الحجة : السنة (غاويًا) ضالاً (٣) المواسي : هو الذي يواسيك ويخفف عنك مصابك (٤) لُقّب بذلك لانهُ اول من غنّى باليمن و (الجدن) حسن الصوت (٥) لُقّب بذلك لان القوم تكلّعوا على يديهِ اي اجتمعوا

(٦) لقب بذلك لضفيرة كانت تنوس — اي تتدلى — على ظهره . ومن ذلك نُواس العنكبوت لنسجهِ ، ونواس الدخان لما تدلى منه من السقف .

و « ذو شَناتِر[1] » و « ذو القرنين[2] » وهو الذى مكّن الله في الارض ، وعظُمَ ملكه ، وبنى السدّ على « يأجوج ومأجوج » . وهو الصَّعْب بن الرائش ، واسم الرائش الحارث بن ذي سَدَد[3] بن عاد بن الماطاط بن سبأ .

وقد سُئِل ابن عباس عن ذي القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز ، فقال : « هو من حِمْيَر » وهذا مما يُقوّي انه الصَّعْب المذكور ، لانهُ كان ملكاً عظيما ، وكان من ولد حمير .

فنتج من هذا التحقيق ان « ذا القرنين » هو غير « الاسكندر المقدوني » باني الاسكندرية ، لان هذا يوناني ، وذاك عربي ، وكلاهما كان ملكاً عظيما .

فافهم ذلك فانه الحق الذي لا مَحيد عنه . وقد حقّق هذا الامر ايضاً « ابو الفداء » المؤرخ المشهور في تاريخه . فراجعه عند ذكر الطبقة الثانية من ملوك الفرس .

وقد اختلف العلماء في نبوّة ذي القرنين المذكور ، مع اتفاقهم على صلاحه وتقواه .

وتُسَمَّى الملوك الملقبة بذو « الأذواء » وهي جمع « ذو »

. . . . . .

---

(١) لُقّب بذلك لاصبع زائدة كانت في يده . و (الشناتر) جمع شُنْتُرة ، وهي الاصبع ، والشناتر بلغة اليمن معناها ايضاً الاقراط التي تُعلّق في الآذان

(٢) تقدم سبب تلقيبه بذلك (٣) لُقّب بذلك لسداد رأيه واصابة فكره . والسَّدد : القصد في القول والتوفيق في الرأي ، كالسداد .

ومن جيد شعره قوله :

وَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَنِي ثَمَنَ ٱلْغِنَى
حَمِدْتَ ٱلَّذِي أَعْطِيكَ مِنْ ثَمَنِ ٱلشُّكْرِ
وَإِنْ يَفْنَ مَا تُعْطِيهِ فِي ٱلْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
فَإِنَّ ٱلَّذِي أَعْطِيكَ يَبْقَى عَلَى ٱلدَّهْرِ

وقولـه :

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ ، وَعُدْنَا فَعُدْتُمُ .
وَمَنْ أَكْثَرَ ٱلتَّسْآلَ لِلنَّاسِ يُحْرَمِ

وقولـه :

رَانَا مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ ، وَنُسْحَرُ بِٱلشَّرَابِ وَبِٱلطَّعَامِ[1]
كَمَا سُحِرَتْ بِهِ إِرَمٌ وَعَادٌ ، فَأَضْحَوْا مِثْلَ أَحْلَامِ ٱلنِّيَامِ[2]

وقولـه :

ٱلْوُدُّ لَا يَخْفَى ، وَإِنْ أَخْفَيْتَهُ . وَٱلْبُغْضُ تُبْدِيـهِ لَكَ ٱلْعَيْنَانِ

ومن مدائحه في هَرِمِ بن سنان قوله :

تَاللهِ ، قَـدْ عَلِمَتْ سَرَاةُ بَنِي ذُبْيَانَ [عَامَ ٱلْحَبْسِ وَٱلْإِصْرِ][3]

---

(١) موضعين : مسرعين . والايضاع السير السريع السهل (٢) ارم وعاد : قبيلتان وقد سميتا باسم ابويهما ارم وعاد . وهو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام (الاحلام) جمع حلم وهو ما يراه النائم (٣) الحبس : المنع . واراد به عام يحبس المطر فيكون الجدب والقحط (الاصر) الثقل والشدة .

أَنْ نِعمَ مَأْوَى ٱلْقَوْمِ — قَدْ عَلِمُوا — إِنْ عَضَّهُمْ جِلٌّ مِنَ ٱلْأَمْرِ (١)

وَلَنِعْمَ حَشْوُ ٱلدِّرْعِ أَنْتَ ، إِذَا
دُعِيتَ نَزَالِ ، وَلُجَّ فِي ٱلذُّعْرِ (٢)

حَامِي ٱلذِّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ — ٱلْجُلَّى ، أَمِينُ مُغَيَّبِ ٱلصَّدْرِ (٣)

حَدِبٌ عَلَى ٱلْمَوْلَى ٱلضَّرِيكِ ، إِذَا نَابَتْ عَلَيْـهِ نَوَائِبُ ٱلدَّهْرِ (٤)

ومنها :

وَإِذَا بَرَزْتَ بِـهِ بَرَزْتَ إِلَى صَافِي ٱلْخَلِيقَةِ ، طَيِّبِ ٱلْخُبْرِ (٥)

مُتَفَرِّغٍ لِلْمَجْـدِ ، مُعْتَرِفٍ لِلنَّائِبَاتِ ، يَرَاحُ لِلـذِّكْرِ (٦)

فَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ لِشَوَابِكِ ٱلْأَرْحَامِ وَٱلصِّهْرِ (٧)

أَلْحَامِلُ ٱلْعِبْءَ ٱلثَّقِيلَ عَنِ — ٱلْجَانِي ، بِغَيْرِ يَدٍ وَلَا شُكْرِ (٨)

لَوْ كُنْتَ فِي شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ ٱلْمُنَوِّرَ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ

---

(١) الجلّ بكسر الجيم وفتحها : الامر الجليل العظيم (٢) نزالِ : اسم فعل امر بمعنى انزل (لجَّ في الذعر) اي لازم القوم الخوف . يقال : لجّ فلان في الامر اي لازمه وواظبه وابى ان ينصرف عنهُ (٣) الذمار ما يلزمك حفظه وحياطتهُ وحمايته والدفاع عنهُ (الجلّى) الامر الشديد والخطب العظيم (٤) حَدِبٌ متعطف . يقال حدب عليهِ حَدَبًا — من باب علم — اي تعطف (المولى) يأتي بمعنى السيد والعبد وابن العم ، والاخير هو المراد (الضريك) الفقير السيء الحال (نوائب الدهر) مصائبه

(٥) الخليقة الطبيعة والخلُق (الخبر) الاختبار (٦) معترف للنائبات : صابر عليها . يقال اعترف للامر ، اي صبر لهُ (يراح للذكر) تأخذه الأريحية وخفّة السرور عند ما يذكر بمدحٍ وثناء ، يقال راح فلان للمعروف ونحوه ، اذا اخذته خفة واريحية لهُ . والذكر يكون بمعنى الصيت والثناء والشرف

(٧) شوابك الارحام ما اشتبك منها وتداخل . والارحام جمع رَحِم وهي القرابة و (الصهر) اهل بيت المرأة والجمع اصهار (٨) العبء الحمل (اليد) النعمة مجازًا ، اي بغير سابقة يدٍ لهُ عندك .

ومن شعره الجيد قوله :

تَلَاثٌ يَعِزُّ ٱلصَّبْرُ عِنْدَ حُلُولِهَا ، وَيَذْهَلُ عَنْهَا عَقْلُ كُلِّ لَبِيبِ[١] :
خُرُوجُ ٱضْطِرَارٍ مِنْ بِلَادٍ تُحِبُّهَا ، وَفِرْقَةُ إِخْوَانٍ ، وَفَقْدُ حَبِيبِ

وقوله [يمدح حِصْنَ بْنَ حُذَيْفَةَ بن بدرٍ الفَزارِيّ] من قصيدة :

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ بِمَالٍ ، وَمَا يَدْرِي بِأَنَّكَ وَاصِلُهْ
وَذِي نِعْمَةٍ تَمَّمْتَهَا وَشَكَرْتَهَا ،
وَخَصْمٍ [يَكَادُ يَغْلِبُ ٱلْحَقَّ بَاطِلُهْ]
دَفَعْتَ بِمَعْرُوفٍ مِنَ ٱلْقَوْلِ ، صَائِبٍ ،
إِذَا مَا أَضَلَّ ٱلنَّاطِقِينَ مَفَاصِلُهْ[٢]
وَذِي خَطَلٍ فِي ٱلْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ
مُصِيبٌ ، فَمَا يُلْمِمْ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهْ[٣]
عَبَأْتَ لَهُ حِلْماً ، وَأَكْرَمْتَ غَيْرَهُ ،
وَأَعْرَضْتَ عَنْهُ ، وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهْ[٤]

---

(١) عزَّ الشيء يَعِزُّ من باب ضرب قلَّ فلا يكاد يوجد ، فهو عزيز (٢) المفاصل جمع مِفْصل وهو اللسان . والضمير يعود الى الباطل (٣) الخطل القول الفاسد والمنطق الفاحش (يلمم به) يعرض لهُ ويخطر . يقال المَّ بالقوم ، اي نزل بهم .

(٤) عبأت المتاع والامر ، اي هيأته (باد) ظاهر (المقاتل) جمع مقتل ، وهو العضو الذي اذا أُصيب لا يكاد يسلم صاحبه كالصُّدغ . يقال بدت مقاتل فلان اذا فعل امرًا اوجب قتله .

وكان قُدامة بن موسى عالماً بالشعر . وكان يقدّم زهيراً على من عداه ، ويستجيد قوله في مدح هرم بن سنان :

قَدْ جَعَلَ ٱلْمُبْتَغُونَ ٱلْخَيْرَ فِي هَرِمٍ   وَٱلسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا (١)

مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِماً   يَلْقَ ٱلسَّمَاحَةَ فِيهِ وَٱلنَّدَى خُلُقَا (٢)

وهذان البيتان من قصيدة ، ومنها قوله :

أَغَرُّ ، أَبْيَضُ ، فَيَّاضٌ ، يُفَكِّكُ عَنْ
أَيْدِي ٱلْعُنَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا ٱلرِّبَقَا (٣)

وَذَاكَ أَحْزَمُهُمْ رَأْياً ، إِذَا نَبَأٌ
مِنَ ٱلْحَوَادِثِ غَادَى ٱلنَّاسَ أَوْ طَرَقَا (٤)

لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ
وَسْطَ ٱلسَّمَاءِ ، لَنَالَتْ كَفُّهُ ٱلْأُفُقَا

قال ابن قُتية : وكان زهير يتألّه ويتعفّف في شعره ، ويدل شعره على إيمانه بالبعث ، وذلك قوله :

يُؤَخَّرْ ، فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ ، فَيُدَّخَرْ   لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ، أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

---

(١) المبتغون : الطالبون (٢) العلّات : الحالات المختلفة (الندى) الكرم
(٣) الاغرّ : الحسَن ، والسيد ، والشريف ، والكريم الافعال الواضحها . واصل معناه الفرس الذي في جبهة غُرّة ، وهي بياض في جبهة الفرس (فياض) كثير الفيض وهو الجود (العُناة) جمع عانٍ وهو الاسير (الربق) جمع رِبْقة ، وهي العروة في الحبل تكون فيه عدة عُرى (٤) غادى الناس : جاءهم غدوة (طرق القوم) جاءهم ليلاً .

وكان شديد العنـاية بتنقيح شعره ، حتى ضُرب به المثل ، وسُمّيت قصائده بالحوليّات ، نسبةً الى الحول اي السنة ، وذلك لأنه كان ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، ويهذِّبها بنفسه في اربعة اشهر ، ويعرضها على اصحابه الشعراء في اربعة اشهر ، فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول كامل .

وقيل : كان ينظم القصيدة في ليلة واحدة ، ويُهذّبها في سنة . ولعل الاول ارجح .

معلقته وسبب نظمها

معلَّقة زهير اشعر شعره . وقد جمعت ماأشبه كلام الانبياء ، وحكمة الحكماء . ففيها الحكمة البالغة ، والموعظة الحسنة ، والاخلاق الفاضلة ، والمعاني العالية ، والاغراض النبيلة . أَضِفْ الى ذلك ماحوَتْهُ من الاساليب البليغة ، والكلام الجزل .

وقد انشأها يمدح بها الحارث بن عَوْف وهرم بن سِنان المُرّيَّيْنِ ، ويذكر سعيهما بالصلح بين عبس وذُبيان وتحمُّلَهُما ديته من مالهما .

وذلك ان وَرْدَ بن حابس العبسي قتل هرم بن ضَمْضَم المريّ في حرب عبس وذبيـان قبل الصلح ، وهي المعروفة بحرب « داحس

والغبراء [١] . فلما اصطلح الناس ، ووضعت الحرب اوزارها ، تخلَّف حُصَيْن بن ضَمْضَم اخو هَرِمَ عن الدخول فيما دخل فيه الناس ، وحلف ان لا يغسل رأسه حتي يقتل وَرْد بن حابس او رجلاً من بني عبس ثم من بني غالب . ولم يطَّلع على ذلك احد .

وكان قد حمل الحمائل وتكفَّل باداء دية من قُتل قبل الصلح الحارث ابن عوف بن ابي حارثة وهرم بن سنان .

ثم اقبل رجل من بني عبس ثم احد بني مخزوم ، حتى نزل بحصين ابن ضمضم . فقال له : « من انت ايها الرجل ؟ » قال : « عبسي » فقال : « من اي عبس ؟ » فلم يزل ينتسب حتى انتسب الى غالب . فقتله حصين وبلغ ذلك الحارثَ بن عوف وهرم بنَ سنان ، فاشتدَّ عليهما ذلك . وبلغ الامر بني عبس ، فركبوا نحو الحارث . فلما بلغه ركوبهم اليه وما قد اشتدَّ عليهم من قتل صاحبهم وأنهم يريدون قتل الحارث ، بعث اليهم

---

(١) **حرب داحس والغبراء**

قال ابو عبيدة : حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان أبنيْ بغيض بن رَيْث ابن غطفان . وكان السبب الذي هاجها ان قيس بن زهير وحمل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء : ايُّهما يكون لهُ السبق . وكان داحس فحلًا لقيسٍ ، وكانت الغبراء حجرة لحمل بن بدر (الحجرة الانثى من الخيل) وتواضعها الرهان على مئة بعير . وجعلا منتهى الغاية مئة غلوة (الغلوة مسافة رمية السهم) والاضمار اربعين ليلة ، ثم قادوهما الى رأس الميدان بعد ان اضمروهما اربعين ليلة . وفي طرف الغاية شِعاب كثيرة . فأكمنَ حمل بن بدر في تلك الشعاب فتيانًا على طريق الفرسين . وامرهم ان جاء داحس سابقًا ان يردُّوه عن الغاية . فكان ما امرهم بِهِ . فنشبت الحرب بين عبس وذبيان لاجل ذلك . وكانت لهما ايام كثيرة جرت فيها الدماء . الى ان تمَّ الصلح .

بمئة من الابل معها ابنه . وقال للرسول : « قل لهم : آلإبلُ أحبُّ اليكم ، ام انفسكم ؟ » فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . فقال الربيع بن زياد : « ياقوم ، ان اخاكم قد ارسل اليكم يقول : آلإبِلُ أَحبُّ اليكم ، أم ابنُهُ تقتلونه مكان قتيلكم ؟ » فقالوا : « بل نأخذ الابل ونصالح قومنا »

وفي ذلك يقول زهير في معلقته :

تَدَارَكْتُمَا عَبساً وَذُبْيَانَ ، بَعْدَمَا تَفَانَوْا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ مُزَنَّمِ [1]

---

(١) سيأتي تفسير هذه البيتين في معلقته .

نخبة من معلّقته

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ،
بِحَوْمَانَةِ ٱلدَّرَّاجِ فَٱلْمُتَثَلَّمِ ؟ (١)

وَدَارٌ لَهَا بِٱلرَّقْمَتَيْنِ ، كَأَنَّهَا
مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ (٢)

فَلَمَّا عَرَفْتُ ٱلدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا :
أَلَا أَنْعِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا ٱلرَّبْعُ ، وَٱسْلَمِ (٣)

. . . . . .

فَأَقْسَمْتُ بِٱلْبَيْتِ [ٱلَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ]

---

(١) ام اوفى : كنية امرأته (الدمنة) آثار الدار بعد رحيل القوم (لم تكلم) اصلها لم تتكلم ، اي سألتها فلم تستطع الكلام فتجيب (حومانة الدراج والمتثلم) موضعان .

(٢) الرقمتان ، قيل : هما روضتان بناحية الصمان . وقيل : هما روضتان احداهما قريبة من البصرة والاخرى بنجد . وقيل : احداهما قرب المدينة والاخرى قرب البصرة . والرقمة : لغة معناها الروضة ، ومجتمع الماء في الوادي - اراد ان لها دارًا بين الرقمتين . والرقمتان ايضًا اسم لموضع قرب المدينة . ولعله اراد هذا (مراجيع الوشم) خطوطه والوشم ان تغرز الابرة في الجلد ثم يذرّ عليه شيء كالكحل . وكانت نساؤهم يستعملن ذلك للزينة ، كما هي عادة نساء القرى ورجالها اليوم (النواشر) اعصاب الذراع ومفردها ناشرة (٣) الربع : ما حول الدار ، وهو الدار نفسها ، والمعنى الاول هو المراد هنا (الا انعم) ويروى ايضًا الاعِم

(٤) جرهم امة قديمة كانت صاحبة الغلب والشرف قبل قريش .

يَميناً : لَنِعْمَ ٱلسَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حالٍ : مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ [١]

تَدارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيانَ ، بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ [٢]

وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نُدْرِكِ ٱلسِّلْمَ وَاسِعاً ... بِمالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ ٱلْقَوْلِ ، نَسْلَمِ [٣]

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ، ... بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ [٤]

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ — هُدِيتُمَا —
وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ ٱلْمَجْدِ ، يَعْظُمِ [٥]

---

(١) السيدان ، اراد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف المريين لانهما هما اللذان سعيا بالصلح وتحمّلا الدية من مالهما (سحيل ومبرم) سهل وصعب . والسحيل في الاصل هو الخيط غير المفتول . والمبرم هو الخيط المفتول . فكنى بالسحيل عن سهولة الامر وبالمبرم عن صعوبته (٢) تفانوا افنى بعضهم بعضاً (دقوا بينهم عطر منشم) تهيأوا للشر او للحرب . وهو مَثَلٌ يُضرب لقوم هاجت الفتنة بينهم . وقد اختلفوا في اصل هذا المثل ، فقال بعضهم منشم امرأة عطارة من همدان كانوا اذا تطيبوا بطيبها اشتدت الحرب . فصارت مثلاً في الشر ، فقالوا اشأم من عطر منشم ، فكانوا اذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة تقول الناس دقّوا بينهم عطر منشم . وقال غيرهم ان منشم امرأة من بني غدانة . وكان لزوجها مولى (عبد) يُسمى يساراً ، وكان من اقبح الناس ، وكان النساء يضحكن من قبحه . فضحكت منه منشم يوماً ، فظنَّ انها احبته فضحكت له . فقال لصاحب له قد والله عشقتني امرأة مولاي . فنهاه صاحبه عن ذلك ، فلم ينته . فمضى حتى دخل عليها . فراودها عن نفسها . فقالت له : مكانك ، فان للحرائر طيباً أُشمّك اياه ، فقال : هاتيه . فاتته بموسى تخفيها واظهرت انها تُشمه الطيب . ثم انحتْ على انفه فاستأصلته . فتشاءم الناس بعطرها . وقالوا : اشام من عطر منشم . وقال ابن قُتيبة الدّينوري في كتاب المعارف : « قد اختلفوا في منشم ، واحسن ما سمعت فيه انها امرأة كانت تبيع الحنوط في الجاهلية ، فقيل للقوم اذا تحاربوا : دقوا بينهم عطر منشم ، يراد طيب الموتى » (٣) السلم ، بكسر السين وفتحها : الصلح (واسعاً) اراد تاماً مكيناً (نسلم) اي نسلم من الحرب وما تجره من الويلات (٤) العقوق : قطيعة الرحم (المأثم) الاثم وهو ما يترتب على ارتكاب الذنب

(٥) عليا معدّ اراد بها اشرافها ورؤساءها (يعظم) يكن عظيماً .

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ (١)

أَلَا أَبْلِغِ ٱلْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً
وَذُبْيَانَ : هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ (٢)

فَلَا تَكْتُمُنَّ ٱللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ لِيَخْفَى . وَمَهْمَا يُكْتَمِ ٱللهُ يَعْلَمِ (٣)

يُؤَخَّرْ ، فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ ، فَيُدَّخَرْ
لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ، أَوْ يُعَجَّلْ ، فَيُنْقَمِ (٤)

وَمَا ٱلْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ،
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِٱلْحَدِيثِ ٱلْمُرَجَّمِ (٥)

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ، وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ (٦)

---

(١) التلاد المال الموروث (الافال) صغار الابل ، ومفردها أفيل للمذكر وأفيلة للمؤنث . وجمع الجمع افائل (المزنم) من الابل ما كان له زنمة . والزنمة شيء يُقطع من اذن البعير فيُترك معلّقًا ، وانما يُفعل ذلك بكرام الابل . وانما لم يؤنث المزنم مع انه صفة للجمع وهو إفال ، لان الجمع هنا جاء على لفظ المفرد . وكثيرًا ما يفعلون ذلك (٢) اراد بالاحلاف بني اسد و بني غطفان لانهم تحالفوا على التناصر (المقسم) مصدر ميمي بمعنى القسم – والمعنى أبلغهم انهم قد اقسموا كل قسم على الصلح وترك القتال

(٣) اي لا تكتموا الله ما تضمرونه ظانين انه يخفى عليه ، فمها يُكتم عنهُ يعلمه

(٤) يؤخَّر ما تكتمونه من الامر فيكنْ في علم الله ، وهو يؤخره الى يوم الجزاء والحساب على الاعمال ، او يعجل بالجزاء والانتقام من صاحبه (٥) الحديث المرجّم هو الذي لا يُوقف على حقيقته ولا تُعلم صحته . يقال رجّم بالغيب ، اي تكلم بما لا يعلم . والرجم التكلم بالظنّ من غير تحقيق (٦) تبعثوها تثيروها بعد ان همدت (تضر) يقال ضري الكلب بالصيد يَضرَى ضرى وضِراء وضَراءً ، اذا لزمه وتعوّده (ضرّيتموها) عودتموها (تضرم) تلتهب – والمعنى اذا عودتم الحرب عليكم فانها تتعود ، فلا تقدرون بعد ذلك على التملص من عواقبها والتخلص من جرائرها

لَعَمْرِي ، لَنِعْمَ ٱلْحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ
– بِمَا لاَ يُوَاتِيهِمْ – حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ [١]

وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ ، فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا ، وَلَمْ يَتَقَدَّمِ [٢]

وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ، ثُمَّ أَتَّقِي
عَدُوِّي بِأَلْفٍ – مِنْ وَرَائِيَ – مُلْجَمِ [٣]

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ ٱلْحَيَاةِ : وَمَنْ يَعِشْ
ثَمَانِينَ حَوْلاً – لاَ أَبَا لَكَ – يَسْأَمِ [٤]

وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ ،
وَلٰكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي : [٥]

رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ : مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ ، وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ [٦]

---

(١) جرَّ عليهم جنى عليهم . والجريرة الجناية وجمعها جرائر (يواتيهم) يوافقهم ويلائمهم (٢) طوى على هذا الامر كشحاً : اضمره واخفاه (المستكنة) الامر الذي يكنّه الانسان في صدره ويخفيه (٣) اراد بحاجته ادراك ثأر اخيه (اتقيت السيف بالترس) اي جعلته وقاية بيني وبينه (بالفٍ) اي بالف فرس (ملجم) قد وضع اللجام في فيه . واراد بالافراس اصحابها – وقد بسطنا خبر ذلك وما قبله في الكلام على سبب نظم هذه المعلّقة ، فراجعه (٤) تكاليف الحياة اتعابها ومشقاتها (الحول) السنة (٥) عمي غير مهتد . يقال عَمِيَ عن الشيء ، اذا لم يهتد اليه . وعَمِيَ عليه الامر ، اي التبس واشتبه . وعمي عني الشيء ، اي اختفى . والعمِي والاعمى هو ذو العمى ، بمعناه الحقيقي ومعانيه المجازية

(٦) المنايا جمع منية ، وهي الموت (خبط) اي تخبط خبط عشواء ، وهي الناقة التي لا تبصر ليلًا فهي تخبط بيديها كل شيء اذا مشت فلا تتوقّى شيئاً . وبها –

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ   يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ، وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ (١)

وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ . وَمَنْ لَا يَتَّقِ ٱلشَّتْمَ يُشْتَمِ (٢)

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ، فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمِهِ، يُسْتَغْنَ عَنْهُ، وَيُذْمَمِ (٣)

وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ . وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ
إِلَى مُطْمَئِنِّ ٱلْبِرِّ، لَا يَتَجَمْجَمِ (٤)

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ ٱلْمَنَايَا يَنَلْنَهُ،   وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ (٥)

— يُضرَب المثل في السير على غير هدى ولا رشد . فيقال « فلان يخبط في امره خبط عشواء » اي لا يدري الخطأ من الصواب . ويقال « هو اخبط من عشواء » ويقال « اخمم لي عشواء من امرهم » اي ظلمة وحيرة وقلة هداية (يُعمَّر) يكن طويل العمر . يقال « فلان من المعمَّرين » اي ممن طالت اعمارهم (يهرم) يضعف ويبلغ الهرم وهو اقصى الكبر

(١) يصانع يجامل ويدارِ (يضرس) يُعض بالاضراس . يقال ضَرَّسه وضرسه، اذا عضه باضراسه عضاً شديداً — والمعنى انه يُذل ويهان ويتعب (يُوطأ) يُدسْ . وطيء الشيء يَطأه، اي داسه يدوسه (المنسم) خف البعير، وهو الذي يدوس به . وقيل المنسم للبعير كالظفر للانسان (٢) يَفِره يحفظه واصل معنى الوفر الزيادة والكثرة . يقال وفر المالُ يفِرُ وفرًا ووُفُورًا، اذا كثر واتسع . ووفر فلانٌ المال ووفَّره، اذا كثّره وغنّاه (من لا يتق الشتم) اي من لا يتحفظ منه . والتحفظ منه بان لا يفعل ما يوجبه

(٣) الفضل الزيادة، واراد بهِ الزيادة في المال (٤) مطمئن البر هو البر الذي تطمئنُّ اليهِ النفوس وتسكن له (لا يتجمجم) لا يحجم ولا يتأخر . يقال تجمجم عن الامر، اذا لم يقدم عليهِ (٥) هاب خاف (اسباب المنايا) ما يؤدّي اليها كالحرب مثلًا (وان يرق) وان يصعد (اسباب السماء) طُرُقها او مراقيها او نواحيها او ابوابها . يقول : ان من خاف من اسباب الموت فالموت لا بدّ ملاقيهِ ولو صعَّد في السماء .

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ ٱلزِّجَاجِ ، فَإِنَّهُ
يُطِيعُ ٱلْعَوَالِي ، رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ (١)

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
يُهَدَّمْ . وَمَنْ لَا يَظْلِمِ ٱلنَّاسَ يُظْلَمِ (٢)

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ .
وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ (٣)

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ ٱمْرِيءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
— وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى ٱلنَّاسِ — تُعْلَمِ (٤)

---

(١) الزجاج جمع زُجّ وهو الحديدة التي تكون في اسفل الرمح (العوالي) صدور الرماح مما يلي السنان (اللهذم) الحادّ القاطع من الاسنة والسيوف والانياب . وجمعهُ لهاذم ولهاذمة – يريد ان يقول ان من عصى الامر الصغير صار الى الكبير فاطاع فيهِ مكرهاً . وقد ضرب لذلك مثلاً من عصى زج الرمح فانه يطيع عاليته . وكان من عادة العرب انهم اذا توافقوا للقتال ولى بعضهم بعضاً كعوب الرماح وسفرت السفراء بينهم بالصلح والكف عن الحرب فان اطاعوا رجعوا عن القتال والا قلبوا الاسنة الى جهة العدو واقتتلوا فالمعنى حينئذٍ من لم يقبل بالصلح قبل الطعن قبِل بهِ بعده بعدان يرى من اهوال الحرب مايرى . ومن امثالهم « الطعن يظأر » اي يعطف القلوب على الصلح (٢) يذد يدفع . فلان يذود عن شرفه يدفع عنه (يهدم) الضمير يرجع الى الحوض (٣) يغترب اي من يتغرب عن بلاده واهله ويُقيم فيمن لايعرف اخلاقهم وعاداتهم يلتبس عليه الامر فلا يفرق بين الناس فيحسب صديقه عدوًّا ومبغضه محباً (تكريم النفس) هو حملها على معالي الامور وحجبها عمَّا لايليق باهل المروءات والشرف ان يفعلوه وترغيبها في المفيد وترهيدها فيما لاينفع
(٤) الخليقة السجية والطبيعة (خالها) ظنها .

٤ لَبيد بن ربيعة

توفي سنة (٦٨٠) م ، وسنة (٦٠) هـ

هو لَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، وكنيته ابو عقيل . وهو صحابيٌّ ادرك الجاهلية والاسلام . وعاش خمساً واربعين سنة بعد المئة (١٤٥) ، وقيل بل خمساً وخمسين بعد المئة (١٥٥) .

وكان يقال لابيهِ : ربيعة المُقْتِرِين ، لجوده وسخائه . وعمُّهُ هو ابو بَرَاء عامر بن مالك الملقَّب بِمُلاعِب الأَسنَّة ، لُقِّبَ بذلك لقول أَوس بن حَجَر فيه :

فَلاعَبَ أَطْرَافَ ٱلْأَسِنَّةِ مَالِكٌ ، فَرَاحَ لَهَا حَظُّ ٱلْكَتِيبَةِ أَجْمَعُ

وقد وَفدَ وقومَهُ [بني جعفر بن كلاب] على النبي [صلى الله عليه وسلم] فأسلم وحسُن اسلامه ، واسلم قومه .

وكان لبيد وعَلقمة بن عُلاثة العامريَّان من المؤلفة قلوبهم .

وهو معدود من فحول الشعراء المجيدين في الطبقة الثانية .

حاله قبل الاسلام

كان من شعراء الجاهلية واجوادهم وفرسانهم .

ومن سيرته أَن الحارث الغساني [وهو المعروف بالاعرج] وجَّه الى

المنذر بن ماء السماء مئة فارس ، وأَمَّر عليهم لبيدًا . فساروا الى عسكر المنذر . واظهروا أنهم اتوه داخلين عليه في طاعته . فلما تمكنوا منه قتلوه ، وركبوا خيلهم . فلحقهم القوم ، فقتلوا اكثرهم . وكان فيمن نجا لبيد . فأتى ملك غسان فاخبره . فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم ، في اليوم المعروف بيوم حليمة . و حليمة هي بنت ملك غسَّان . وكانت طَيَّبَتْ هؤلاء الفتيان ، وألبستهم الاكفان .

و يوم حليمة هو الذي يقول فيه الشاعر :

تُخُيِّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ
إِلَى ٱلْيَوْمِ ، قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ ٱلتَّجَارِبِ(١)

قدومه على النعمان بن المنذر

كانت دلائل النباهة والنجابة بادية على لبيد منذ حداثة سنه . يدلُّك على ذلك ماجرى له مع الربيع بن زياد عند النعمان بن المنذر . وذلك كما قال ابن الاعرابي :

«وفد ابو براء ملاعب الأسنَّة [وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب] واخوته طُفَيل ومعاوية وعُبَيْدة ، ومعهم لبيد بن ربيعة ابن مالك بن جعفر وهو غلام ، على النعمان بن المنذر . فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي . وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من تجار الشام يقال له زرجون بن نوفل .

فلما قدم الجعفريون [وهم لبيد وقومه] كانوا يحضرون النعمان

---

(١) ضمير تخيرن يعود الى السيوف

لحاجتهم . فاذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم . ففعل ذلك بهم مراراً . وكانت بنو جعفر له اعداء فصدّه عنهم . فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيُّراً وجفاء [وكان يكرمهم قبل ذلك ويقرّب مجلسهم] فخرجوا من عنده غِضاباً . ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ، ويغدو بإبلهم كلّ صباح فيرعاها . فاذا امسى انصرف بإبلهم . فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أَمْرَ الربيع وما يَلقَون منه ، فسألهم فكتموه ، فقال لهم : « والله لا احفظ لكم متاعاً ولا أُسرّح لكم بعيراً او تخبروني فيمَ انتم فيه » [وكانت أُمّ لبيد امرأة من بني عبس ، وكانت يتيمة في حجر الربيع] فقالوا : « خالُك قد غَلَبَنا على المَلِك وصدّ عنّا وجهَه » فقال لهم لبيد : « هل تقدرون على ان تجمعوا بينه وبيني ؟ فأزجره عنكم بقولٍ مُمضٍ ، ثم لا يلتفت اليه النعمان بعده ابداً » فقالوا : « هل عندكَ من ذلك شيء » ؟ قال : « نعم » قالوا : « فإنّا نَبلوك[1] بشتمِ هذه البقلة » [وكان قُدّامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة بالارض تُدعى التَّرِبَة] فقال :

« هٰذِهِ ٱلتَّرِبَةُ ٱلَّتِي لَا تُذْكِي نَارًا[2] ، وَلَا تُوهِلُ دَارًا[3] ، وَلَا تَسُرُّ جَارًا ، عُودُهَا ضَئِيلٌ[4] ، وَفَرْعُهَا كَلِيلٌ[5] ، وَخَيْرُهَا قَلِيلٌ . أَقْبَحُ ٱلْبُقُولِ مَرْعًى ، وَأَقْصَرُهَا فَرْعًا ، وَأَشَدُّهَا قَلْعًا ، فَتَعْسًا لَهَا وَجَدْعًا[6] . بَلَدُهَا شَاسِعٌ ، وَآكِلُهَا جَائِعٌ ، وَٱلْمُقِيمُ عَلَيْهَا قَانِعٌ[7] .

---

(١) نبلوك نختبرك (٢) لا تذكي اي لا تشعل (٣) اي لا تعمرها

(٤) اي نحيل دقيق (٥) كليل : لا نفع منه . يقال سيف كليل اذا لم يقطع

(٦) جدعا اي قطعاً . واصل معنى الجدع قطع الانف (٧) قانع اي ذليل .

إِلْقَوْا بِي أَخَا عَبْسٍ [١] ، أَرُدُّهُ عَنكُمْ بِتَعْسٍ وَنُكْسٍ [٢] ، وَأَتْرُكُهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي لَبْسٍ [٣] »

قالوا : « نُصبح غداً ونرى فيك رأينا » فقال لهم عامر: « انظروا الى غلامكم هذا [يعني لبيداً] فان رأيتموه نائماً فليس من امره شيء، انما هو يتكلم بما جاء على لسانه ، ويهذي بما يَهْجسُ به خاطره . واذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبه » فرمقوه فوجدوه وقد ركب رَحْلاً فهو يكْدِمُ وسطه [٤] . حتى اصبح . فقالوا : « انت صاحبه » . فعمدوا اليه ، فحلقوا رأسه وتركوا ذُؤابته ، وألبسوه حُلَّة . ثم غدوا به معهم على النعمان . فوجدوه يتغدَّى ، ومعه الربيع ، وهما يأكلان لا ثالث لهما . والدار والمجالس مملوءة من الوفود . فأَذِنَ للجعفريين ، فدخلوا عليه [وكان امرهم قد تقارب] فذكروا للنعمان الذي قَدِموا له من حاجتهم . فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم . فقام لبيد يرتجز ويقول :

أَكُلَّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَزَّعَهْ ؟ . يَارُبَّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهْ [٥]

يَا وَاهِبَ ٱلْخَيْرِ ٱلْكَثِيرِ مِنْ سَعَهْ ، إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَادًا مُسْبِعَهْ [٦]

نَحْنُ بَنُو أُمِّ ٱلْبَنِينَ ٱلْأَرْبَعَهْ ، سُيُوفُ حَقٍّ ، وَجِفَانٌ مُتْرَعَهْ [٧]

---

(١) اراد به الربيع بن زياد العبسي (٢) نكسهُ ينكُسهُ نَكْساً – من باب نصر – قلبه على رأسه وجعل اسفلهُ اعلاه ومقدّمه موخره . والنُّكس بضم النون هو ان لايقوم الرجل بعد سقطته حتى يسقط ثانية وهي اشدُّ من الاولى . وقولهم تعساً له ونُكساً – بضم النون وقد تفتح لتزاوج تعساً – يستعمل للدعاء على المقول لهُ ذلك (٣) اي التباس وحيرة
(٤) اي يعضُّهُ بادنى فمه (٥) الهامة الرأس (مقزعة) محلوقة الّا بقايا في نواحيها . يقال قزَّع الرأس اذا حلقهُ وترك منهُ بقايا في نواحيهِ . وفي غير هذا المعنى يقال قزع فلاناً ، اذا جرده وهيَّأه لامر معين (الهيجا) الحرب واصلها بالهمز (الدعة) الراحة
(٦) مسبعة اي ذات سباع كثيرة (٧) الجفان القصاع ، ومفردها جفنة (مترعة) ممتلئة .

نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَهْ ،
وَٱلضَّارِبُونَ ٱلْهَامَ تَحْتَ ٱلْخَيْضَعَهْ [١]

وَٱلْمُطْعِمُونَ ٱلْجَفْنَةَ ٱلْمُدَعْدَعَهْ .
مَهْلًا – أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ – لَا تَأْكُلْ مَعَهْ [٢]

ثمّ ذكر بعدها بيتين رأينا الادب يَجْبَهُنا [٣] دون ذكرهما .

فلما سمع النعمان كلام لبيد رفع يده من الطعام وقال : « خَبَّثْتَ والله عليّ طعامي ياغلام . وما رأيت كاليوم » ثم التفت الى الربيع شَزْرًا فقال : « اكذا انت ؟ » قال : « لا ، والله لقد كذب عليّ ابن الأحمق اللئيم »

ثم قضى النعمان حوائج الجعفريين من وقته وصرفهم . ومضى الربيع الى منزله . فبعث اليه النعمان بضِعْفِ ما كان يحبوه به ، وأمره بالانصراف الى اهله . فكتب اليه الربيع : « اني تخوّفت ان يكون قد وَقَرَ في في صدرك ما قاله لبيد ، ولست برائم [٤] حتى تبعث اليّ من يبحث عن الامر ، فيعلم من حضرك أني لست كما قال : فارسل اليه النعمان : « انك لستَ صانعاً باتقائك مما قال لبيد شيئاً ، ولا قادرًا على ما زلَّتْ به الألسن . فالحق بأهلك » فلحق بأهله . ثم ارسل الى النعمان بابيات شعر قالها . ومنها هذا البيت :

لَئِنْ رَحَلْتُ جِمَالِي ، إِنَّ لِي سَعَةً ، مَا مِثْلُهَا سَعَةٌ ، عَرْضًا وَلَا طُولَا

---

(١) الهام جمع هامة وهي الرأس (الخيضعة) البيضة التي تلبس على الرأس في الحرب

(٢) المدعدعة الممتلئة (٣) يجبهنا يمنعنا . واصل الجبه ضرب الجبهة . يقال جبهه اي ضرب جبهته (٤) رائم هو اسم فاعل من رام المكان يريمه اي زال عنه وفارقه

فكتب اليه النعمان :

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَـنِّي حَيْثُ شِئْتَ ، وَلَا
تُـكْثِرْ عَلَيَّ ، وَدَعْ عَنْكَ ٱلْأَبَاطِيـلَا

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ — إنْ صِدْقاً وَإِنْ كَذِبًا —
فَمَا ٱعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إذَا قِيلَا ؟

فَٱلْحَقْ بِحَيْثُ رَأَيْتَ ٱلْأَرْضَ وَاسِعَةً ،
وَٱنْشُرْ بِهَا ٱلطَّرْفَ ، إنْ عَرْضًا وَإِنْ طُولَا [1]

حاله بعد الاسلام

أَسلمَ لبيد قبل الفتح ، وحَسُنَ إسلامهِ ، وهاجر . ولم يصحَّ عنه انه قال شيئاً من الشعر بعد الاسلام الاَّ قوله :

ما عَاتَبَ ٱلمرْءَ ٱلكَرِيمَ كَنَفْسِهِ . وَٱلْمَرْءُ يُصْلِحُهُ ٱلْقَرِينُ ٱلصَّالِحُ

قيل وقوله ايضاً :

أَلْحَمْدُ لِلّهِ : إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي، حَتَّى ٱكْتَسَيْتُ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ سِرْبَالَا

والصحيح ان البيت الثاني ليس له ، وانما هو لرجل سَلُولِيٍّ من المعمَّرين .

والسبب في عدم قوله الشعر أنه لما اسلم وقرأ القرآن شُغِل بما فيه من حكمة رائعة ، وموعظة حسنة ، وبلاغة مُدهِشَه ، صرفته عن الشعر .

---

(١) الطرف هو العين

يَدُلُّكَ على ذلك ما ورد من أنَّ عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] كتب الى عامله المُغيرة بن شُعبه بالكوفة : « أنِ اسْتَنْشِدْ مَن عندكَ من شعراء مِصْرِكَ ما قالوه في الاسلام » [اي بعد ان دخلوا فيه] فأرسل الى الأَغلَب العِجلي أَنْ أَنشدني . فقال :

لَقَدْ طَلَبْتَ هَيِّناً مَوْجُودَا . أَرَجَزًا تُرِيدُ أَمْ قَصِيدَا ؟

ثم ارسل الى لبيد : أنْ أَنشِدْني . فقال : إنْ شِئْتَ ما عُفِيَ عنه [يعني الجاهلية] . فقال : « لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام » فانطلق الى بيته ، فكتب (سورة البقرة) في صحيفة ، ثم اتى بها فقال : « أبدلَني الله هذه في الاسلام مكان الشعر » فكتب بذلك المغيرة الى عمر . فنقَّص [1] من عطاء الاغلب خمس مئة وزادها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه الفين وخمس مئه . فكتب الاغلب الى عمر : « يا امير المؤمنين ، تنقُصُ عطائي أنْ أطعتُك ؟ » . فردَّ عليه ما نقصَه واقرَّ لبيدًا على الألفين والخمس مئة .

فلما كان زمن معاوية ، اراد معاوية ان يَنْقُصَهُ من عطائه . فقال له : هذان الفَوْدان [يعني الألفين] فماهذه العلاوة ؟ [يعني الخمسمائة] فقال له لبيد : « اموت ويبقى لك الفوْدان والعلاوة . وانما انا هامة اليوم او الغد [2] ولعلّي لا اقبضها » فرقَّ له معاوية وترك له عطاءه على حاله . فمات ولم يقبضها

---

(١) يكون نقص لازمًا مثل « نقص الشيء » ومتعديًا بنفسه الى مفعول واحد مثل «نقصت الشيء » وقد يكون متعديًا الى المفعولين مثل «نقصت فلانًا حقّه . وربما كان متعديًا بالهمزة والتضعيف مثل «انقصته ونقّصته » غير ان ذلك لم يأتِ في كلام فصيح كما صرح به صاحب المصباح (٢) يقولون هو هامة اليوم او الغد ، اي يموت اليوم او غدا

وكان لبيد من الاجواد المشهورين . وكان شريفاً في الجاهلية والاسلام . وكان قد نَذَر ان لا تهبّ الصَّبا الاّ نحر وأطعم . وكانت له جَفنَتان يغدو بهما ويروح كل يوم على مسجد قومه فَيُطعِمهم . فهبّت الصَّبا يوماً وهو بالكوفة مُقتِرٌ مُملِق [1] . فعلم بذلك الوليد بن عُقبة [وكان اميرًا عليها] فصَعِد المنبر ، فخطب الناس ، فقال : « قد عرفتم ان اخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ان لا تهبّ الصبا الاّ أَطعم . وهذا اليوم من ايّامه . وقد هبت الصبا ، فأعينوه . وانا اوّل من فعل » ثم نزل عن المنبر . فأرسل اليه بمئة ناقة . وبعث اليه الناس حتى اجتمع لديه شيءٌ كثير . فقضى نذره . وأطعم الناس .

وبعث اليه الوليد مع النُّوق بابيات شعر قالها وهي :

أَرى ٱلجزّارَ يَشحَذُ شَفرَتَيهِ ، إِذا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبي عَقيلِ [2]
أَغَرُّ ٱلوَجهِ ، أَصيَدُ عامِرِيٌّ ، طَويلُ ٱلباعِ ، كَٱلسَّيفِ ٱلصَّقيلِ [3]
وَفى ٱبنُ ٱلجعفري بِحَلْقَتَيهِ ، [عَلَى ٱلعِلّاتِ وَٱلمالِ ٱلقَليلِ] [4]
بِنَحرِ ٱلكُومِ ، إِذ سُحِبَتْ عَلَيهِ ذُيُولُ صَباً ، تَجاوَبُ بِٱلأَصيلِ [5]

---

(١) اي فقير مُعدِم (٢) يشحذ يسنّ

(٣) أغرُّ الوجه حسَنُهُ (الاصيد) الذي يرفع رأسه كبرًا . واراد به هنا الابيّ النفس (الصقيل) المصقول وهو المجلوّ بحيث لا يبقى عليه ما يمنع لمعانه من صدأ او نحوه (٤) الحلقة هي كل ما استدار من شيء . واراد بحلقتيه جفنتيه اللتين كان يطعم بهما الناس (العِلّات) الحالات المختلفة (٥) الكوم الجمال الضخمة السَّنام . ومفردها للمذكر اكوم وللمؤنثة كوماء (الصبا) ريح الصبا (تجاوب) اصلها تتجاوب ، حذفت احدى التاءين تخفيفاً . والمعنى يجاوب بعضها بعضاً عمّا سيصنع لبيد مع فقره وضيق ذات يده (الاصيل) وقت ما بعد العصر الى المغرب .

فلما اتاه الشعر [وكان قد ترك قوله] قال لابنته: «أجيبيه. فلقد عشتُ بُرهةً[1] وما أعيا[2] بجواب شاعر» فقالت:

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبِي عَقِيلٍ ... دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا ٱلْوَلِيدَا

أَشَمَّ ٱلْأَنْفِ، أَرْوَعَ، عَبْشَمِيًّا، ... أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدَا[3]

بِأَمْثَالِ ٱلْهِضَابِ، كَأَنَّ رَكْبًا ... عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعُودَا[4]

أَبَا وَهْبٍ — جَزَاكَ ٱللهُ خَيْرًا — ... نَحَرْنَاهَا وَأَطْعَمْنَا ٱلثَّرِيدَا[5]

فَعُدْ، إِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ. ... وَظَنِّي بِٱبْنِ أَرْوَى أَنْ يَعُودَا[6]

فقال لها لبيد: «احسنتِ، لولا أنكِ استطعمتِه» فقالت: «والله ما استزدتُه، الا أنهُ مَلِكٌ، والملوك لا يُستحيا من مسألتهم. ولو كان سُوقةً لم أفعلْ» فقال: «وانتِ يا بُنيَّة في هذه أشعر»

---

(١) البرهة بضم الباء وفتحها القطعة الطويلة من الزمان. واكثر كتّاب العصر يستعملونها بمعنى المدة القصيرة، وهو خطأ محض. ويقال في غير هذا المعنى ابره اذا اتى بالبرهان، وابره اذا غلب الناس واتى بالعجائب. قال في لسان العرب واما قولهم «برهن فلان» اذا جاء بالبرهان، فهو مولّد، والصواب ان يقال «ابره» (٢) اعيا: اعجز يقال عَيي بالامر، اذا عجز عنه (٣) اشم الانف اي سيد ذو انفة كريم (الاروع) هو من يعجبك بحسنه وجهارة منظره او بشجاعتهِ وحسن صفاته، وقيل هو الشهم الذكي. ومؤنثه روعاء. والجمع أرْواع ورُوع (عبشمياً) منسوباً الى بني عبد شمس (المروءة) آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات — وما يذكرونه لها من معنى النخوة وكمال الرجوليَّة داخل في ذلك (بامثال) متعلق بأعان

(٤) الهضاب جمع هضبة وهو ما ارتفع من الارض او هي كل جبل منبسط على وجه الارض. والمعنى اعانه بجمال ضخام أمثال الهضاب لضخامتها. وقد شبه اسنمتها — وهي ما ارتفع من ظهورها — بقوم سود قاعدين عليها. ضرب لسواد اسنمتها مثلًا وهم بنو حام اي السودان

(٥) الثريد طعام كانوا يتخذونه من كسرات الخبز مبلولة بماء اللحم. ومثله الثريدة. وجمعها ثرائد وثُرود — وعوامّنا اليوم تسمي ذلك (التريدة) بالتاء.

(٦) فعد اي عُدْ الى مثل ما فعلت.

وفاة لبيد

بعد ان وفد لبيد هو وقومه على النبي [صلى الله عليه وسلم] فأسلم هو وايَّاهم ، رجع قومه الى بلادهم . وقدم هو الكوفة فأقام بها الى ان مات ، وله من العمر مئة وخمس واربعون سنة (١٤٥) على الصحيح . ويُقال ان وفاته كانت في اول مدة معاوية بن ابي سفيان ، وهو المشهور. وقيل : بل في ايام الوليد بن عُقبة ، في خلافة عثمان بن عفان [رضي الله عنه] فبعث الوليد الى منزله عشرين جَزوراً[1] ، فنحرت عنه واكلها الناس.

ولبيد مذكور في طبقات المعمَّرين[2] .

وروى ابو حاتم السِّجستاني في (كتاب المعمَّرين) ان الشعبي قال: « ارسل اليَّ عبد الملك بن مروان في حياته . فدخلت عليه فقلت: « كيف اصبحت يا امير المؤمنين ؟ فقال اصبحت كما قال عمرو بن قَمِيئة :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ،
خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لِجَامِي[3]

رَمَتْنِي بَنَاتُ ٱلدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى
فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ ؟[4]

فَلَوْ أَنَّهَا نَبْلٌ ، إِذَنْ لَاتَّقَيْتُهَا ، وَلَكِنَّنِي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ

---

(١) الجزور : الواحد من الابل يقع على الذكر والانثى . وجمعهُ جُزُر

(٢) المعمَّر هو من عاش عشرين سنة ومئة فاكثر (٣) العِذار : ماسال من اللجام على خدّ الفرس . ومنه عذار الانسان لمانبت بعارضيه . والجمع عُذُر (٤) بنات الدهر: مصائبه

إِذَا مَا رَآنِي ٱلنَّـاسُ قَالُوا : أَلَمْ يَـكُنْ
جَلِيدًا ، شَدِيدَ ٱلْبَطْشِ ، غَيْرَ كَهَامِ ؟ (١)

فقلت : لا ، ياامير المؤمنين ، ولكنك كماقال لبيد بن ربيعة ، وذلك انه لمّا بلغ سبعاً وسبعين سنة انشأ يقول :

بَاتَتْ تَشَكَّى إِلَيَّ ٱلنَّفسُ مُجْهِشَةً : لَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعِينَا (٢)
فَإِنْ تُزَادِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَـلًا ، وَفِي ٱلثَّلَاثِ وَفَاءٌ لِلثَّمَانِينَا

ثم عاش حتى بلغ تسعين سنة ، فقال :

كَأَنِّي وَقَـدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ،
خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنْكِبَيَّ رِدَائِيَـا (٣)

ثم عاش حتى بلغ مئة حِجَّة وعشرًا ، فانشأ يقول :

أَلَيْسَ فِي مِئَـةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ وَفِي تَكَامُلِ عَشْرٍ بَعْدَهَا عُمُرُ ؟

ثم عاش حتى بلغ مئة وعشرين سنة ، فانشأ يقول :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هٰذَا ٱلنَّاسِ : كَيْفَ لَبِيدُ ؟

---

(١) الكهام : الضعيف . ومنه سيف كهام ، اي كليل غير قاطع

(٢) مجهشة : ناهضة هامّة بالبكاء . تقول : جهشت اليَّ نفسي – من باب علم وقطع – واجهشت اذا همّت بالبكاء . ويقال : جهش اليه واجهش اليه ، اي فزع اليه هامًّا بالبكاء ومتهيّئًا له : كالصبي يفزع الى أمه . واجهش بالبكاء : همّ به وتهيّأ له . والجَهْش ان يفزع الانسان الى غيره وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء (٣) الحجة : السنة . وجمعها : حجَج (المنكب) ناحية كل شيء وجانبه . وللانسان منكبان .

غَلَبَ ٱلرِّجَالَ ، فَكَانَ غَيْرَ مُغَلَّبِ . دَهْرٌ جَدِيدٌ دَائِمٌ مَعْدُودُ
يَوْمٌ أَرَى يَأْتِي عَلَيَّ وَلَيْلَةٌ ، وَكِلَاهُمَا بَعْدَ ٱلْمَضَاءِ يَعُودُ

فقال عبد الملك : « والله ، ما بي من بأس . اقعُد وحدِّثني ما بينك وبينَ الليل » فقعدت فحدثته حتى امسيت . ثم فارقته . فمات في ليلته »

ولما حضرت لبيدًا الوفاة قال مخاطباً لأُبنتيه :

تَمَنَّى ٱبْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا . وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ ؟
إِذَا حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُوكُمَا فَلَا تَخْمُشَا وَجْهاً ، وَلَا تَحْلِقَا شَعَرْ
وَقُولَا : هُوَ ٱلْمَرْءُ ٱلَّذِي لَيْسَ جَارُهُ
مُضَاعًا ، وَلَا خَانَ ٱلصَّدِيقَ ، وَلَا غَدَرْ
إِلَى ٱلْحَوْلِ . ثُمَّ ٱسْمُ ٱلسَّلَامِ عَلَيْكُمَا .
وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلًا فَقَدِ ٱعْتَذَرْ [1]

فكانتا تذهبان الى قبره كل يوم ، وتترحّمان عليه ، وتبكيان من غير نَدب ولاصياح ولا لَطم ، ثم تأتيان نادي بني كلاب ، فتذكران مآثره ، ثم تنصرفان . فأقامتا على ذلك الى ان تمَّ الحول .

وقال لأبن اخيهِ لماحضرته الوفاة [ولم يكن لهولد ذكر] : يا بُنَيَّ ، ان اباك لم يَمُتْ ، ولكنه فَنِيَ . فاذا قُبض ابوك فأقبِلْهُ القِبلَة ،

---

(١) الى الحول اي اذهبا كل يوم الى قبري وافعلا ماامرتكما به الى مضيّ الحول ، فاذا انتهى فحسبكما (اسم السلام) لفظ اسم زائد . والمعنى ثم السلام عليكما

وَسَجِّهِ[١] بثوبه ، ولا تصرَخنَّ عليه صارخة . وانظرْ جَفْنَتَيَّ اللتين كنت أصنعهما فاُصنعهما ، ثم أحملهما الى المسجد . فاذا سلَّم الامام فقدِّمهما اليهم . فاذا طَعِموا فقل لهم : فَلْيَحْضُروا جنازة اخيهم .

ففعل ابن اخيه ما أمره به .

وكانت وفاته سنة (٦٠) للهجرة . وقال ابن عفير : مات لبيد سنة احدى واربعين من الهجرة ، يوم دخل معاوية الكوفة ونزل النُّخَيْلَه . وقد قضى من عمره تسعين سنة في الجاهلية وسائرها في الاسلام . رحمه الله .

الكلام على شعره

كان [رحمه الله] من فحول الشعراء المخضرمين . وقد شهد له النابغة بانه اشعر العرب ، لانه كان يغوص على المعنى الغريب والحكمة البليغة .

وذلك ان النابغة الذبياني نظر اليه — وهو صبي — مع اعمامه على باب النعمان بن المنذر ، فسأل عنه ، فنُسب اليه . فقال له : « يا غلام ، انَّ عينَيْكَ لَعيْنا شاعر . أَفتَقْرِض من الشعر شيئاً ؟ » قال : « نعم » قال : « فأنشدني » فأنشده قوله :

أَلَمْ تُلِمْ عَلَى ٱلدِمَنِ ٱلْخَوَالِي لِسَلْمَى ، بِٱلْمَذَانِبِ فَٱلْقَفَالِ ؟[٢]

---

(١) سجه : غطه (٢) أَلَمَّ بالقوم وأَلَمَّ عليهم : اتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة (الدمن) جمع دمنة وهي آثار الديار (الخوالي) الخاليات من أهلها (المذانب والقفال) موضعان .

فقال له النابغة : « انت اشعر بني عامر . زدني » فأنشده :

طَلَلٌ لِخَوْلَةَ بِٱلرُّسَيْسِ قَدِيمُ ، بِمَعَاقِلٍ فَٱلأَنْعَمَيْنِ ، وُشُومُ (١)

فقال : « انت اشعر بني هوازن زدني » فانشده معلقته :

عَفَتِ ٱلدِّيَارُ ، مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى . تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا (٢)

فقال له النابغة : « اذهب فانتَ اشعر العرب »

ورُوي ان الفرزدق مرّ بمسجد بني أُقيصر بالكوفة ، وعليه رجل ينشد :

وَجَلَا ٱلسُّيُولُ عَنِ ٱلطُّلُولِ ، كَأَنَّهَا زُبُرٌ ، تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا (٣)

فسجد ، فقيل له : « ما هذا يا ابا فراس ؟ » فقال : « انتم تعرفون سجدة القرآن ، وانا اعرف سجدة الشعر »

وبالجملة فمحلُّ لبيد في الشعر مشهور . وقال من قدّمه على غيره : « انه اقلُّ الشعراء لغوًا في شعره ، وحِكَمُه في الشعر كثيرة »

ومن شعره قوله من قصيدة :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ . وَبِإِذْنِ ٱللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ (٤)

---

(١) الطلل : هو ما شخص من آثار الدار (خولة) اسم امرأة (الرُّسيس ومعاقل والانعمان) مواضع (الوشوم) جمع وشم وهو ما ينقش على اليد للزينة . شبه ما ظهر من آثار خولة بالوشوم التي تكون على اليد .

(٢) سيأتي تفسيره في معلقتهِ (٣) سيأتي تفسيره فيها ايضًا .

(٤) النفل : الغنيمة ، والهبة ، والزيادة . وجمعه أنفال (الريث) البطء .

أَحْمَــدُ ٱللهَ ، وَلَا نِدَّ لَهُ ، بِيَدَيْهِ ٱلْخَيْرُ ، مَا شَاءَ فَعَلْ [١]
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ ٱلْخَيْرِ ٱهْتَدَى نَاعِمَ ٱلْبَـالِ ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلّْ

وفي هذه القصيدة يقول ، وهو من خير ماقال :

وَٱكْـذِبِ ٱلنَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا : إِنَّ صِدْقَ ٱلنَّفْسِ يُزْرِي بِٱلْأَمَلْ

وقال مادحاً :

وَبَنُو ٱلرَّيَّانِ لَا يأْتُونَ « لَا » وَعَلَى أَلْسُنِهِمْ خَفَّتْ « نَعَمْ »
زَيَّنَتْ أَحْلَامُهُمْ أَحْسَابَهُمْ . وَكَذَاكَ ٱلْحِلْمُ زَيْنٌ لِلْـكَرَمْ [٢]

وكان المعتصم يُعْجَبُ بشعر لبيد . فقـال : « من منكم يروي قوله : «بَلِينا وما تبْلَى النجوم الطوالعُ » فقال بعض الجُلَساء : « انا » فقال : «أنشدنيها » فانشد :

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى ٱلنُّجُومُ ٱلطَّوَالِعُ . وَتَبْقَى ٱلْجِبَالُ بَعْدَنَا وَٱلْمَصَانِعُ [٣]
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دَارِ مَضَنَّةٍ ، فَفَارَقَـنِي جَارٌ بِأَرْبَةَ نَافِعُ [٤]

---

(١) الند ، بكسر النون : المِثل والشبه والنظير . وجمعه انداد .
(٢) الاحلام : العقول . ومفردها حِلْم ، بكسر الحاء . امّا الحُلُم بضمهـا فهو ما يراه النائم في نومهِ .
(٣) المصانع : القُرى والمباني من القصور والحصون . ومفردها مَصْنَع
(٤) الاكناف جمع كنف ، وهو الجانب ، والظل ، والناحية (دار مضنة) اي دار يُضَنّ بها ويُبخل بفراقها حبًّا بمن يسكنها (اربة) الظاهر انـه اراد بها مكانًا معيّنًا . ولم ارها في معجم البلدان . وقد ذكر فيهِ « أَرَبة » بالتحرك وذكر نها مدينة بالمغرب ، وابن المشرق من المغرب ؟

فبكى المعتصم حتى جرت دموعه. وترّحم على المأمون. وقال: «هكذا كان، رحمةُ الله عليه» ثم اندفع وهو ينشد باقيها، ويقول:

فَلا جَزَعٌ، إِنْ فَرَّقَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنا،
فَكُلُّ ٱمْرِيءٍ يَوماً لَهُ ٱلدَّهْرُ فَاجِعُ [١]

وَمَا ٱلمَرْءُ إِلَّا كَٱلشِّهابِ وَضَوْئِهِ: يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ مَاهُوَ سَاطِعُ [٢]
وَمَا ٱلْمَرْءُ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ ٱلتُّقَى. وَمَا ٱلمَالُ وَٱلأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ
وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ: فَعَامِلٌ يُتَبِّرُ مَا يُبْنَى، وَآخَرُ رَافِعُ [٣]
فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِهِ، وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، بِٱلْمَعِيشَةِ قَانِعُ

أَلَيسَ وَرَائِي — إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي —
لُزُومُ ٱلعَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا ٱلأَصَابِعُ [٤]

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ ٱلقُرُونِ ٱلَّتِي مَضَتْ،
أَدِبُّ كَأَنِّي — كُلَّمَا قُمْتُ — رَاكِعُ

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ، أَخْلَقَ جَفْنَهُ
تَقَادُمُ عَهْدِ ٱلقَيْنِ، وَٱلنَّصْلُ قَاطِعُ [٥]

---

(١) الجزع: نقيض الصبر (فاجع) موجع. يقال: فجعه الامر، اذا اوجعه بفقد شيء كريم عليه (٢) الشهاب: شعلة من النار ساطعة. والشهاب في غير هذا المقام: ما ينفصل من النجم فيرى كأنه كوكب قد انقضّ (يحور) يرجع (ساطع) مرتفع منتشر (٣) يتبر: يخرّب ويدمّر.
(٤) تراخت: تباعدت او ابطأت (تحنى) تُعطف وتُلوى (٥) اخلق: ابلى (جفنه) قرابه (القين) الحداد (النصل) حديدة السيف والرمح والسهم والسكين

فَلَا تَبْعَدَنْ ، إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَوْعِدٌ عَلَيْنَا: فَدَانٍ لِلطُّلُوعِ وَطَالِعُ (١)
أَعَاذِلُ مَا يُدْرِيكَ – إِلَّا تَظَنِّيًا – إِذَا رَحَلَ ٱلسُّفَّارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ ؟ (٢)
أَتَجْزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ ٱلدَّهْرُ بِٱلْفَتَى ؟ وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ ٱلْقَوَارِعُ ؟ (٣)
لَعَمْرُكَ ، مَا تَدْرِي ٱلضَّوَارِبُ بِٱلْحَصَى
وَلَا زَاجِرَاتُ ٱلطَّيْرِ مَا ٱللهُ صَانِعُ (٤)

وقصيدته هذه قالها يرثي اخاه أَرْبَد ، وكان اخاه لأُمه .

وذلك انه وَفَدَ على النبي [صلى الله عليه وسلم] هوو عامر بن الطُّفيل في وَفْدِ بني عامر بن صَعْصعة ، فأضمر هو وعامر الشرَّ للنبي [عليه الصلاة والسلام] فردَّ الله كيدهما في نحرهما .

ثم رجعا الى بلادهما . حتى اذا كانا ببعض الطريق بعث الله على عامر ابن الطفيل الطاعون في عنقه . فقتله الله . فلما قدم أَرْبد الى قومه . قالوا : «ماوراءَكَ ياأربد؟» فقال : «لقد دعانا [يعني النبيّ] الى عبادة شيء لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عندي الآن فأرميه بِنَبْلي هذه حتى أَقتلَه»

ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم اويومين ، معه جملٌ له يبيعه . فأرسل الله عليه وعلى جملِهِ صاعقة فأحرقتهما . ويقال : هو الذي نزلت فيه الآية : «ويُرسل الصَّواعِقَ فيُصيبُ بها مَنْ يشاء»

---

(١) لا تبعدن : لا تموتن او لا تهلكن (دانٍ) قريب (٢) التظني : إعمالُ الظن والتكلم به (السُّفّار) المسافرون ، ومفرده سافر . يقال : سفر فلان اذا خرج الى السفر
(٣) الجزع : فقدُ الصبر واظهار الحزن . (القوارع) المصائب التي تقرع الانسان ، ومفردها قارعة (٤) قد توارد لبيد وطرفة على الفاظ هذا البيت ومعناه الّا في القافية . وقد تقدم تفسيره في الصفحة (١٢٠) في الكلام على شعر طرفة فراجعه .

وفيه ايضاً يقول اخوه لبيد راثياً :

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ ٱلْحُتُوفَ، وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ ٱلسِّمَاكِ وَٱلْأَسَدِ (١)

فَجَعَنِي ٱلرَّعْدُ وَٱلصَّوَاعِقُ =

= بِٱلْفَارِسِ – يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ – ٱلنَّجِدِ (٢)

يَا عَيْنُ، هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ، إِذْ قُمْنَا وَقَامَ ٱلْخُصُومُ فِي كَبَدِ (٣)

إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبَهُمُ، أَوْ يَقْصِدُوا فِي ٱلْخِصَامِ يَقْتَصِدِ (٤)

ومن جيد شعره [البالغ النهاية في الحسن والرونق والحكمة وبليغ المعنى] قوله :

أَلَا تَسْأَلَانِ ٱلْمَرْءَ : مَا ذَا يُحَاوِلُ ؟
أَنَحْبٌ فَيُقْضَى ؟ أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ ؟ (٥)

---

(١) الحتوف : جمع حَتْف وهو الموت (ارهب) اخاف (النوء) النجم وجمعه انواء (السماك والاسد) اسمان لنجمين . واضافة النوء الى السماك والاسد من اضافة العام الى الخاص . وقد كانوا يعتقدون بتأثير العوالم العلوية على الناس من موت وحدوث نوائب وغير ذلك (٢) فجعني : اوجعني . وهو من باب قطع . والفَجْع ان يُوجَع الانسان بشيء يكرم عليه فيعدمه (النجد) الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره . وجمعه نُجُد

(٣) الكبد : المشقة (٤) يشغبوا : يهيجوا . يقال : شغب القوم وشغب بهم وشغب عليهم – من باب قطع وعلم – اي هيَّج الشرّ عليهم ، فهو شَغِبٌ ومِشغب وشغَّاب (يقصدوا) يعتدلوا . يقال : قصد في الامر واقتصد فيه ، اذا لم يجاوز الحد الوسط بل لازم العدل ولم يفرط .

(٥) ماذا : ما اسم استفهام مرفوع المحل لانه مبتدأ . و « ذا » اسم موصول مرفوع المحل لانه خبر وجملة يحاول صلة الموصول ومفعول يحاول ضمير محذوف هو العائد . والتقدير ماذا يحاوله اي ماذا يطلبهُ . ولا يجوز ان تكون « ماذا » كلها هنا اسم استفهام لانها لو كانت كذلك لكانت مفعولاً ليحاول . ولو كانت كذلك لوجب ان يقول : –

حَبَائِلُــهُ مَبْثُوثَةٌ فِي سَبِيلِــهِ ۝ وَيَفْنَى إِذَا مَا أَخْطَأَتْهُ ٱلْحَبَائِلُ (١)

إِذَا ٱلْمَرْءُ أَسْرَى لَيْلَــةً خَالَ أَنَّهُ
قَضَى عَمَلًا ، وَٱلْمَرْءُ — مَا عَاشَ — عَامِلُ (٢)

فَقُولَا لَهُ — إِنْ كَانَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ — :
أَلَمَّا يَعِظْكَ ٱلدَّهْرُ ؟ — أُمُّكَ هَابِلُ (٣) —

فَتَعْلَمَ أَنْ لَا أَنْتَ مُدْرِكُ مَا مَضَى ،
وَلَا أَنْتَ مِمَّا تَحْذَرُ ٱلنَّفْسُ وَائِلُ (٤)

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فَٱنْتَسِبْ ،
لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ ٱلْقُرُونُ ٱلْأَوَائِلُ (٥)

— « النحبا » بالنصب لانهُ يكون حينئذ بدلًا من محل « ماذا » ولكنهُ رفعه فدلّ على انه بدل من شيء مرفوع ولا مرفوع هنا الّا اذا جعلت « ما » استفهامية مبتدأ و« ذا » موصولية خبره و« نحب » بدل من محل « ما » لان محلها الرفع . والهمزة في « انحب » للاستفهام . و (النحب) الوقت والمدة . يقال : قضى فلان نحبه اي مات . قال تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » اي اجله الذي قُدّر له (١) حبائله : اي حبائل الموت ، وهي اسبابه . والحبائل : جمع حِبالة وهي المصيدة (مبثوثة) منتشرة (يفنى) يهرم . والمعنى ان اسباب الموت منتشرة في طريق الانسان فان علق بمصيدة من مصايده هلك والّا فانهُ يعمَّر طويلًا حتى يهرم فيكون فانيًا في صورة حي (٢) سرى واسرى : ذهب ليــلًا (خال) ظن (٣) يقسم امره اي يقدّره وينظر فيهِ كيف يفعل او المعنى لم يدر ما يصنع فيهِ (الــمَّا) الهمزة للاستفهام التوبيخي ولمَّا هي النافية الجازمة (امك هابل) مبتدأ وخبر . يقال هبلته امهُ ، اي ثكلتــه وعدمته . هذا هو الاصل . وكثيرًا ما يستعمل في معنى المدح والاعجاب . فيقولون مثلًا هو كريم هبلته امــهُ او امه هابل . كما استعملوا كثيرًا من الفاظ الدعاء على الانسان في الدعاء له . فقالوا تربت يده ولا أمّ له ونحو ذلك . وهم لا يعنون الّا الدعاء لهُ او مدحهُ او الاعجاب بما عمل (٤) وائل اي عاصم ومانع (٥) يعني اذا انت لم تتعظ بذلك فتعلم انك لست بخالد —

فَإِن لَّمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ بَاقِيـاً ،
وَدُونَ مَعَـدٍّ ، فَلْتَزَعْكَ ٱلْعَوَاذِلُ (١)

أَرَى ٱلنَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدْرُ أَمْرِهِمْ :
بَلَى ، كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى ٱللهِ وَاسِلُ (٢)

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللهَ بَاطِلُ . وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ (٣)
وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ ، تَصْفَرُّ مِنْهَا ٱلْأَنَامِلُ (٤)
وَكُلُّ ٱمْرِيءٍ يَوْماً سَيَعْلَمُ سَعْيَهُ ، إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ ٱلْإِلَٰهِ ٱلْحَصَائِلُ (٥)

وقد رُوي أنّ النبي [صلى الله عليه وسلم] قال : « أصدقُ كلمةٍ قالها شاعر قولُ لبيد : « الا كلُّ شيء ماخلا الله باطل »

وللَبيدٍ اخبار كثيرة ، وشعر اكثر من ان يُحصى . فقد رُوِيَ عن عائشة أُم المؤمنين أنها قالت : « رَوَيتُ لِلَبيدٍ اثنيْ عشر الفَ بيت »

– فانظر الى ما مضى من القرون وما تماورها من النَّاس فتعلم صحة ذلك .

(١) وَزَعهُ يَزَعهُ وَزعًا – من باب قطع – منعه وكفَّه (العواذل) المراد بها حوادث الدهر ونوازله وزواجره (دون) الثانية منصوبة لانها معطوفه على محل « دون » الاولى لان محلها النصب على المفعولية غير الصريحة (٢) واسل ذو وسيلة . كما قالوا تامر ولابن اي ذو تمر ولبن . والمعنى ان كل عاقل يتخذ الى الله وسيلة تكون سبب نجاته ، وهذه الوسيلة هي ما يقدمه بين يديهِ من الاعمال الصالحات .

(٣) الباطل ، هو في الاصل ضد الحق ، واراد به هنا الهالك (لا محالة) لا بدّ

(٤) دويهية تصغير داهية ، والتصغير هنا للتعظيم ، اي داهية عظيمة (الانامل) رؤوس الاصابع . ومفردها أُنملة (٥) الحصائل جمع حصيلة وهي ما يحصله الانسان من شيء . والمراد بالحصائل نتائج الاعمال .

معلقته وسبب نظمها

الحق ان معلقة لبيد لم تحوِ ماحواه غيرها من الحكمة والمعـاني الاجتماعية . الاّ انها حوتِ سبكاً متيناً ، وتشابيه لطيفة ، ووصفاً رائعاً وحماسة جميلة . سوى ابيات يسيرة من الحكمة الجليلة . وقد افتخر فيها بمآثر قومه . ولم نظفر بالسبب الذي دعاه الى نظمها .

نخبة من معلّقته

عَفَتِ ٱلدِّيارُ ، مَحَلُّها فَمُقَامُها ... بِمِنًى . تأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُها (١)

فَمَدَافِعُ ٱلرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُها ... خَلَقاً ، كَمَا ضَمِنَ ٱلوُحِيَّ سِلامُها (٢)

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنِيسِهَا ... حِجَجٌ خَلَوْنَ ، حَلالُها وَحَرامُها (٣)

وَجَلا ٱلسُّيُولُ عَنِ ٱلطُّلُولِ ، كَأَنَّها ... زُبُرٌ ، تُجِدُّ مُتُونَها أَقْلامُها (٤)

---

(١) عفت اي اندرست وامحت ، وهو يكون لازماً كما هنا ، ويكون متعدياً مثل عفا المطر الديار يعفوها (المحل) اسم مكان من الحلول ، واعرابه انه بدل من الديار بدل البعض من الكل (المقام) اسم مكان من الاقامة (منى) اسم لموضع غير الذي قرب مكة ، والجار والمجرور حال من الديار (تأبد) توحش (الغول والرجام) اسمان لموضعين . وانفصل جملة « تأبد غولها فرجامها » عن جملة « عفت الديار » لان بين الجملتين شبه كمال الاتصال ، وذلك ان الجملة الثانية جواب لسؤال نشأ من الجملة الاولى . فكأن سائلاً سأله ماذا صار بالغول والرجام بعد اندراس الديار ومفارقة الاحبة لها ؟ فقال انها قد تأبدتا اي توحشا بعدهم (٢) المدافع جمع مدفع وهو مجرى الماء (الريان) اسم لجبل (عُرِّيَ) تجرَّد (الرسم) ما كان لاحقاً بالارض من آثار الديار (الخلق) البالي ونصبه على الحال من الرسم (الوحيّ) جمع وَحْي ووَحَى ووَحاة وهي الكتابة (السلام) الحجارة ومفردها سَلِمة . والمعنى ان منازل الاحبة خلت برحيلهم ولم يبق من آثارهم الا ما كان بالياً لاصقاً بالارض التي حفظته كما تحفظ الحجارة ما يُكتب عليها (٣) الدمن جمع دمنة وهو ما يتركه القوم بعد رحيلهم من آثارهم كالرماد ونحوه (تجرّم الشيء) انقضى بحيث لا يبقى منه شيء (الحجج) السنون وهي جمع حجة بمعنى السنة (خلون) مضين وذهبين (حلالها وحرامها) المقصد انها مضت كلها فلم يبق منها باقية . وايام السنة منها اشهر حُرُم وهي التي كان يحرم بها القتال ، وهي اربعة المحرَّم ورجب وذو القعدة وذو الحجة . وسائرها حلال .

(٤) جلا كشف (السيول) جمع سيل (الطلول) جمع طَلَل وهو الشاخص من آثار الديار . (الزُّبُر) جمع زَبور وهو الكتاب (تجد متونها) تجددها اي تعيدها جديدة (المتون) جمع متن ومعناه في الاصل الظهر والمراد بها هنا الكتابة التي تكون في الزَّبور ومفعول ا

فَوَقَفتُ أَسأَلُها ، وَكَيفَ سُؤالُنا ... صُمّاً خَوالِدَ ، ما يَبينُ كَلامُها ؟ (١)

عَرِيَت ، وَكانَ بِها الجَميعُ ، فَأَبكَروا ... مِنها ، وَغودِرَ نُؤيُها وَثُمامُها (٢)

شاقَتكَ ظُعنُ الحَيِّ حينَ تَحَمَّلوا ، ... فَتَكَنَّسوا قُطُناً ، تَصِرُّ خِيامُها (٣)

بَل ما تَذَكَّرُ مِن نَوارِ ، وَقَد نَأَت ، ... وَتَقَطَّعَت أَسبابُها وَرِمامُها ؟ (٤)

مُرِّيَّةٌ حَلَّت بِفَيدَ ، وَجاوَرَت ... أَهلَ الحِجازِ ، فَأَينَ مِنكَ مَرامُها ؟ (٥)

— جلا محذوف ، والتقدير جلت السيول التراب عن الطلول . والمعنى كشفت السيول عن آثار الديار التراب المتراكم الذي كان قد غطّاها فكأنَّ الآثار كتبٌ قد انطمست كتابتها ، وكأن السيول — التي ازالت عن هذه الآثار ما كان قد اخفاها — اقلامٌ اعادت تلك الكتابة في الكتب الى ما كانت عليها — انظر ما صنع الفرزدق لما سمع هذا البيت في الصفحة (١٧٦)

(١) الصم جمع اصم للمذكر وصماء للمؤنث . يقال حجر اصم اذا كان صلباً (الخوالد) البواقي (ما يبين) ما يظهر (٢) عريت تجردت من سكانها وخلت من اهلها . فكأنَّ اهلها كانوا لبوساً لها فكان رحيلهم عنها تجريداً لها من لبوسها (ابكروا) رحلوا بكرة (غودر) ترك (النؤي) حفيرة تحفر حول الخيمة ليجري اليها ماء المطر فلا يدخل الخيمة (الثمام) نبت ضعيف لا يطول تحشى بخوصه خصاص البيوت . والمفرد ثمامة

(٣) شاقتك هاجت بك الشوق (الظعن) جمع ظعينة وهي المرأة مادامت في الهودج ، فان لم تكن فيه فليست بظعينة (تحملوا) حملوا امتعتهم وتهيأوا للمسير (تكنسوا) دخلوا الكناس . والمراد بالكناس هنا الهودج ، واصل معناه بيت الظبي فشبه الهودج به تشبيهاً لمن دخله بالظباء (القطن) بضم الطاء وسكونها معروف . والمراد انهم دخلوا هوادج من القطن (تصر) تصوت ، من الصرير وهو صوت الباب والرحل ونحوهما

(٤) بل هي هنا للاضراب الانتقالي لانهُ ينتقل بها من موضوع الى آخر دون ابطال ما قبله (تذكر) اصلها تتذكر بتاءين حذفت احداهما تخفيفاً (نوار) اسم امرأة . وهي مبنية على الكسر كما هي القاعدة فيما كان على وزن فعالِ من اعلام النساء كحذامِ . والنوار في الاصل هي المرأة النفور من الريبة وجمعها نورٌ (نأت) بعدت (الاسباب) الحبال ومفردها سبب (الرمام) جمع رمة وهي القطعة البالية من الحبل . والمراد بالاسباب والرمام الصلات القوية والضعيفة (٥) مرية منسوبة الى بني مرَّة (فيد) اسم موضع (مرامها) مطلبها .

فَاْقطعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعرَّضَ وَصْلُهُ ، وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا [١]

. . . . . .

أَفَتِلْكَ ؟ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ ، وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَا ؟ [٢]

خَنْسَاءُ ، ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ ، فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا [٣]

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ ، تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ ، كَوَاسِبُ ، لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا [٤]

---

(١) اللبانة الحاجة (تعرَّض الشيء) تعوج ، او دخله فساد . والمراد بالتعرُّض هنا التعذُّر . وتعرَّض الشيء في غير هذا المقام : ابدى عرضه (الخـلة) بضم الخاء : المحبة والصداقة التي لا خَلَل فيها . واماً بفتح الخاء فمناهـا الخصلة وجمعها خـلال (الصرَّام) مبالغة اسم فاعل من الصرم بمعنى القطع – بعد ان قال اقطع حاجتك وميلك عمن تعذَّر عليك وصاله رجع الى نفسه ، وقال : ان شرَّ من يصل الصداقة هو من يقطعها . ويروى : « ولخير واصل خلة صرامها » والمعنى حينئذ : ان خير واصل هو من يحسن القطيعة فلا يتعجل بها . ولعلَّ هذه الرواية اجمل واوقع في النفس ، فان من لا يعرف كيف يقطع الوداد لا يعرف كيف يصله (٢) أفتلك : الهمزة للاستفهام والاشارة الى حمارة الوحش في ابيات قبل هذا اهملناهـا كما اهملنا غيرهـا من ابيات هذه القصيدة . وقد شبه بها ناقته . فهو يقول أناقتي تشبه تلك الاتان الوحشية ؟ ام تشبه بقرة وحشية من صفتها كذا وكذا ؟ كما ستأتي اوصافهـا (وحشية) اي بقرة وحشية (مسبوعة) اي اكل السبع ولدهـا (خذلت) تخلَّفت عن القطيع . يقال : خذلت الظبية وغيرها اذا تأخرت عن صواحبها وتخلفت عن قطيعها ، فكأنها أُصيبت بالخذلان بسبب ذلك (الهادية) من يتقدم على القطيع ليهديه . ومنه هادية الجيش (الصوار) القطيع من البقر (قوام كل شيء) ما يقوم به ويعتمد عليه . والمعنى انهـا تبحث عن ولدها غير انها دائماً تلتفت الى القطيع فيكون معتمدُها هاديتَهُ فان رأته طابت نفسها وانست به حـذراً من ان تضل عن صواحبها (٣) الخنساء : البقرة الوحشية . والخنس في الاصل هو تأخر الانف مع قصره والمذكر اخنس والمؤنث خنساء . والجمع خُنس . والبقر كلها خُنْس (الفرير) هو ولد البقرة والنعجة والماعزة . وجمعهُ فُرار (لم يرم) لم يبرح . رام المكان يريمه ، اي لازمه فلم يبرحه (عرض الشقائق) ناحيتها . والشقائق : جمع شقيقة وهي ارض غليظة بين رملتين (طوفها) طوافها . وهو فاعل يرم (بغامها) صوتها . والبغام هو صوت الظبية ونحوها وصياحها الى ولدها بارخم ما يكون من صوتها ومثله البغوم . والفعل من الثاني بَغَم يبغم من باب نصر وضرب . ومن الاول بَغِم يبغَم من باب علم (٤) لمعفر : اي هي تطوف وتبغم وتبكي لاجل ولد –

صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا • إِنَّ ٱلْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا (١)

بَاتَتْ ، وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ ، يُرْوِي ٱلْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا (٢)

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ ، فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ ٱلنُّجُومَ غَمَامُهَا (٣)

فَبِتِلْكَ [إِذْ رَقَصَ ٱللَّوَامِعُ بِٱلضُّحَى وَٱجْتَابَ أَرْدِيَةَ ٱلسَّرَابِ إِكَامُهَا] (٤)

أَقْضِي ٱللُّبَانَةَ ، لَا أُفَرِّطُ رِيبَةً ، أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُهَا (٥)

— معفر اي عُفّر بالتراب . والمعفّر ايضاً هو الذي أُرضع مرة وترك اخرى ليعوّد الطعام (القهد) ولد البقرة ، وقيل : هو الصغير اللطيف من البقر ، وهو بدل من معفّر (شلوه) بقيته (غبس) اي ذئاب غبس وهي التي فيها الغبسة اي صفرة ضاربة الى السواد (كواسب) اي تكسب ما تأكله (لا يُمَنُّ طعامها) اي هي تأكل من كسبها فلا يمنّ عليها احد باطعامها (١) منها : اي من هذه البقرة (غرة) غفلة (اصبنها) الضمير للغرة (لا تطيش) لا تخطيء (٢) باتت : الضمير للبقرة الوحشية (اسبل) سال (الواكف) المطر (الديمة) مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . والمراد بالديمة السحابة لان المطر منها ينزل . فقد اطلق المسبب وهو الديمة واراد السبب وهو السحاب (الخمائل) جمع خميلة وهي الشجر الملتف ، والموضع الكثير الشجر (تسجامها) صبّها . يقال سجّم الدمعَ تسجيماً وتسجاماً اي صبه . وسجم الدمعُ سُجوماً وسِجاماً — من باب نصر — سال (٣) المتن : الظهر ، وطريقته ما بين الحارك الى الكفل (متواتر) اي مطر متواتر اي متتابع او متقطع ، فالمتواتر يجيء بالمعنيين (كفر النجوم) سترها وغطّاها . ومنه كفر الحبَّ اذا ستره بالتراب . ولهذا قيل للزارع كافر . ومنه الكافر شرعاً ، لانه يستر الحق باعتقاده الباطل (٤) فبتلك : الاشارة الى ناقته (رقص) اضطرب (اللوامع) جمع لامعة . يقال لمع البرق ونحوه اذا اضاء . واراد باللوامع الآل وهو الذي يراه الانسان في الضحى وآخر النهار كأنه يرتفع وينحط (اجتاب) لبس (الاردية) جمع رداء (السراب) ما يراه الانسان عند اشتداد الحر كأنه ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، وهو يكون لاصقاً بالارض (الاكام) الاماكن المرتفعة من الارض . ومفردها الاصلي أكمة . وجمع الاكمة أكَم وأكَمات وجمع الاكَم : إكام ، وجمع الاكام أُكُم ، وجمع الأُكُم آكام (٥) لا افرط : لا اضيع . يقال فرّط الشيء وفرّط فيه اذا ضيعه وقدم العجز فيه . ومفعول افرط محذوف والتقدير لا افرطها او لا افرط فيها اي في اللبانة (الريبة) الشك والتهمة ، واصل معناها قلق النفس واضطرابها (اللوام) الكثير اللوم . والمعنى اقضي حاجتي لا افرط فيها حذراً من ان يرتاب —

أَوَلَمْ تكُنْ تدرِي نَوَارِ بِأَنَّنِي	وَصَّالُ عقدِ حبائِلٍ ، جذَّامُها ؟ (١)
تَرَّاكُ أمكِنَةٍ إذا لم أرضَها ،	أو يعتقِي بعضَ النفوسِ حِمامُها (٢)
بل أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ	طَلْقٍ ، لذيذٍ لهوُها وندامُها (٣)
قد بِتُّ سامِرَها ، وغايةِ تاجرٍ	وافيتُ ، إذ رُفِعت وعزَّ مُدامُها (٤)
ولقد حَمَيتُ الحَيَّ ، تحمِلُ شِكَّتي	فُرُطٌ ، وِشاحِي إذ غدوتُ لِجامُها (٥)
فعلوتُ مُرتَقِياً على ذي هَبْوَةٍ ،	حَرِجٍ إلى أعلامِهِنَّ قَتامُها (٦)

— بي الناس و يتهموني ، فاني لا اباليهم ، الا اذا لامني في طلب حاجتي لائم فلا اعبأ بملامته .

(١) نوارِ مبنية على الكسر ومحلها الرفع لانها فاعل تدري (بانني) الباء حرف جر زائد للتوكيد وليست باء التعدية لان درى يتعدى بنفسه (وصال) مبالغة اسم فاعل من الوصل (الحبائل) جمع حبالة وهي المِصيدة ، والمراد بها هنا المودة والمحبة مجازًا لان الحب مصيدة يصاد بها العاشق (الجذام) مبالغة اسم فاعل من الجذم وهو القطع

(٢) تراك مبالغة من الترك (امكنة) جمع مكان (يعتقي) يحبس او يأتي (بعض النفوس) اراد بالبعض نفسه (الحمام) الموت . ويروى بدل يعتقي يعتلق . يقال اعتلق به اي تعلّق

(٣) الليلة الطلق هي التي لا برد فيها ولا ريح ولا مطر ، او التي لا حرّ فيها ولا برد (الندام) النادمة (٤) سامرها الضمير يعود الى الليلة . والسامر هو من يجالس للحديث ليلًا وجمعهُ سُمَّار (الغاية) الراية ، واراد بها راية الخمار التي ينصبها على حانوته ليُهتدى اليه . وغاية بالنصب على انها مفعول لوافيت مقدم عليه و بالجر عطفاً على ليلة ، او على ان الواو واو ربّ (عزّ) غلا وارتفع (المدام) الخمر (٥) الشكة السلاح (الفرط) الفرس السريعة السابقة لانها تتفرط الخيل اي تتقدمها (الوشاح) هو شيء يتخذ للزينة تشده المرأة بين عاتقها وكشحها . وقد جعل لجام فرسه وهو على عاتقه كالوشاح (غدوت) ذهبت وقت الغداة (٦) مرتقياً بفتح القاف وكسرها . فالفتح على انه اسم مكان من الارتقاء فهو مفعول به لعلوت . اي علوت مكانًا عاليًا يُرتقى اليه . والكسر على انه اسم فاعل فهو حال من فاعل علوت . اي علوت حال كوني مرتقيًا (على ذي هبوة) اي على مهر ذي هبوة و (الهبوة) الغبار . وانما وصفه بانه ذو هبوة لان وقع حوافره يثير الغبار (حرج) مجتمع ، وهو صفة لهبوة يقال حرج الغبار – من باب علم – فهو حَرِجٌ اذا انضم ، او ثار في موضع ضيق فانضمّ الى حائطٍ او سند (الاعلام) جمع عَلم وهو الجبل والبيرق والثاني هو المراد على ما نظن والضمير يرجع الى جموع الأعداء –

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ، وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا (١)

أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ ، جَرْدَاءَ ، يَحْصَرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا (٢)

. . . . . .

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا ، مَجْهُولَةٍ ، تُرْجَى نَوَافِلُهَا ، وَيُخْشَى ذَامُهَا (٣)

أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا ، وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي ، وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا (٤)

– المعروفة من المقام (القتام) الغبار والضمير يرجع الى الهبوة . والمعنى علوت مرتقياً على هذا المهر ذي الهبوة التي كانت تثار وتجتمع منضماً بعضها الى بعض فتصل الى الاعداء لقربي منهم . يريد بذلك انه كان يحمي الحي وهو قريب من الاعداء بحيث ان غبار فرسه كان يصل اليهم . يشير بذلك الى ما كان يحيق به من الخطر وهو غير مبال به – وقد رفع « القتام » على انه فاعل لشبه الفعل وهو « حرج »

(١) القت الضمير المستتر يعود الى الشمس المعلومة من المقام . وهذا الصنيع شائع في كلام العرب . قال تعالى « كلاً اذا بلغت التراقي » اي بلغت الروح وهو لم يذكرها ولم يسبق لها ذكر ، الا ان المقام يعينها (الكافر) الليل . سمي بذلك لانهُ يكفر الاشياء بظلامه اي يسترها (اجنّ) ستر . يقال اجنّه الليل وجنّ عليه الليل (العورات) جمع عورة وهي الخلل في الثغر وغيره يخاف ان يأتي العدو منه . وعورات الثغور مواضع المخافة فيها بحيث لا تكون محصنة او لا يكون فيها من يدافع عنها ممن يحميها . والثغور جمع ثغر وهو من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منها (ظلامها) الضمير يرجع الى عورات الثغور . والاضافة لأدنى ملابسة (٢) اسهلت نزلت الى السهل ، وهو جواب اذا (انتصبت) الضمير يرجع الى الفرس (الجذع) ساق الشجرة التي تقوم عليها (منيفة) اي نخلة منيفة اي طويلة (جرداء) اي متجردة من النقصان لانها لم تمس بقطع شيء منها (يحصر) يضيق صدرهم (الجُرَّام) جمع جارم . واراد بالجرام الذين يقطعون ما على النخل من الثمر ، يقال جرم الشيء اذا قطعه – وصف فرسه بالنخلة الطويلة التي لم يقطع منها شيء لانها اعيت من يجرمها واتعبته دون ان ينال منها منالاً (٣) وكثيرةٍ ، اي ربَّ قبة كثيرة غرباؤُها . واراد بها قبة النعمان بن المنذر . والواو واو رب ولذا جرَّت ما بعدها (مجهولة) اي مجهولة عواقبها (نوافلها) عطاياها وهي جمع نافلة (يخشى) يخاف (الذام) العيب (٤) بؤت : رجعت ، وفي هذا البيت وما قبله اشارة الى ما جرى له مع الربيع ابن زياد العبسي بحضرة النعمان . وقد تقدمت القصة في الصفحة (١٦٤) الى الصفحة (١٦٧)

إِنَّا إِذَا ٱلْتَقَتِ ٱلْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ ... مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ ، جَشَّامُهَا [١]

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ . ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا [٢]

لَا يَطْبَعُونَ ، وَلَا يَبُورُ فَعَالُهُمْ : ... إِذْ لَا يَمِيلُ مَعَ ٱلْهَوَى أَحْلَامُهَا [٣]

فَٱقْنَعْ بِمَا قَسَمَ ٱلْمَلِيكُ ، فَإِنَّمَا ... قَسَمَ ٱلْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَّامُهَا [٤]

وَإِذَا ٱلْأَمَانَةُ قُسِمَتْ فِي مَعْشَرٍ ... أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا [٥]

فَبَنَى لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سَمْكُهُ ، ... فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا [٦]

وَهُمُ ٱلسُّعَاةُ إِذَا ٱلْعَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ ، ... وَهُمُ فَوَارِسُهَا ، وَهُمْ حُكَّامُهَا [٧]

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمُ ، ... وَٱلْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا [٨]

---

(١) لزاز عظيمة : ملازم لها موكّل بها قادر عليها . واللزاز في الاصل خشبة يُلَزُّ بها الباب اي يشد (الجشام) المتكلف من الامور ما فيه عسر ومشقة . يقال : جَشِمَ الشيء وتجشّمه ، اذا تكلفه بمشقة (٢) سنت : اي سنت لهم هذه السنة و (السنة) الطريقة (الامام) المثال الذي يقتدى به ويُسار بهديه (٣) لايطبعون : لاتدنس اخلاقهم واعراضهم . يقال : فلان يطبَع : اذا لم يكن له نفاذ في مكارم الامور كما يطبع السيف - اي لا يقطع - اذا كثر عليه الصدأ . وهو من باب علم . والطَّبَع - بالتحريك - : الدنس ، والوسخ الشديد ، والصدأ ، والشين ، والعيب . يقال : « رب طمع يهدي الى طَبَع » (لا يبور) لا يهلك (الفَعال) بفتح الفاء : المحمود من الافعال (الاحلام) العقول ، ومفرده حِلْم . بكسر اوله وسكون ثانية . والضمير يعود الى المعشر وانما أنث الضمير لان المعشر بمعنى الجماعة (٤) الخلائق : جمع خليقة وهي السجية والطبيعة (٥) اوفى : وفى ولم ينقص (اوفر) اتمّ (٦) سمكه : سقفه . واراد انه رفيع شرفه . لان المراد بالبيت هو المجد (سما) علا وارتفع (كهلها وغلامها) كبيرها وصغيرها . والكهل هو من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين او اربعاً وثلاثين الى احدى وخمسين . وجمعه : كهلون وكهول وكُهلان وكِهال (٧) السعاة الساعون بامرها القائمون بحاجاتها (أفظعت) دُهيت بامر فظيع (٨) ربيع : اي اهل خير لمن يجاورهم ، ووصفهم بانهم ربيع لان الخيرات تكثر في هذا الفصل (المرملات) النساء اللاتي فني زادهن ولم يبق معهن طعام . يقال ارمل الانسان اذا فني زاده (تطاول عامها) امتد عام ارمالها وفناء زادها .

٤ عمرو بن كُلثوم

توفي سنة (٦٠٠) م ، و(٥٢) قبل الهجرة

هو عمرو بن كُلثوم بن مالك بن عتَّاب بن زُهـير التغلبي ، من بني تَغلِب بن وائل ، وينتهي نسبه الى مَعَدّ بن عدنان . وامه هي ليلى بنت مُهَلْهِل الذي هو اخو كُلَيب المشهور .

وقد ساد عمرو بن كلثوم قومه وهو ابن خمسة عشر عاماً . ومات وله من العمر مئة وخمسون سنة (١٥٠)

وكان فارساً أبيّاً جريئاً ، حتى بلغ من امره أن فتك بالطاغية عمرو ابن هند في بلاط سلطانه . كما سيأتي تفصيل ذلك .

وكان له اخ يقال له مُرَّة بن كلثوم ، وهو الذي قتل المنذر بن النعمان واخاه . وايَّاهما عنى الاخطل بقوله :

أَ بَـنِي كُلَيْبٍ ، إنَّ عَمَّيَّ ٱللَّذَا قَتَلَا ٱلْمُلُوكَ وَفَكَّكَا ٱلْأَغْلَالَا (١)

وقال الفرزدق يردُّ على جَرير في هجائه الاخطل :

مَاضَرَّ تَغلِبَ وَائِل ، أَهَجَوْتَهَا ؟ أَمْ بِلتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ ٱلْبَحْرَانِ ؟

قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ٱبْنَ هِنْـدٍ عَنْوَةً عَمْرًا ، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى ٱلنُّعْمَانِ (٢)

وكان له ابن يقال له عَبَّاد ، وهو قاتل بِشْر بن عمرو بن عَدَس . وكان

---

(١) اللذا : اللذان (الاغلال) القيود (٢) عنوة قوةً واقتدارًا (قسطوا) جاروا وظلموا

عمرو بن كلثوم شجاعاً مُظفَّرًا مِقداماً فتَّاكاً . وبه يُضرَب المثل في الفتك فيقال : « أفتك من عمرو بن كلثوم » لفتكه بعمرو بن هند .

وكان من حديث عمرو بن كلثوم انه أغار على بني تميم . ثم مرَّ من غزوه ذلك على حي من بني قيس بن ثعلبة ، فملأ يديه منهم ، وأصاب أَسارى وسبايا . وكان فيمن اصاب احمد بن جَندل السعدي . ثم انتهى الى بني حنيفة باليمامة وفيهم أُناس من بني عِجْل . فسمع بـه اهل حِجْر ، فكان اولَ من اتاه من بني حنيفة بنو سُحَيم ، عليهم يزيد بن عمرو بن شِمْر فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

مَنْ عَاذَ مِنِّي بَعْدَهَا فَلَا ٱجْتَبَرْ ، وَلَا سَقَى ٱلْمَاءَ وَلَا أَرْعَى ٱلشَّجَرْ (١)

بَنُو لُجَيْمٍ وَجَعَاسِيسُ مُضَرْ بِجَانِبِ ٱلدَّوِّ ، يُدِيهُونَ ٱلْعَكَرْ (٢)

فانتهى اليه يزيد بن عمرو ، فطعنه فصرعه عن فرسه وأَسره .

وكان يزيد شديدًا جسيما فشدَّه في القِدّ (٣) ، وقال له : انت الذي تقول ؟ :

مَتَى تُعْقَدْ قَرِينَتُنَا بِحَبْلٍ تَجُذَّ ٱلْحَبْلَ أَوْ تَقِصِ ٱلْقَرِينَا (٤)

---

(١) عاذ مني ، اي عاذ بشيء مني . يقال عاذ به من كذا يعوذ عوذًا ومَعاذًا وعِياذًا ومَعاذةً اي التجأ اليه . ومنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، اي اعوذ الى الله والتجيء اليه من الشيطان (اجتبر) انتعش . يقال جبرته فاجتبر اي انعشته فانتعش . (ارعى) رعى (٢) جعاسيس جمع جعسوس وهو القصير الدميم (الدو) المفازة وهي الارض المخوفة . واراد بها ارضاً معينة مسماة عندهم بهذا الاسم (يديهون) هذه هي الرواية ولم نظفر لها بتفسير في كتب اللغة التي بين ايدينا كلسان العرب والقاموس . ولعلها يدهدون بمعنى يسوقون . يقال دهدى الحجر ودهدهه بمعنى دحرجه (العكر) الابل التي فوق خمس مئة (٣) القد قَيْد من جلد يُقيَّد به الاسير (٤) سيأتي تفسيره في معلقته .

أما اني سأقرِنُك الى ناقتي هذه فأَطرِدُكما [١] جميعاً . فنادى عمرو بن كلثوم : « يالَربيعة ، أُمثلَة [٢] ؟ » فاجتمعت فنهوه [ولم يكن يريد ذلك به] فسار به حتى اتى قصرًا في حِجر من قصورهم . وضرب عليه قُبَّة ونحر له وكساه وحمله على نجيبه [٣] ، وسقاه الخمر . فلما اخذت الخمر برأسه تغنَّى ، فقال :

أَأَجمعَ صُحبَتِي ٱلسَّحَرَ ٱرْتِحَالَا ، وَلَمْ أَشعُرْ بِبَيْنٍ مِنكَ هَالَا [٤]

وَلَمْ أَرَ مِثلَ هَالَةَ فِي مَعَدٍّ أُشَبِّهُ حُسنَهَا إِلَّا ٱلْهِلَالَا [٥]

أَلَا أَبلِغْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ وَتَغلِبَ [كُلَّمَا أَتَيَا حِلَالَا] [٦] :

بِأَنَّ ٱلْمَاجِدَ ٱلْقَرْمَ بْنَ عَمْرٍو غَدَاةَ نُطَاعُ قَدْ صَدَقَ ٱلْقِتَالَا [٧]

كَتِيبَتُهُ مُلَمْلَمَةٌ رَدَاحٌ ، إِذَا يَرْمُونَهَا تُفْنِي ٱلنِّبَالَا [٨]

جَزَى ٱللهُ ٱلْأَغَرَّ يَزِيدَ خَيْرًا ، وَلَقَّاهُ ٱلْمَسَرَّةَ وَٱلْجَمَالَا [٩]

---

(١) اطردكما : اسوقكما . يقال طرده — من باب ضرب — اي ابعده وساقه ونحّاه وقال له اذهب عني (٢) المثلة التنكيل ، ومنه التمثيل بالقتلى (٣) النجيب الجمل الكريم . واصل معناه الكريم الحسيب من الانسان والحيوان . والجمع نُجَباء ونُجُب وأنجاب

(٤) السحر وقت قُبيل الصبح (البين) البعد والفراق (هال) اي هالني . يقال هاله الامر اذا افزعهُ وعظُم عليه (٥) هالة اراد بها قبيلة بعينها . والهالة في الاصل هي ما يحيط بالقمر كالأفاوة لما يحيط بالشمس (٦) حلال اسم صنم كان لبني فزارة ، هذا ان كان بفتح الحاء ، واما ان كان بكسرها فالمراد اتيا قوماً حلالاً اي نازلين وفيهم كثرة . او اتيا مجتمعات الناس . ولعل هذا اقرب . والحِلال بكسر الحاء جمع حِلة بكسرها ايضاً وهي المجتمع ، والقوم النزول فيهم كثير (٧) الماجد العزيز الرفيع القدر الشريف الكريم (القرم) السيد العظيم . واصل معناه الفحل الذي لم يَمَسهُ حبل ولم يُحمل عليهِ

(٨) الكتيبة القطعة من الجيش مجتمعة (ململمة) مجموعة (الرداح) الكتيبة الثقيلة الجرارة (٩) الاغر الكريم الافعال الواضحها .

قيل : انّ أُمه ليلى لمّا حملت به قالت : اتاني آتٍ في المنام فقال :

يَا لَكِ —لَيْلَى— مِنْ وَلَدْ ، يُقْـدِمُ إِقْـدَامَ ٱلْأَسَـدْ !
مِنْ جُشَمٍ ، فِيـهِ ٱلْعُدَدْ ، أَقُولُ قَوْلًا لَا فَنَـدْ [1]

فولدتْ غلاماً وسمّته عَمرًا . فلما أَتتْ عليه سنة قالت : «اتاني ذلك الآتي في الليل فأشار الى الصبي ، وقال :

إِنّي زَعِيمٌ لَكِ ، أُمَّ عَمْرِو ، بِمَاجِدِ ٱلْجَدِّ كَرِيمِ ٱلنَّجْرِ [2]
أَشْجَعَ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ هِزَبْرِ ، وَقَّاصِ آدَابٍ ، شَدِيدِ ٱلْأَسْرِ [3]
يَسُودُهُمْ فِي خَمْسَةٍ وَعَشْرِ

فكان كما قال ، ساد وهو ابن خمسة عشر عاما .

قتلهُ عمرو بن هند الملك

كانت بنو تَغلِب بن وائل [قوم عمرو بن كلثوم] من اشد الناس في الجاهلية . ولو ابطأ الاسلام قليلاً لأَكلت بنو تغلب الناس .

وقد قال عمرو بن هند الملك ذات يوم لندمائه : «هل تعلمون احدًا

---

(١) العُدَد : جمع عُدة ، وهي الاستعداد للامر (الفند) الكذب

(٢) النجر : الاصل (٣) ذي لبدة : اي اسد ذي لبدة . واللبدة هي الشعر المجتمع بين كتفي الاسد . وذو لبدة : لقب للاسد (الهزبر) من اسماء الاسد (وقاص) مبالغة من الوقص وهو كسر العنق ودقّها . واراد بقوله : وقّاص آداب انه سيكون له ادب جمّ . على حد قولهم نحر العلم نحرًا وقتل الادب علماً (الامر) القوة .

من العرب تأنف أمه من خدمة امي ؟ » قالوا : « نعم، أمُّ عمرو بن كلثوم » قال : « ولِمَ ؟ » قالوا : « لانَّ اباها مُهَلهِل بن ربيعة وعمَّها كليب بن وائل اعزُّ العرب، وبعلَها كُلثوم بن مالك افرسُ العرب، وابنها عمرو وهو سيد قومه » فأَرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره، ويسأله ان يُزيرَ أُمَّهُ أُمَّهُ . فأقبل عمرو من الجزيرة الى الحيرة في جماعة من بني تغلب . واقبلت ليلى بنت مهلهل في ظُعن [1] من بني تغلب .

فأمر عمرو بن هند برِواقه [2] فضُرب فيما بين الحيرة والفرات، وارسل الى وجوه اهل مملكته فحضروا، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه . ودخلت ليلى أُمُّ عمرو بن كلثوم وهند أُمُّ عمرو بن هند في قبَّة من جانب الرواق .

وقد كان عمرو بن هند قد أَمَرَ أُمَّهُ ان تُنحِّي الخدم اذا دعا بالطُّرَف [3] وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بن هند بمائدة، ثُمَّ دعا بالطُّرَف . فقالت هند : « ناوليني ياليلى ذلك الطَّبق [4] » فقالت ليلى : « لِتقمْ صاحبة الحاجة الى حاجتها » فأعادت عليها وألحَّتْ . فصاحت ليلى : « واذُلاَّه، يالَتغلِب » فسمعها ولدها عمرو فثار الدم في وجهه . ونظر اليه عمرو بن

---

(١) الظعن : بسكون العين وضمها : النساء . ومفردها ظعينة وتجمع ايضاً على ظعائن . وجمع الجمع اظعان . واصل معنى الظعينة الهودج فيه امرأة اولا

(٢) الرواق : البيت . وقيل سقف في مقدم البيوت . والمراد بالرواق هنا بيت عظيم من بيوتهم نصبه لهم . وجمعه رِواقات وأَروِقة ورُوقة (٣) الطرف : جمع طُرفة . ومعناها المُلحة، والغريب المستحسن المعجب . واراد بالطرف ما يقدم بعد الطعام من حلوى وفاكهة (٤) الطبق : ما يؤكل فيه من وعاء .

هند ، فعرف الشر في وجهه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو ابن هند ، معلّق بالرواق [ليس هناك سيفٌ غيره] فضرب به رأس عمرو ابن هند . ونادى في تغلب . فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه [١] وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم في معلقته :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ، فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ ٱلْجَاهِلِينَا [٢]

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ — عَمْرَ بْنَ هِنْدٍ — نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا

تُهَدِّدُنَا وَتُوعِدُنَا ؟ رُوَيْدًا ، مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتَوِينَا ؟

فَإِنَّ قَنَاتَنَا — يَا عَمْرُو — أَعْيَتْ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

وفي ذلك يقول أفنون بن صَريم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم :

لَعَمْرُكَ ، مَا عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ — وَقَدْ دَعَا

لِتَخْدِمَ أُمِّي أُمَّهُ — بِمُوَفَّقِ

فَقَامَ ٱبْنُ كُلْثُومٍ إِلَى ٱلسَّيْفِ مُصْلَتًا ،

فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِٱلْمُخَنَّقِ [٣]

وَجَلَّلَهُ عَمْرٌو عَلَى ٱلرَّأْسِ ضَرْبَةً

بِذِي شُطَبٍ ، صَافِي ٱلْحَدِيدَةِ ، رَوْنَقِ [٤]

---

(١) نجائبه ابله والمفرد نجيبة (٢) سيأتي تفسير هذه الابيات في معلقته

(٣) مصلتاً مجرداً من غمده (الندمان) المنادم على الشراب (المخنق) العنق لانه موضع حبل الخنق (٤) جلّله ضربة اي جعل الضربة غطاء له كما يجلل الغطاء الرأس (بذي شطب) اي بسيف ذي طرائق في متنه . ومفرد الشطب شُطبة وهي الطريقة في متن السيف (رونق) اي ذي رونق . ورونق السيف طلاوته . ورونق الضحى حسنهُ واشراقه .

وفاة عمرو بن كلثوم

عمرو بن كلثوم مذكور في طبقات المعمَّرين الذين بلغوا من الكِبَر عِتيًّا [١] . وقد ذكروا أنه لمَّا حضرتهُ الوفاةُ جمع بنيه ، فقال :

« يَا بَنِيَّ ، قَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْعُمُرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي . وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ . وَإِنِّي وَٱللهِ مَا عَيَّرْتُ أَحَدًا بِشَيْءٍ إِلَّا عُيِّرْتُ بِمِثْلِهِ ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَحَقًّا ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَبَاطِلًا . وَمَنْ سَبَّ سُبَّ ، فَكُفُّوا عَنِ ٱلشَّتْمِ ، فَإِنَّهُ أَسْلَمُ لَكُمْ . وَأَحْسِنُوا جِوَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ . وَٱمْنَعُوا مِنْ ضَيْمِ [٢] ٱلْغَرِيبِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، وَرَدٍّ خَيْرٌ مِنْ خُلْفٍ . وَإِذَا حُدِّثْتُمْ فَعُوا [٣] ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنَّهُ مَعَ ٱلْإِكْثَارِ يَكُونُ ٱلْإِهْذَارُ [٤] . وَأَشْجَعُ ٱلْقَوْمِ ٱلْعَطُوفُ [٥] بَعْدَ ٱلْكَرِّ ، كَمَا أَنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَنَايَا [٦] ٱلْقَتْلُ . وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رَوِيَّةَ [٧] لَهُ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبْ [٨] . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يُخَاف

---

(١) اي وصلوا الى حالة من الكبر لا سبيل الى اصلاحها ومداواتها . يقال عتا الرجل عتيًّا - بكسر العين وضمها - اي طعن في السن وولى امره (٢) الضيم الظلم والقهر

(٣) عوا اي احفظوا ماتسمعونه ولا تهملوه . والماضي منهُ وعى والمضارع يعي (٤) الاهذار والهذر الكلام بما لا ينبغي وهو الهذيان (٥) العطوف الذي يعطف على المنهزمين فيحميهم . ومن معانيهِ الشفوق الحسن الخلق المحسن (٦) المنايا جمع منية وهي الموت

(٧) الروية التروي والتأني (٨) لم يعتب لم يعطِ العُتبى وهي الرضى ، يقال اعتبهُ اذا اعطاه العتبى اي الرضى وترك ما كان يغضب لاجله . والمعنى لاخير فيمن اذا استُرضي لم-

شَرُّهُ ، فَبُكُوؤُهُ خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ [١] ، وَعُقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بِرِّهِ [٢] . وَلَا تَتَزَوَّجُوا فِي حَيِّكُمْ ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى قَبِيحِ ٱلْبُغْضِ »

وكانت وفاته سنة (٦٠٠) لميلاد المسيح عليه السلام ، وسنة (٥٢) قبل الهجرة النبوية . وله من العمر خمسون سنة ومئة (١٥٠)

الكلام على شعره

كان شاعراً فحلاً ، مطبوعاً ، صافي الديباجة ، كثير الطّلاوة ، حسن السبك ، واضح المعاني ، شديد الفخر ، قويّ الشكيمة في الحماسة . ولم أرَ بين شعراء المعلقات وغيرهم من شعراء الجاهلية من يُدانيه في فخريّاته الاّ الحارث بن حِلّزة اليشكري ، صاحب المعلقة السابعة ، وفي حماسيّاته الاّ عنترة بن شداد ، صاحب المعلقة السادسة . فهو في شعره مَهبط الحماسة ، ومَوحى الفخر ، مع لفظٍ جزل ، وأسلوب رائع .

ومن شعره قوله يخاطب احد امراء غسّان :

أَلَا فَٱعْلَمْ – أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ – أَنَّا ... عَلَى عَمْدٍ سَنَأْتِي مَا نُرِيدُ [٣]

– يرض . قال الامام الشافعي – رضي الله عنه – « من استُغضِب ولم يغضب فهو حمار ، ومن استُرضي ولم يرض فهو شيطان . فلا تكن حمارًا ولا تكن شيطانًا »

(١) البكوء قلة اللبن يقال بكأت الناقة والشاة اذا قلّ لبنها . وبكأت البئر اذا قلّ ماؤها . وبكأت العين اذا قلّ دمعها . فهي بَكِيٌّ وبكيئة (الدرّ) كثرة اللبن

(٢) العقوق العصيان وترك الشفقة والاحسان . يقال عقّ الولد اباه ، اذا عصاه ولم يُحسن اليه . وبابه نصر (البر) الاحسان (٣) ابيت اللعن هي تحية الملوك في الجاهلية . معناها امتنعت عمّا يوجب اللعن لانك لم تفعل ما تستوجب بهِ ذلك

تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ ، وَأَنَّ زِنَادَ كَبَّتِنَا شَدِيدُ [١]
وَأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ يُوَازِينَا إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ [٢]

وهجا النعمان بن المنذر هجاءً كثيراً ، منه قوله يُعَيِّره بأمه :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بَعْدَ فَرْتَاجِ ، وَقَدْ تَكُونُ قَدِيماً فِي بَنِي تَاجِ [٣]
إِذْ لَا تُرَجِّي سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَ لَهَا مَنْ بِالْخَوَرْنَقِ : مِنْ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ [٤]
وَأَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا حَرَسٌ ، كَمَا تَلَفَّفَ قِبْطِيٌّ بِدِيبَاجِ [٥]
تَمْشِي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْيَنْبُوتِ وَالْحَاجِ [٦]

وقال فيه :

لَحَا اللهُ أَدْنَانَا إِلَى اللُّؤْمِ زُلْفَةً ، وَأَلْأَمَنَا خَالًا ، وَأَعْجَزَنَا أَبَا [٧]

---

(١) تعلم أي اِعلمْ (الزِّناد والزَّند) العود الاعلى الذي يقتدح بهِ لتكون النَّار كما انَّ الزَّندة هي العود الاسفل (الكبة) ان كانت بضم الكاف فمعناها الجماعة من الخيل . وان كانت بفتحها فمعناها الحملة في الحرب . والمعنى ان عود حملنا قوي . فمتى اردنا الحرب هجناها وكنَّا الفائزين . شبه اهاجة الحرب بالزناد الذي يستقدح به

(٢) يوازينا : يماثلنا ويطاولنا (٣) خبت وفرتاج ، موضعان

(٤) الخورنق ، تقدم الكلام عليه في الصفحة (١٠٨ — (القين) العبد ، والصانع ، والحداد وجمعه قِيان (النسَّاج) الذي ينسج الثياب . والمعنى انها لم تكن لترجو ان يكون لها من بالخورنق من عبيد وصناع يصنعون لها مايلزمها من المصنوعات ونُسَّاج ينسجون ماتطلبه من الثياب والرياش (٥) الديباج ، الثوب الذي سداه ولحمته حرير (٦) الينبوت ، ضرب من الشجر ذو شوك ومفرده ينبوتة (الحاج) نوع من الشوك (٧) لحا ، معناها هنا اخزى . وفي غير هذا المقام يقال : لحا فلان فلاناً اي شتمهُ وسبهُ وعابهُ ولامهُ . ولحا الشجرة اي قشَّرها . يقال منه ، لحا يلحو ، ولحى يلحى (ادنانا) اقربنا (زلفة) منزلة . جمعها زلفٌ . والزلفة تأتي ايضاً بمعنى القربة والطائفة من اول الليل وجمعها زُلَف

وَأَجْدَرَنَا أَنْ يَنْفُخَ ٱلْكِيرَ خَالُهُ ، يَصُوغُ ٱلْقُرُوطَ وَٱلشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا (١)

ومن شعره قوله :

مَعَاذَ ٱلْإِلَـهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا
عَلَى هَالِكٍ ، أَوْ أَنْ تَضِجَّ مِنَ ٱلْقَتْلِ
قِرَاعُ ٱلسُّيُوفِ بِٱلسُّيُوفِ أَحَلَّنَـا
بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ، ذِي أَرَاكٍ وَذِي أَثْـلِ (٢)
فَمَا أَبْقَتِ ٱلْأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْـدَنَا
سِوَى جِذْمِ أَذْوَادٍ مُحَـذَّفَةِ ٱلنَّسْلِ (٣)
ثَلَاثَـةُ أَثْلَاثٍ : فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا ،
وَأَقْوَاتُنَـا ، وَمَا نَسُوقُ إِلَى ٱلْقَتْلِ (٤)

---

(١) القروط ، جمع قرط وهو ما يعلق في الاذن من درة ونحوها (الشنوف) القروط ومفردها شنف . وقد قيل ، ان القرط ما يعلق في اسفل الاذن والشنف ما يعلق في اعلاها (يثرب) هي المدينة ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) القراع والمقارعة : مضاربة القوم في الحرب. والكلام على حذف مضاف ، والتقدير : قراع اصحاب السيوف بالسيوف (البراح) الارض التي لا بناء فيها ولا عمران . واعرابه انه بدل من ارض لا صفة لها . ولو كان صفة لها لوجب ان يقال : ذات اراك . لكنه جعل « ذي » صفة لبراح فوجب ان يكون براح بدلًا من ارض لا صفة لها لان الصفة لا توصف الا اذا أُقيمت مقام الاسم وليست هنا كذلك (الاثل والاراك) نوعان من الشجر

(٣) ملمال : اي من المال (الجذم) الاصل (الاذواد) جمع ذَوْد وهو مادون العشرة من الابل (محذفة النسل) مقطوعته . والمعنى ان الحرب قد افنت اموالنا واهلكت ما غلك

(٤) ثلاثة : خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : اموالنا ثلاثة اثلاث : ثلث نشتري به الخيل وثلث نشتري به القوت وثلث نعطيه في الديات بسبب ما نقتله من غيرنا

معلقته وسبب نظمها

معلقة عمرو بن كلثوم اشهر شعره وأشعره . وهي حماسية فخرية . قيل : انها كانت الف بيت ونيّفاً . وما وصل الينا هو جزءٌ يسيرٌ منها . قال معاوية بن ابي سفيان : «قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث ابن حِلِّزة من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة»

وقد قام عمرو بها خطيباً في سوق عُكاظ ، وقام بها في موسم مكة . وبنو تغلب تعظِّمها جدًّا ، ويرويها صغارهم وكبارهم . حتى هُجُوا بذلك . قال بعض شعراء بكر بن وائل :

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ   قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
يَرْوُونَهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ .   يَا لَلرِّجَالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ (١)

والخَطْب الذي دعاه الى نظمها ليس واحداً على مايتراءى لمن يَتَتَبَّع ابيات القصيدة . ويُفهم ذلك من اختلاف الرُّواة في سبب نظمها . فقد ذُكر في (كتاب الاغاني) أنه قالها على اثر ماجرى لأمه عند عمرو بن هند ، كما ذكرنا ذلك في ترجمته . وفي كتاب (خزانة الادب) للبغدادي نقلاً عن الخطيب التبريزي أنه أَنشدها بحضرة الملك عمرو بن هند . فلعلّه نظمها في واقعتين : الأولى كانت على اثر الخلاف الذي كان بين قومه [التغلبيّين]

---

(١) غير مسؤوم اي غير مملول .

بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَطَعْنَا ... أَقَرَّ بِهِ مَوَالِيكِ ٱلْعُيُونَا [١]

قِفِي نَسْأَلْكِ: هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْماً ... لِوَشْكِ ٱلْبَيْنِ، أَوْ خُنْتِ ٱلْأَمِينَا [٢]

وَإِنَّ غَداً، وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ رَهْنٌ ... وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا [٣]

أَبَا هِنْدٍ، فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا. ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ ٱلْيَقِينَا: [٤]

بِأَنَّا نُورِدُ ٱلرَّايَاتِ بِيضاً، ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا [٥]

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ، ... عَصَيْنَا ٱلْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا [٦]

وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ ... بِتَاجِ ٱلْمُلْكِ، يَحْمِي ٱلْمُحْجَرِينَا [٧]

تَرَكْنَا ٱلْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ، ... مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا [٨]

— لفتحة النون . والظعينة المرأة ما دامت في الهودج (١) بيوم متعلق بنخبرك (كريهة) وقعة مكروهة . ولما جرت كريهة مجرى الاسماء كالنطيحة دخلتها التاء ، ولو بقيت جارية مجرى الصفات لم يجز لان « فعيلا » ان كان بمعنى مفعول فمذكره ومؤنثه سواء ، تقول امرأة قتيل ورجل قتيل . وكثير من كتاب العصر يغفل عن ذلك كما يغفلون عن كثير غيره (قرت عين فلان بالامر) اي ناله فكان به قرير العين . واقررتُ عين فلان اي اعطيته امله (الموالي) ابناء العم (٢) صرماً قطيعة (لوشك البين) لسرعة الفراق

(٣) المعنى ان الايام رهن بيد الغيب فلا يعرف المرء ما تحدثه له من الحوادث ولا ما تأتيه به من النوائب (٤) اراد بابي هند عمرو بن هند ملك العرب الذي تقدمت حادثته معه (انظرنا) امهلنا (٥) الرايات البيارق (نورد ونصدر) يقال اورد الابل اذا اتى بها المورد للشرب واصدرها اذا رجع بها بعد السقي ، فهو يقول اننا نأتي براياتنا الى ساحة الحرب بيضاً ونرجع بها حمراً قد روين من دم الاعداء (٦) ايام مجرور بواو رب . والمراد بالايام الوقائع (غُر) حسنة جميلة . وهي جمع غراء (الملك) بفتح الميم وسكون اللام هو الملِك بكسر اللام (ندين) نطيع ونأتمر بما يقول (٧) سيد مجرور ايضاً بواو رب ومحل المجرور الرفع على الابتداء وجملة « تركنا » في البيت بعده خبره (المحجرون) الذين احجرهم الضعف او المرض عن الخروج الى الحرب . يقال احجره الشتاء اذا منعه من الخروج (٨) عاكفة مقيمة (مقلدة اعنتها) اي ارسانها معلقة في رقابها كالقلائد في الاعناق (صفونا) صافنات . والصافنات من —

مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا ... يَكُونُوا فِي ٱللِّقَاء لَهَا طَحِينَا (١)

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ ٱلْأَضْيَافِ مِنَّا ، ... فَأَعْجَلْنَا ٱلْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا (٢)

قَرَيْنَاكُمْ — فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ ... قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ — مِرْدَاةً طَحُونَا (٣)

نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى ٱلنَّاسُ عَنَّا . ... وَنَضْرِبُ بِٱلسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا (٤)

نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ ٱلْقَوْمِ شَقًّا ، ... وَنُخْلِيهَا ٱلرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا (٥)

كَأَنَّ جَمَاجِمَ ٱلْأَبْطَالِ فِيهَا ... وُسُوقٌ بِٱلْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٦)

– الخيل هي التي اذا وقفت كان وقوفها على ثلاث وذلك من صفات جياد الخيل . والمفرد للمذكر صافن وللمؤنث صافنة (١) الرحى الطاحون . ويعني بها رحى الحرب . ومثناها رحيان ورحوان – فهي يائية واوية – وجمعها أرحٍ وأرحاء ورُحيّ وأُرْحِيّ (٢) القرى ما يُقدَّم للضيف من الطعام (ان تشتمونا) اي حذراً من ان تشتمونا . وقد فسر ذلك القرى في البيت الآتي .

(٣) قريناكم ، قدمنا اليكم القرى (مرداة) مفعول قرينا . والمرداة والمِرْدى الصخرة التي تُردى بها الصخور اي تكسر ، ودائرة الحرب . والمِرْدى ايضاً الحجر او الآلة التي يكسر بها النوى – اي بذور اللوز والفستق ونحوهما – ليستخرج ما فيها من اللب – فائدة – البزور تُكتب بالذال والزاي . ومفردها بالذال « بَذْرة » بفتح الباء ، وبالزاي « بِزْرة » بكسرها . وتجمع البذرة والبزرة ايضاً على بَذْر و بِزْر (الطحون) الكثيرة الطحن – والمعنى ان لكل ضيف قرى يُضاف به ، فضيف السلم يترل على الرحب والسعة ويُقرى بما تقرُّ به عينه ، وضيف الحرب قِراه الطعن والضرب ، فلذا قريناكم ما طحن عظمكم واجرى دماءكم واطعم للوحش لحومكم (٤) تراخى : تباعد وتأخر . اي نطاعن الخصم بالرماح ان بعد عنا فلم تصل اليه سيوفنا (غشينا) غشينا الاعداء فكانوا قريباً منا . يقال : غشيه الامر ، اي غطاه . وغشيه النعاس : تسلط عليه حتى صار كالغشاء والغطاء له

(٥) نُخليها الرقاب : نتركها تخليها اي تقطعها (تختلين) النون ضمير جمع المؤنث اي فتخليها اي تقطعها . او المعنى نطعمها الرقاب فتأكلها . لانه يقال : اخلى ناقته اذا علفها الخَلَى وهو النبات الرطب . واختلت الناقة اذا رعت الخلى . فشبه الرقاب بالخلى الذي يُرعى وشبه سيوفهم بالنوق التي ترعاه (٦) الجماجم : جمع جُمْجُمَة بضمتين بينهما سكون . وهي عظم الرأس الذي فيه الدماغ . والمراد بها هنا الرؤوس (الوسوق) الاحمال . ومفردها وَسْق وهو مقدار حمل بعير (الاماعز) الاماكن الغليظة –

وَإِنَّ ٱلضِّغْنَ بَعْـدَ ٱلضِّغْنِ يَبْدُو ... عَلَيْكَ ، وَيُخْرِجُ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَا (١)

وَرِثْنَا ٱلْمَجْدَ [قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ] ... نُطَاعِنُ دُونَـهُ ، حَتَّى يَبِينَا (٢)

نَجُـذُّ رُؤُوسَهُمْ فِي غَـيْرِ بِرٍّ ، ... فَمَـا يَدْرُونَ مَـاذَا يَتَّقُونَا (٣)

كَأَنَّ سُيُوفَنَا — فِينَا وَفِيهِمْ — ... مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا (٤)

كَأَنَّ ثِيَابَنَا — مِنَّا وَمِنْهُمْ — ... خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانٍ ، أَوْ طُلِينَا (٥)

إِذَا مَـا عَيَّ بِٱلْإِسْنَافِ حَيٌّ ... [مِنَ ٱلْهَوْلِ ٱلْمُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا] (٦)

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ ، ... مُحَافَظَةً ، وَكُنَّا ٱلسَّابِقِينَا (٧)

بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ ٱلْقَتْلَ مَجْـدًا ، ... وَشِيبٍ فِي ٱلْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا (٨)

أَلَا لَا يَعْلَـمُ ٱلْأَقْوَامُ أَنَّا ... تَضَعْضَعْنَا ، وَأَنَّا قَدْ وَنِينَا (٩)

— التي فيها حصا . ومفردها أَمْعَز (برقين) يسقطن . شبه ما يتساقط من الرؤوس وهي تقطع بالاحمال وهي تُلقى وتطرح (١) الضغن : الحقد (يبدو) يظهر (الدفين) المستكن المستتر (٢) يبين : يظهر (٣) نجذ : نقطع (في غير بر) من غير شفقة ولا رحمة ويروى « في غير بَرّ » بفتح الباء اى نقطعها فلا تقع على الارض بل في بحر من الدماء (يتقون) يدافعون ويقون انفسهم منها (٤) مخاريق : جمع مخراق وهو شيء او ثوب يُفتل ويلعب به . ويسمونها عندنا اليوم المقارع ومفردها مِقْرَعة (٥) خضبن : صبغن (الارجوان) صبغ احمر يُصبغ به (٦) عيّ بالامر : عجز عنه . واصلها عَيِيَ (الاسناف) شدُّ البعير بالسناف وهو ما يشد على عنق البعير بالرحل ليمنع تأخره فهو بمنزلة اللَّبب للفرس . والفعل منه اَسنفه اذا شده بالسناف . والاسناف ايضاً التقدم . ومن الكناية قولهم : فلان عيّ بالاسناف ، اى دهش من الفزع كمن لا يدري اين يشد السناف . وهذا المعنى هو المراد هنا . ويقويه دلالة الشطر الثاني عليه . او المعنى اذا عجزوا عن التقدم من الهول اي الخوف . وجواب اذا في البيت بعده

(٧) مثل رهوة اي كتيبة مثل رهوة و (رهوة) جبل (ذات حد) ذات بأس وقوة وشدة (٨) الشيب : جمع اشيب وهو ذو الشيب

(٩) تضعضعنا : هدمت قوتنا ، او ذللنا وخضعنا (ونينا) فترنا وكللنا .

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ، فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ ٱلْجَاهِلِينَا (١)

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ -عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ- نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا (٢)

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ -عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ- تُطِيعُ بِنَا ٱلْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا (٣)

تُهَدِّدُنَا وَتُوعِدُنَا ؟ رُوَيْدًا ، مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتَوِينَا ؟ (٤)

فَإِنَّ قَنَاتَنَا -يَا عَمْرُو- أَعْيَتْ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا (٥)

مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ تَجُذَّ ٱلْحَبْلَ أَوْ تَقِصِ ٱلْقَرِينَا (٦)

وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا ، وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا (٧)

---

(١) الجهل : السفه (٢) عمرو بن هند : هو ملك العرب الذي تقدمت حادثته مع صاحب هذه القصيدة (القيل) الملك دون الملك الاعظم ، وجمعه أقيال (القطين) الخدم والاتباع . ومفردها قاطن . وفي غير هذا المعنى يقال : قطن بالمكان وفيه قُطونًا فهو قاطن والجمع قُطَّان وقاطنة وقَطين : اي نزل فيه وتوطّنه

(٣) الوشاة : جمع واش ، وهو من ينقل كلام الناس قصد الضرر بهم (تزدرينا) تحتقرنا يقال : ازدراه اي احتقره واستخف به . وزرى على فلان عمله زَرْيًا وزِرايةً اذا عابه عليه (٤) رويدًا : مهلًا . وهو مصدر « أرود » مصغرًا تصغير الترخيم أي بطرح الزوائد وابقاء المادة الاصلية . ومصدر ارود هو « إرواد » . يقال ارود في السير إروادًا ، اي ترفق وتأنى (المقتوون) الخُدَّام الذين يخدمون الناس بطعام بطونهم وغلب اطلاقه على خدام الملوك . ومفرده مقتويٌّ ومَقْتى . وقد يقال مقتوين - بالياء والنون بلا تنوين مراعاة لصيغة الجمع - للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث (٥) القناة الرمح . وجمعها قَنوات وقَنيات وقنًا وقُنِيّ (اعيت على الاعداء) اعجزتهم . يقال اعيا الماشي ، اى تعب وكلّ . واعيا السير البعير ، اي اتعبه . واعيا الداءُ الطبيب ، اي اعجزه . واعيا الامر على فلان ، اي اعجزه (تلين) يقال لانت قناة بني فلان اى ذلوا وضعفوا .

(٦) القرينة التي تقرن الى غيرها (تجذ) تقطع وهو جواب الشرط مجزوم بتى وجزمه تقديري مراعاة لحركة الادغام (تقص) تقتل . واصل معنى الوقص دقُّ العنق ، والماضي منه وقص من باب ضرب (٧) الذمار ما يجب على الرجل حمايته

وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِي خَزَازَى ... رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا [1]

(١) خزازى اسم جبل (رفدنا) اعطينا (الرَّفد) بفتح الراء مصدر رفده يرفده — من باب ضرب — اذا اعطاه . واماً الرِّفد — بكسر الراء — فمعناه العطية .

يوم خزازى

خَزازى ، او خَزاز : جبل بين مَذحج وعاقل بازاء حِمى ضَرِيّة . وقيل غير ذلك . وقد أوقدت عليه النار ليل ذلك اليوم . وقد غلط الجوهري وصاحب القاموس في قولهما : « ان خزازى جبل كانت العرب توقد عليه غداة الغارة » فجعلا الوقد صفة ملازمة له ، وهو غلط ، انما كان ذلك مرة واحدة في وقعة لهم ، كما صرّح بذلك ياقوت صاحب المعجم

وذلك انه قد اجتمعت مُضَر وربيعة على ان يجعلوا لهم ملكاً يقضي بينهم . فكلٌّ اراد ان يكون منهم . ثم تراضوا ان يكون من ربيعة ملك ، ومن مُضر ملك . ثم اراد كل بطن من ربيعة ومضر ان يكون الملك منهم . ثم اتفقوا على ان يتخذوا ملكاً من اليمن . فطلبوا ذلك الى بني آكل المُرار من كندة . فملّكت بنو عامر شراحيل بن الحارث الملك ابن عمرو المقصور بن حجُر آكل المرار . وملّكت بنو تميم وضبّة محرّق بن الحارث . وملّكت وائل شرحبيل بن الحارث . وملّكت بقية قيس غلفاء (اوُغَلْفي) وهو معدي كرب بن الحارث . وملّكت تغلب وبكر بن وائل سلمة بن الحارث . وملّكت بنو اسد وغطفان وكنانة حُجُر بن الحارث ابا امرئ القيس صاحب المعلقة كما ذكرنا ذلك في اثناء الصفحة (٥٣) فراجعه .

فقتلت بنو اسد حجراً — كما قدمنا خبر ذلك في ترجمة امرئ القيس في الصفحة (٥٦ — ٥٨) ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه . وقتلت بنو تميم محرّقاً . وقتلت وائل شرحبيل في يوم الكلاب (الذي ذكرنا خبره في الصفحة (٥٣)

ولم يبق من بني آكل المرار غير سلمة ، فجمع جموع اليمن ، وسار ليقتل بني نزار .

فلما بلغهم ذلك اجتمعوا يرئسهم كليب بن وائل المشهور ، وقدّم على مقدمته السفّاح التغلبي (وهو سلمة بن خالد) وامره ان يعلو خزازى ليوقد بها النار ليهتدي الجيش بناره . وقال له : « ان غشيك العدوُّ فأوقد نارين »

وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها ، فاقبل ومعه قبائل مَذحِج . فهجموا على خزازى ليلاً ، فرفع السفّاح نارين ، فاقبل كليب في جموع ربيعة اليهم ، فصبّحهم . فالتقوا بخزازى ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت جموع اليمن .

ويوم خزازى هو اعظم يوم التقتْ فيه العرب في الجاهلية . ولم تكن بنو نزار تنتصف من اليمن . فلم تزل نزار ممتنعة قاهرة لليمن في كل يوم يلتقونه بعد خزازى حتى جاء الاسلام .

« تنبيه » — فاتنا ان نذكر خبر هذا اليوم في الطبعة الاولى من كتابنا هذا ، فذكرناه في هذه الطبعة لزيادة الفائدة .

بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ   نَدُقُّ بِهِ ٱلسُّهُولَةَ وَٱلْحُزُونَا (١)

وَكُنَّا ٱلْأَيْمَنِينَ إِذِ ٱلْتَقَيْنَا ،   وَكَانَ ٱلْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا (٢)

فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ ،   وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا (٣)

فَآبُوا بِٱلنِّهَابِ وَبِٱلسَّبَايَا ،   وَأُبْنَا بِٱلْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا (٤)

. . . . . .

إِلَيْكُمْ – يَا بَنِي بَكْرٍ – إِلَيْكُمْ .   أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا ٱلْيَقِينَا ؟ (٥)

أَلَمَّا تَعْرِفُوا – مِنَّا وَمِنْكُمْ –   كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ ، وَيَرْتَمِينَا (٦)

عَلَيْنَا ٱلْبَيْضُ ، وَٱلْيَلَبُ ٱلْيَمَانِي ،   وَأَسْيَافٌ يَقُمْنَ ، وَيَنْحَنِينَا (٧)

عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ ،   تَرَى فَوْقَ ٱلنِّطَاقِ لَهَا غُضُونَا (٨)

---

(١) اراد بالرأس كليب وائل ، لانه كان رئيس القوم في ذلك اليوم (ندق) نسحق (السهولة) ما سهل من الارض (الحزون) جمع حَزْن وهو ما غلظ من الارض .

(٢) الايمن : من كان على جهة اليمين (الايسر) من كان على جهة اليسار . أراد انهم كانوا عن يمين العدو وان بني عمهم كانوا عن يساره . واراد بني الاب ابناء عمهم – يعني مُضَر – وهذا شائع في كلامهم (٣) صالوا : حملوا (يليهم) يدانيهم ويقرب منهم

(٤) آبوا : رجعوا والضمير راجع لبني العم المكنّي عنهم ببني الاب (النهاب) الغنائم التي انتهبوها (مصفدين) مقيدين بالاغلال . والصَفد هو الغلّ والقيد

(٥) اليكم : اي اليكم عنا ، بمعنى تنحوا او ارجعوا عنا (٦) الكتائب : جمع كتيبة وهي الجيش او القطعة منه (يطّعن) يتطاعنون مع الاعداء (يرتمين) يترامون معهم بالنبل (٧) البيض : ما يوضع على الرأس في الحرب . ومفردها بيضة (اليلب) الدروع من جلود الابل (يقمن) ينتصبن عند الضرب بهنّ (ينحنين) اي تنحني على من ضُرب بها

(٨) سابغة : اي درع سابغة اي طويلة (الدلاص) الدرع الملساء اللينة . ومفردها وجمعها سواء (النطاق) مايشد به الانسان وسطه (الغضون) جمع غضْن وهو التجعد والتثنّي يكون في الجلد والثوب والدرع ونحوها . لما وصفها بانها دلاص اي لينة ملساء قال : انك ترى لها تجعُّدات فوق النطاق كما ترى تجعدات الثوب اللين فوقه .

عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ ، [نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ ، أَوْ تَهُونَا] (١)

يُقْتِنَ جِيادَنَا ، وَيَقُلْنَ : لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا ، إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا (٢)

إِذَا لَمْ نَحْمِهِنَّ ، فَلَا بَقِينَا لِشَيْءٍ بَعْدَهُنَّ ، وَلَا حَيِينَا

كَأَنَّا – وَٱلسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٌ – وَلَدْنَا ٱلنَّاسَ طُرًّا ، أَجْمَعِينَا (٣)

وَقَدْ عَلِمَ ٱلْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ [إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا] (٤)

بِأَنَّا ٱلْمُطْعِمُونَ بِكُلِّ كَحْلٍ ، وَأَنَّا ٱلْمُهْلِكُونَ إِذَا ٱبْتُلِينَا (٥)

وَأَنَّا ٱلْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا ، وَأَنَّا ٱلنَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا (٦)

وَأَنَّا ٱلتَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا ، وَأَنَّا ٱلْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا (٧)

وَأَنَّا ٱلْعَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا ، وَأَنَّا ٱلْعَارِمُونَ إِذَا عُصِينَا (٨)

---

(١) اراد بالبيض الحسان نساءهم (تهون) يصيبها الهوان فيما لو قُتلنا او اسرنا الاعداء

(٢) يقتن : يطعمن (جيادنا) خيولنا (بعولتنا) ازواجنا

(٣) مسلّلات : مجردات من اغمادها (٤) قبب : جمع قُبة (الابطح) هو ابطح مكة لان الناس تقصده من كل جهة . واصل معنى الابطح هو مسيل او وادٍ فيه دقاق الحصى

(٥) بأنّا : الباء زائدة للتوكيد وليست باء التعدية لان «علم» يتعدى بنفسه (الكحل) السنة الشديدة المجدبة (ابتلينا) اختُبرنا . اي اذا اراد الاعداء ان يختبروا بأسنا وشدتنا اهلكناهم (٦) شينا : شئنا (٧) سخطنا : غضبنا . اي ان سخطنا على شيء فتركناه فلا يقدر احد ان يجبرنا على اخذه ، واذا رضينا امرًا فعلناه دون معارض

(٨) العاصمون : المانعون . اي نحن نعصم من يطيعنا ونمنعه (العارمون) اولو العرامة وهي الشراسة ، او أولوا الشدة . يقال : عَرم فلانٌ – من باب ضرب ونصر – عَرامًا ، اي اشتدّ وفارق القصد وخرج عن الحد . وعَرِم – من باب علم – عَرامةً ، مثله . وعرمتُ فلانًا ، اذا اصبته باذى وشراسة . وأعرمت فلانًا ، اذا جنيت عليه ما لم يجنِهِ . ورجل عارم ، اي شرس مؤذ . ويوم عارم ، هو نهاية في البرد . والعُرام : الشراسة والاذى . والعرم ، الجاهل ، والشرس المؤذي . ومنه سيل العرم المشهور ، لانه كان سيلًا عظيمًا آذى البلاد والعباد

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا ٱلْمَاءَ صَفْوًا ، وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا
إِذَا مَا ٱلْمَلْكُ سَامَ ٱلنَّاسَ خَسْفًا أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ ٱلذُّلَّ فِينَا [1]
مَلَأْنَا ٱلْبَرَّ ، حَتَّى ضَاقَ عَنَّا . وَظَهْرُ ٱلْبَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا [2]
إِذَا بَلَغَ ٱلرَّضِيعُ لَنَا فِطَامًا تَخِرُّ لَهُ ٱلْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا [2]

---

(١) سام الناس خسفا : ظلمهم وقهرهم . يقال : سام البائع السلعة يسومها سوْمًا اذا عرضها للبيع وذكر ثمنها . وسُمتُ فلانًا الامر ، اذا كلفته اياه . واكثر ما يُستعمل هذا في العذاب والشر ، كما هنا . والخسف ، الاذلال والقهر . يقال : سمته الخسف ، اذا الزمته به واردته عليه (نقر) نثبت (٢) ملأْنا البرّ : اي بالجيوش والخيل (ظهر) يجوز رفعه على الابتداء وخبره جملة نملأْ . ويجوز نصبه على انه مفعول به لفعل محذوف مفسر بالفعل بعده المشتغل بضميره عنه (السفين) جمع سفينة . وتجمع ايضًا على سفائن وسفن (٣) الجبابر والجبابرة ، جمع جبّار وهو العاتي المتمرد . والجبار من اسماء الله الحسنى . ولكنه على غير هذا المعنى بل هو على معنى يليق بذاتهِ العلية الرحيمة ، ومعناه بالنسبة اليه انه قويٌّ على كل شيء و بقبضته كل مخلوق واليهِ يرجع كل امر . ومن ذلك قولهم « ويل لجبار الارض من من جبار السماء » .

٦ عنترة بن شداد العبسي

توفي سنة (٦٠٠) او (٦١٥) وسنة (٢٢) قبل الهجرة

هو: عَنْتَرة بن شَدّاد بن عمرو بن مُعاوية بن قُراد العبسي، من اهل نجد، وينتهي نسبه الى مضر. قال ابن الكلبي:

«شداد جَدُّه غلب على اسم ابيه، وانما هو عنترة بن عمرو بن شداد»
وقال غيره: «شداد عَمُّه تَكفَّله بعد موت ابيه ونشأ في حِجْره فنُسب اليه».

ويُلقَّب عنترة بالفَلْحاء، فيقال: عنترة الفلحاء [١].

وكانت أُمُّــه أَمَةً حَبَشِيَّة يقال لها (زَبِيبة) وكان لها اولادٌ عبيدٌ من غير شداد، وكانوا اخوة عنترة لِأُمه.

وكان ابوه قد نفاه [وكان العرب في الجاهلية اذا كان لاحدهم ولدٌ من أَمَةٍ استعبده] ثم ادَّعاه بعد الكبر واعترف به وأَلحقه بنسبه. وكانت العرب تفعل ذلك: تستعبد بني الإِماء، فان أَنجبوا اعترفوا بهم، والاَّ بقُوا عبيداً.

وكان سبب اُدِّعاء ابيه ايَّاه أَنَّ بعض احياء العرب أَغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا ابلاً فتبعهم العبسيون فلحقوهم، فقاتلوهم عمَّا معهم، وعنترة يومئذ فيهم، فقال له ابوه: «كِرَّ ياعنترة فقال عنترة:

---

(١) الافلح المشقوق الشفة السفلى، ومؤنثه فلحاء. وقد لقب عنترة بذلك لانشقاق شفتهِ. وانما قيل له «الفلحاء» بالتأنيث حملاً على تأنيث اسمه، او على ارادة الشفة الفلحاء. وعلى الاول تكون الفلحاء نعتاً له. وعلى الثاني تكون مضافاً اليها، كما قالوا عنترة الفوارس. والعنترة في الاصل واحدة العنتر وهو الذباب، وقد سمي بذلك لانه كان كثير الجَلَبة والتصويت في الحرب.

« العبد لا يُحسِنُ الكرَّ انما يُحسن الحِلاب والصَرّ [١]» فقال: كِرَّ وانت حرّ فكرّ ، وقاتل يومئذٍ قتالاً حسناً فادّعاه ابوه بعد ذلك وألحقه بنسبه .

وقيل : ان السبب في هذا ان عبساً أغاروا على طيّء ، فأصابوا نَعَماً فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة : لا نَقسِم لك نصيباً مثل أنصبائنا ، لأنّك عبد . فلما طال بينهم الخطب كرّت عليهم طيّ فاعتزلهم عنترة ، وقال : «دونكم القوم ، فانكم عددهم » واستنقذت طيّء الابل ، فقال له ابوه : « كرّ ياعنترة » فقال : «أوَ يُحسن العبد الكر ؟ » فقال له ابوه : « العبد غيرك » فاعترف به ، فكرّ ، واستنقذ النَّعَم .

وكان عنترة احد أغرِبة العرب [٢] في الجاهلية ، وهم ثلاثة : عنترة وخُفاف بن نُدبة السُّلَمي [ونُدبة أُمّه] والسُّلَيك بن سُلَكَة .

اخلاقه وشجاعته

هو من الشعراء الفرسان . وكان شاعر بني عبس وفارسهم المشهور ، وكان جريئاً شديد البطش . وكان مع شدة بطشه ليّن الطباع ، حليماً ، سهل الاخلاق ، لطيف الحاضرة . وكان من اشد اهل زمانه وأجودهم بماملكت يداه . وكان سَمحاً ، ابيّ النفس ، لا يُقِرُّ على ضَيْم ، ولا يُغمِض على قَذى [٣] . ولما أُنشد للنبي [صلى الله عليه وسلم] قوله :

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَى ، وَأَظَلُّهُ ، حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ ٱلْمَأْكَلِ [٤]

---

(١) الحلاب – بكسر الحاء – مصدر حلب الشاة وغيرها – من باب نصر وضرب – ومثله في المصدرية « الحلْب » بفتح فسكون ، و « الحَلَب » بفتحتين . والحلاب ايضاً هو الاناء االذي يُحلب فيه (الصرّ) ان يُشد ضرع الناقة بالصرار لئلا يرضعها ولدها . وفعله صرّ من باب نصر (٢) اغربة العرب سودانهم (٣) القذى مايقع في العين فيؤذيها (٤) الطوى الجوع

قال [عليه الصلاة والسلام] : «ما وُصِف لي أعرابيٌّ قطُّ فأحببت ان اراه ، الاّ عنترة »

قال الهيثم بن عدي : « قيل لِعنترة : « انت أشجعُ العرب واشدُّها » قال : « لا » قيل : « فبما ذا شاع لك هذا في الناس ؟ » قال : كنت أُقدِمُ اذا رأيت الإقدام عَزْماً ، وأُحجِمُ اذا رأيت الإحجام حَزْماً . ولا أدخل موضعاً الاّ ارى لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان ، فأضربه الضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع ، فأُثنّي عليهِ فأقتلهُ »

وحدَّث عمر بن شبَّة . قال : « قال عمر بن الخطاب للحُطَيْئة : «كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنَّا الف فارس حازم . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس بن زهير فينا ، وكان حازماً ، فكنَّا لا نعصيه ، وكان فارسنا عنترة ، فكنَّا نحْمِل اذا حَمل ونُحجِم اذا أحجم ، وكان فينا الربيع بن زياد ، وكان ذا رأي ، فكنَّا نستشيره ولا نخالفه ، وكان فينا عُروة بن الورد ، فكنَّا نأتَمُّ بشعره . فكنَّا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدقت »

وقد بلغ من شجاعتهِ ان قومه [بني عبس] غزوا بني تميم ، وعليهم قيس بن زهير ، فانهُزمت بنو عبس ، وطلبتهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة ، ولَحِقتهم كوكبة [1] من الخيل ، فحامى عنترة عن الناس ، فلم يُصَب مُدْبِر . وكان قيس بن زهير سيدهم ، فساءه ماصنع عنترة يومئذ ، فقال حين رجع : « ماحمى الناسَ الاّ ابنُ السوداء » وكان قيس أكولاً

---

(١) الكوكبة : الجماعة

فبلغ عنترةَ ما قال قيس بن زهير، فقال يعرِّض به :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي ٱلْحُتُوفَ ! كَأَنَّنِي
أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ ٱلْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ [١]

فَأَجَبْتُهَا : إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ،
لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ ٱلْمَنْهَلِ [٢]

فَٱقْنَيْ حَيَاءَكِ – لَا أَبَا لَكِ – وَٱعْلَمِي
أَنِّي ٱمْرُؤٌ سَأَمُوتُ ، إِنْ لَمْ أُقْتَلِ [٣]

إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ — مِثْلِي، إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكِ ٱلْمَنْزِلِ [٤]
إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً — شَطْرِي، وَأَحْمِي سَائِرِي بِٱلْمُنْصُلِ [٥]
وَإِذَا ٱلْكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَاحَظَتْ — أُلْفِيتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ [٦]
وَٱلْخَيْلُ تَعْلَمُ وَٱلْفَوَارِسُ أَنَّنِي — فَرَّقْتُ جَمْعَهُمُ بِضَرْبَةِ فَيْصَلِ [٧]
إِذْ لَا أُبَادِرُ فِي ٱلْمَضِيقِ فَوَارِسِي، — وَلَا أُوَكَّلُ بِٱلرَّعِيلِ ٱلْأَوَّلِ [٨]

---

(١) بكرت تقدمت . وبابه نصر، ومصدره البُكور (الحتوف) جمع حتف وهو الموت (الغرض) الهدف الذي يُنصب ليرمى اليه (٢) المنية الموت (منهل) مورد (٣) اقني حياءك الزميه (٤) ضنك المنزل : المنزل الضيق . فاضافة الضنك الى المنزل من اضافة الصفة للموصوف (٥) المنصل السيف (٦) الكتيبة القطعة من الجيش مجتمعة (احجمت) تأخرت (تلاحظت) صار يلحظ بعضها بعضاً مما نزل بها من الضيق (ألفيت) وجدت (معم مخول) كريم الاعمام والاخوال (٧) الفيصل السيف

(٨) المضيق ما ضاق من الاماكن والامور (الرعيل) القطعة القليلة من الجيش . وقيل كل قطعة متقدمة من خيل ورجال وطير وغير ذلك . والجمع رِعال . يريد انه لا يكون اول المنصرفين من ساحة الحرب

إِنْ يُلحقوا أَكْرُرْ، وَإِنْ يُستلحموا أَشْدُدْ، وَإِنْ يُلفَوا بِضيقٍ أَنزِلِ (١)

وَالْخَيلُ سَاهِمَةُ الوُجوهِ، كَأَنَّما تُسقَى فَوارِسُها نَقيعَ الحَنظَلِ (٢)

وَلَقَدْ أَبيتُ عَلى الطَّوى وَأَظَلُّهُ، حَتَّى أَنالَ بِهِ كَريمَ المَأْكَلِ (٣)

وكان قد حضر حرب داحس والغبراء (٤)، وحسُن فيها بلاؤه، وحُمِدت مشاهده. وحدثت حروب بين جَديلة وثُعَل، وكان عنترة مع جديلة، فنصرهم فانتصروا. فشكاه الثُّعَلِيّون الى غَطَفان.

ووقائعه كثيرة يشتبه فيها الصحيح بالموضوع.

وكان عمرو بن معديكرب معاصراً لعنترة وقد رُوِيَ عنه أنه قال: «لو سرت بظعينه (٥) وحدي على مياه معدٍّ كلّها، ما خفت ان أُغلَب عليها، ما لم يلقني حُرّاها او عبداها. فأمّا الحرّان فعامر بن الطُّفيل، وعُتَيبة بن الحارث بن شهاب، واما العبدان فأسود بني عبس [يعني عنترة] والسُّلَيك بن سُلَكة. وكلّهم قد لقيت، فأمّا عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصَّوت، وأمّا عُتيبة فاوّل الخيل اذا أغارت وآخرها اذا آبت (٦)، واما عنترة فقليل الكَبْوة، شديد الجَلَب (٧) وأمّا السُّلَيك فبعيد الغارة كالليث الضاري (٨)».

---

(١) ان يستلحموا ان يلقوا في شباك الحرب فلم يجدوا نصيراً. يقال استُلحم الرجل – ببناء الفعل للمجهول – اي وقع في مصيبة فلم يجد نصيراً ولا مخلصاً (يلفوا) يوجدوا

(٢) ساهمة الوجوه اي عابستها. يقال سهم الرجل – من باب قطع – سهوماً وسهومة، اي تغير لونه وبدنه مع هزال ويبس. ويقال سهم وجهه، اي عبس (نقيع الحنظل) اي ماء منقوعاً بالحنظل. وهو شجر مرُّ الثمر (٣) الطوى الجوع (٤) تقدم الكلام على هذه الحرب في الصفحة (١٥٥) فراجعه (٥) الظعينة المرأة في الهودج (٦) آبت رجعت (٧) الكبوة السقطة (الجلب) الصياح، واختلاط الاصوات. ومثله الجلَبة (٨) الليث الاسد (الضاري) الفاتك. والضواري من الحيوانات هي الاسود والذئاب والنمور ونحوها.

موت عنترة

ذكروا لموته اسباباً :

فقال ابن حبيب و ابن الكلبي : « اغار عنترة على بني نَبهان من طيِّ ، فأَطرَدَ لهم طريدةً وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز [١] وهو يُطرِدها . وكان وَزَر بن جابر النبهاني في فتوَّة ، فرماه وقال : خذها وانا ابن سلمى . فقطع مَطاه [٢] . فتحامل بالرَّمية [٣] حتى اتى اهله ، فقال وهو مجروح :

وَإِنَّ ٱبْنَ سَلْمَى عِنْدَهُ — فَٱعْلَمُوا — دَمِي
وَهَيْهَاتَ ، لَا يُرْجَى ٱبْنُ سَلْمَى وَلَا دَمِي

إِذَا مَا تَمَشَّى بَيْنَ أَجْبَالِ طَيِّءٍ
مَكَانَ ٱلثُّرَيَّا ، لَيْسَ بِٱلْمُتَهَضَّمِ [٤]

رَمَانِي — وَلَمْ يَدْهَشْ — بِأَزْرَقَ لَهْذَمٍ ،
عَشِيَّةَ حَلُّوا بَيْنَ نَعْفٍ وَمَخْرِمِ [٥]

قال ابن الكلبي : « وكان الذي قتله يُلقَّب بالاسد الرهيص [٦] »

---

(١) يرتجز : يقول شعراً من بحر الرجز (٢) المطا : الظهر (٣) الرمية : فعيلة بمعنى مفعولة . والمراد بها السهم الذي أُصيب به . وانما دخلتها التاء لانها على معنى الاسم لا الصفة (٤) اجبال : جمع جبل (الثريا) سبعة كواكب في عنق الثور – والثور اسم نجم – سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل . واصل معنى الثريا : المرأة المتمولة ، وهي مصغَّر ثرواء ، والمذكر اثرى (المتهضم) الذليل ، والمظلوم ، والمغصوب (٥) الازرق : السهم (لهذم) قاطع حاد (نعف ومخرم) موضعان . (٦) الاسد الرهيص : اصل معناه الاسد الذي لا يبرح من مكانه فكأنما هو رهيص ، اي حائط مبني

وذكر ابوعمرو الشيباني أنَّه غزا طَيِّئاً مع قومه، فانهزمت عبس، فخرَّ عنترة عن فرسه، ولم يقدر من الكبر ان يعود فيركب، فدخل دَغلاً [١]. وأبصره ربيئة طيء [٢]، فنزل اليه، وهاب ان يأخذه اسيرًا، فرماه وقتله.

وذكر ابو عبيدة: انَّه كان قد اسنَّ واُحتاج وعجز بِكِبَر سِنِهِ عن الغارات. وكان له على رجل من غطَفان دين. فخرج يتقاضاه ايَّاه. فهاجت عليه ريح من صيف، وهو بين شَرْج وناظرة [٣]، فأَصابته وقتلته. والله اعلم.

قصتــه

لم يشتهر احد من اهل الجاهلية وكثير من اهل الاسلام بين العامة والخاصة اشتهارَ عنترة، فلا تكاد ترى رجلاً اوامرأة، صبيًّا اوصبيَّة، عالمًا اوجاهلاً، فقيرًا اوغنيًّا، الاَّ وهو يعرف اسمه، اويسمع شيئاً عنه. وسبب اشتهاره قصته المشهورة التي لم يَعِبْ احدٌ سماعها. والقصة عبارة عن رواية تاريخية وُضعت بعد صدر الاسلام، ولم يُعرف واضعها، غير أنهم ينسبونها الى الاصمعي [في اوائل القرن الثالث للهجرة] لانه قد ورد اسمهُ فيها روايةً عنه. واكثر ماورد فيها انما هو من قبيل الروايات الخيالية. وكثيرًا ما تُنسب وقائع جرت لغيره اليه. لذلك قد التبس الصحيح منها بالموضوع. غير أَنَّ بعضها صحيح لانه يُقوّيهِ ماورد في

(١) الدغل: الشجر الكثير المتلف. ومن معانيه كل ما دخل في الامر فأفسده
(٢) اي طليعتهم. ورىيئة الجيش. طليعته وجمعها: رَبايا (٣) شرج وناظرة: موضعان.

كتب التاريخ والادب . والقصة لم تُؤلَّف دفعة واحدة على مايظهر ، وانما وضعت شيئاً فشيئاً حتى بلغت ماهي عليه الآن . وقد جُمِعت بمصر في القرن الرابع الهجري في زمن العزيز بالله الخليفة الفاطمي . وقد رَوَوْا في سبب جمعها وتدوينها ان رجلاً يقال له الشيخ يوسف بن اسماعيل كان له اتصال بباب العزيز بالله . فاتفق ان حدثت ريبة في دار العزيز ، فلهج بها الناس ، فساء العزيزَ ذلك ، فأشار على الشيخ يوسف هذا ان يضع للناس ما يُلهيهم عما حدث . وكان الشيخ يوسف كثير الرواية لأخبار العرب ، واسع التحديث بها ، كثير النوادر ، وهو يروي روايات عن ابي عبيدة ونجد بن هشام وجُهَينة الأخبار والاصمعي وغيرهم من الرُّواة المشهورين . فجمع شتات هذه القصة وزاد فيها كثيراً من اخبار العرب ووقائعهم ، وأسند روايتها الى الاصمعي ، ووزَّعها على الناس فأُعجبوا بها ، حتى شغلتهم عن ذلك . وقد قسمها الى اثنين وسبعين كتاباً ، وكان يقطع الكلام حيث يشوق القارئ الى ما بعده ، فيُضْطَرُّ الى البحث عن الكتاب التالي . فاذا وقف عليه انتهى به الى مثل ماانتهى في الاول ، وهكذا ، حتى يحدوه الشوق الى اتمام القصة .

الكلام على شعره

كان عنترة شاعراً مُجيداً ، فصيح الالفاظ بَيّن المعاني نَبيلها ، كان كأنما الحماسة أُنزلت عليه آياتها . وكان رقيق الشعر ، لايأخذ مأخذ الجاهلية في ضخامة الالفاظ وخشونة المعاني . وكان يهوى ابنة عمه عَبْلَةَ بنت مالك ابن قُراد ، فهاجت شاعريته لذلك ، وكان كثيراً مايذكرها في شعره ، وكان

ابوها يمنعه من زواجه بها ، فهام بها حتى اشتدَّ وجده . وقيل : انه قد تزوجها بعد جهد وعناء . ومن رقيق شعره فيها :

يَا عَبلَ ، لَا أَخشَى ٱلحِمَامَ ، وَإِنَّمَا أَخشَى عَلَى عَينَيكِ وَقتَ بُكَاكِ [١]

وله شعر سار مسير الركبان . ومن جيد شعره قوله :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي ٱلحُتُوفَ ، كَأَنَّنِي
أَصبَحتُ عَنْ غَرَضِ ٱلحُتُوفِ بِمَعزِلِ

الى آخر القصيدة التي ذكرناها قبل هذا الفصل .

وقوله يفتخر باخواله السودان :

إِنِّي لَتُعرَفُ فِي ٱلحُرُوبِ مَوَاقِفِي ، مِنْ آلِ عَبسٍ مَنصِبِي وَفَعَالِي [٢]
مِنهُمْ أَبِي شَدَّادُ أَكرَمُ وَالِدٍ ، وَٱلأُمُّ مِنْ حَامٍ ، فَهُمْ أَخوَالِي [٣]

ومن إفراطه في الحماسة قوله :

وَأَنَا ٱلمَنِيَّةُ فِي ٱلمَوَاطِنِ كُلِّهَا ، وَٱلطَّعنُ مِنِّي سَابِقُ ٱلآجَالِ

ومن تشابيهه قوله يصف النجوم :

أُرَاعِي نُجُومَ ٱللَّيلِ ، وَهِيَ كَأَنَّهَا قَوَارِيرُ ، فِيهَا زِئبَقٌ يَتَرَجرَجُ [٤]

---

(١) الحمام : الموت (٢) الفعال ، بفتح الفاء : المحمود من الاعمال والاخلاق
(٣) من حام : يريد امها سوداء ، لان بني حام هم السودان
(٤) قوارير : جمع قارورة ، وهي القنينة .

وقوله يصف روضةً :

وَخَلاَ ٱلذُّبَابُ بِهَا ، فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرِدًا ، كَفِعْلِ ٱلشَّارِبِ ٱلْمُتَرَنِّمِ [١]
هَزِجًا ، يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ ، قَدْحَ ٱلْمُكِبِّ عَلَى ٱلزِّنَادِ ٱلأَجْذَمِ [٢]

ومما ينسب اليه وليس له :

أُحِبُّكِ يَا ظَلُومُ ، فَأَنْتِ عِنْدِي مَكَانَ ٱلرُّوحِ مِنْ جَسَدِ ٱلْجَبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ رُوحِي خَشِيتُ عَلَيْكِ بَادِرَةَ ٱلطِّعَانِ

وكان عنترة قبل ان يدّعيه ابوه شكته اليه امرأة ابيه ، قالت : « إنه يُراودني عن نفسي » فغضب ابوه من ذلك غضباً شديداً . وضربه ضرباً مُبرّحاً [٣] ، وضربه بالسيف . فوقعت عليه امرأة ابيه ، وكفته عنه . فلما رأت ما به من الجراح بكت . وكان اسمها « سُمَيَّة » [٤] فقال عنترة :

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ ٱلْعَيْنِ مَذْرُوفُ ؟
لَوْ أَنَّ ذَا فِيكِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَعْرُوفُ [٥]

---

(١) ليس ببارح : ليس بزائل (غردًا) مصوّتًا (المترنم) الذي يطرب نفسه دون ان يرفع صوته (٢) هزجًا : مصوّتًا . والهزَج : الترنم والتطريب مع تدارك الصوت وتقاربه . والهزج ايضاً : صوت الذُّبان (يحك ذراعه بذراعه) يُمِرُّ احداهما على الاخرى كما يفعل من يحك حجر القدح (قدح) منصوب على المفعولية المطلقة (المكب) يقال اكبَّ فلان على عمله اي الكب دايه واقبل (الزناد) الحجر الذي يقدح به لتكون النار (الاجذم) المقطوع اليد وهو صفة للمكب . وانما وصف المكب بانه مقطوع اليد لان حركته عند الاستقداح تكون اعظم (٣) مبرحاً اي شديدًا مؤذيًا (٤) السمية في الاصل هي مصغّر السماء (٥) مذروف : مصبوب .

كَأَنَّهَا – يَوْمَ صَدَّتْ مَا تُكَلِّمُنِي –
ظَبْيٌ بِعُسْفَانَ ، سَاجِي ٱلْعَيْنِ ، مَطْرُوفُ (١)

تَجَلَّلَتْنِيَ – إِذْ أَهْوَى ٱلْعَصَا قِبَلِي –
كَأَنَّهَا صَنَمٌ يُعْتَادُ ، مَعْكُوفُ (٢)

أَلْعَبْدُ عَبْدُكُمُ ، وَٱلْمَالُ مَالُكُمُ .
فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي ٱلْيَوْمَ مَصْرُوفُ ؟

تَنْسَى بَلَائِي ، إِذَا مَا غَارَةٌ لَحِقَتْ ،
تَخْرُجُ مِنْهَا ٱلطُّوَالَاتُ ٱلسَّرَاعِيفُ (٣)

يَخْرُجْنَ مِنْهَا – وَقَدْ بُلَّتْ رَحَائِلُهَا
بِٱلْمَاءِ – يَقْدُمُهَا ٱلشُّمُّ ٱلْغَطَارِيفُ (٤)

ومن جيد ما ينسب اليه قوله :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا ٱلْخَيْلُ أَقْبَلَتْ .
وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ

---

(١) الظبي الغزال (عسفان) اسم لمكان (ساجي العين) ساكنها وهادئها ، او اسودها (مطروف) قد طُرفت عينه . يقال طُرفت عين فلان اي أصيبت بشيء فدمعت . شبه الطرف المتكسر الاهداب – وذلك ممدوح عندهم – بالمطروف (٢) تجللتني غمرتني واحاطت بي (معكوف) اي معكوف عليه . يقال عكف على الشيء اي لازمه (٣) الطُّوالات الخيل الطوالات اي الطوال ، وهي جمع طُوالة وطُوال – بضم الطاء – بمعنى الطويل والطويلة (السراعيف) الخيل الطويلة . ومفردها للمذكر سُرعوف وللمؤنث سُرعوفة

(٤) رحائلها . سروجها . وهي جمع رِحالة ، والرحالة السرج من جلود لا خشب فيه يُتخذ للركض الشديد (الماء) اراد بهِ العرق (يقدمها) يتقدم عليها ويسبقها . وهو من باب نصر (الشم) جمع اشم وهو الابي الممتنع الحمي الانف (الغطاريف) جمع غطريف وهو السيد .

يَعِيبُونَ لَوْنِي بِالسَّوَادِ جَهَالَةً ،
وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ

وَإِنْ كَانَ لَوْنِي أَسْوَدًا فَفَعَائِلِي
بَيَاضٌ ، وَمِنْ كَفِّي يُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ (١)

وقوله :

لَقَدْ وَجَدْنَا زَبِيدًا غَيْرَ صَابِرَةٍ — يَوْمَ الْتَقَيْنَا ، وَخَيْلُ الْمَوْتِ تَسْتَبِقُ
إِذْ أَدْبَرُوا ، فَعَمِلْنَا فِي ظُهُورِهِمِ — مَا تَعْمَلُ النَّارُ فِي الْحَلْفَى فَتَحْتَرِقُ (٢)
خُلِقْتُ لِلْحَرْبِ ، أَحْمِيهَا إِذَا بَرَدَتْ ، — وَأَصْطَلِي بِلَظَاهَا حَيْثُ أَخْتَرِقُ (٣)
وَأَلْتَقِي الطَّعْنَ تَحْتَ النَّقْعِ مُبْتَسِمًا ، — وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ قَدْ بَلَّهَا الْعَرَقُ (٤)
لَوْ سَابَقَتْنِي الْمَنَايَا — وَهِيَ طَالِبَةٌ — قَبْضَ النُّفُوسِ — أَتَانِي قَبْلَهَا السَّبَقُ
أَنَا الْهِزَبْرُ إِذَا خَيْلُ الْعِدَى طَلَعَتْ — يَوْمَ الْوَغَى ، وَدِمَاءُ الشُّوسِ تَنْدَفِقُ (٥)
مَا عَبَسَتْ حَوْمَةُ الْهَيْجَاءِ وَجْهَ فَتًى ، — إِلَّا وَوَجْهِي إِلَيْهَا بَاسِمٌ طَلِقُ (٦)

وقوله :

قِفْ بِالْمَنَازِلِ إِنْ شَجَتْكَ رُبُوعُهَا ، — فَلَعَلَّ عَيْنَكَ تَسْتَهِلُّ دُمُوعُهَا (٧)

---

(١) القطر المطر . واراد به الندى والكرم (٢) الحلفى نوع من الشجر
(٣) اصطلي استدفئ (اللظى) النار (اخترق) اي اخرق جمع الاعداء .
(٤) النقع الغبار (٥) الهزبر الاسد (الوغى) الحرب (الشوس) جمع اشوس وهو الشجاع الجريئ على القتال الشديد . والاشوس ايضاً من ينظر بمؤخر عينيه تكبرًا او تغيظًا (٦) الحومة موضع القتال (الهيجاء) الحرب (٧) شجتك احزنتك (الربوع) الديار . ومفردها ربع (تستهل) تسيل .

وَٱسأَلْ عَنِ ٱلأَظعَانِ : أَيْنَ سَرَتْ بِهَا … آبَاؤُهَا ؟ وَمَتَى يَكُونُ رُجُوعُهَا ؟ (١)

دَارٌ لِعَبلَـةَ شَطَّ عَنكَ مَزَارُهَا ، … وَنَأَتْ ، فَفَارَقَ مُقلَتَيكَ هُجُوعُهَا (٢)

فَسَقَتْكِ - يَا أَرضَ ٱلشَّرَبَّةِ - مُزْنَةٌ … مُنهَلَّةٌ ، يُروِي ثَرَاكِ هُمُوعُهَا (٣)

وَكَسَا ٱلرَّبِيعُ رُبَاكِ مِنْ أَزهَارِهِ … حُلَلاً ، إِذَا مَا ٱلأَرضُ فَاحَ رَبِيعُهَا (٤)

يَا عَبلَ ، لَا تَخْشَيْ عَلَيَّ مِنَ ٱلعِدَى … يَوماً ، إِذَا ٱجتَمَعَتْ عَلَيَّ جُمُوعُهَا :

إِنَّ ٱلمَنِيَّةَ - يَا عُبَيلَةُ - دَوحَةٌ ، … وَأَنَا وَرُمحِي أَصلُهَا وَفُرُوعُهَا (٥)

وقولـه :

سَلُوا صِرفَ هٰذَا ٱلدَّهرِ كَمْ شَنَّ غَارَةً ،
فَفَرَّجتُهَا - وَٱلمَوتُ فِيهَا مُشَمِّرُ - (٦)

بِصَارِمِ عَزمٍ ، لَوْ ضَرَبتُ بِحَدِّهِ
دُجَى ٱللَّيلِ ، وَلَّى وَهوَ بِٱلنَّجمِ يَعثُرُ (٧)

---

(١) الاظعان النساء اللاتي في الهوادج (٢) شطَّ بعد (المزار) مكان الزيارة (نأت) بعدت (مقلتيك) عينيك (هجوعها) نومها (٣) المزنة السحابة والمطرة (منهلة) سائلة منصبة (الثرى) التراب (هموعها) انصبابها ونزولها

(٤) الربى جمع ربوة وهي المرتفع من الارض . ومثلها الرابية (الازهار) جمع زهر . ويغلط من يجمعه على زهور (الحلل) جمع حلة وهي الثوب الساتر لجميع البدن ، او هي الملبوس لا يكون الا من ثوبين (الربيع) الفصل المعروف ، واراد به هنا ما ينبت فيه من الازهار ذات الرائحة الذكية (٥) الدوحة الشجرة العظيمة

(٦) صرف الدهر نائبته ومصيبته . وجمعه صروف (شنَّ الغارة) صبها من كل جهة (مشمر) قد شمر عن ساعديه وساقيه مستعدًّا لقبض الارواح (٧) الصارم السيف القاطع (دجى الليل) ظلمته (النجم) الثريا . وهي مجموعة نجوم في السماء معروفة . وحيثما أُطلق النجم فالمراد به الثريا . واراد بالنجم هنا واحد النجوم على ما يظهر

وقوله [وكان قد أُخذ اسيرًا في حرب بين العرب والعجم، وكانت عبلة في جملة السبايا] :

لَهفي عَلَيْكِ إِذَا بَقِيتِ سَبِيَّةً ، تَدعِينَ عَنْتَرَ ، وَهُوَ عَنْكِ بَعِيدُ
وَلَقَدْ لَقِيتُ ٱلْفُرْسَ يَاٱبْنَةَ مَالِكٍ ، وَجُيُوشُهَا قَدْ ضَاقَ عَنْهَا ٱلْبِيدُ (١)
وَتَمُوجُ مَوجَ ٱلْبَحْرِ ، إِلَّا أَنَّهَا لَاقَتْ أُسُودًا فَوقَهُنَّ حَدِيدُ
جَارُوا ، فَحَكَّمْنَا ٱلصَّوَارِمَ بَيْنَنَا ، فَقَضَتْ ، وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ شُهُودُ (٢)
يَا عَبْلَ ، كَمْ مِنْ جَحْفَلٍ فَرَّقْتُهُ ، وَٱلْجَوُّ أَسْوَدُ ، وَٱلْجِبَالُ تَمِيدُ (٣)
فَسَطَا عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ سِطْوَةَ غَادِرٍ ، وَٱلدَّهْرُ يَبْخَلُ تَارَةً ، وَيَجُودُ

وقوله [يخاطب امرأة من بَجِيلة كانت تلومه في فرس كان مولعًا به] وهذا الشعر من الثابت له :

لَا تَذْكُرِي فَرَسِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ ، فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ ٱلْأَجْرَبِ
إِنَّ ٱلرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ : إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي (٤)
وَأَنَا ٱمْرُؤٌ ، إِنْ يَأْخُذُونِي عَنْوَةً أُقْرَنْ إِلَى قِدِّ ٱلرِّكَابِ وَأُجْنَبِ (٥)

---

(١) البيد : جمع بيداء وهي القفر المهلك (٢) جاروا : ظلموا (الصوارم) السيوف القواطع (قضت) حكمت بيننا فيما حكَّمناها فيه (٣) الجحفل : الجيش العظيم (تميد) تضطرب وتتحرك من هول ما ترى من الشدة (٤) وسيلة : حاجة . وجمعها وسائل (تخضبي) تزيّن اطراف يديك بالخضاب ، وهو ما يُصبغ به من حنّاء ونحوها (٥) عنوة : قوة وقهرًا (اقرن) أشدّ . يقال : قرن الشيء بالشيء اذا شده به ووصله اليه (القد) قيد من جلد يُقيَّد به الاسير (أُجنب) أُدفع وأُطرد . يقال جنبه وأجنبه اذا دفعه ونحّاه .

وَيَكُونُ مَرْكَبُكِ ٱلْقَعُودَ وَرَحْلَهُ .
وَٱبْنُ ٱلنَّعَامَةِ عِنْدَ ذٰلِكَ مَرْكَبِي[١]

وقوله [يتوعد النعمان بن المنذر ، ملك العرب ، ويفتخر بقومه] :

لَا يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ ٱلرُّتَبُ ،
وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ ٱلْغَضَبُ

قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ ،
وَٱلْيَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمْ كُلَّمَا نُكِبُوا[٢]

لِلّٰهِ دَرُّ بَنِي عَبْسٍ : لَقَدْ نَسَلُوا
مِنَ ٱلْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَنْسُلُ ٱلْعَرَبُ[٣]

لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي ، فَهْوَ لِي نَسَبٌ
يَوْمَ ٱلنِّزَالِ ، إِذَا مَا فَاتَنِي ٱلنَّسَبُ[٤]

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَنَّ يَدِي
قَصِيرَةٌ عَنْكَ ، فَٱلْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ

---

(١) القعود الجمل الذي يُتخذ ليستخدم في كل حاجة ، وجمعه أقعِدة وقُعُد وقِعدان (الرحل) هو للجمل كالسرج للفرس (ابن النعامة) هو القيد .

(٢) نُكبوا أُصيبوا بنكبة ومصيبة (٣) الدَّر اللبن . يقال لله در فلان ، والمعنى التعجب من حسن فعله او خلقه . وهي كلمة تقال للمجيد في القول او العمل ، اي لله خالص عمله ، لان اللبن عند العرب اشرف المشروبات . قال ابن عباس – رضي الله عنهما – « ما غصَّ احد بلبنٍ قطُّ » (تنسل) تلد . وبابه نصر (٤) النزال منازلة الاعداء في الحرب

إِنَّ ٱلْأَفاعِي – وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا –
عِنْـدَ ٱلتَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا ٱلْعَطَبُ (١)

وَٱلْخَيْلُ تَشْهَـدُ لِي أَنِّي أُكَفْـكِفُهَا ،
وَٱلطَّعْنُ مِثْلَ شِرَارِ ٱلنَّـارِ يَلْتَهِبُ (٢)

إِذَا ٱلْتَقَيْتُ ٱلْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ ، تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ ٱلْمَغْرُورَ يُنْتَهَبُ :
لِيَ ٱلنُّفُوسُ ، وَلِلطَّيْرِ ٱللُّحُومُ ، – وَلِلْوَحْشِ ٱلْعِظَامُ ، وَلِلْخَيَّالَةِ ٱلسَّلَبُ (٣)

فان ثبت له هذا الشعر ، كان له به الفخر ، أَبدَ الدهر .

معلقته وسبب نظمها

معلقته هي الشعر الثابت له بلا اختلاف . اما غيرها فمنها ما هو ثابت له ، ومنها ما هو مختلف فيه ، ومنها ماليس له قطعاً . كأكثر ما في ديوانه المشهور .

وسبب نظمها ما حكوا من أنه جلس يوماً في مجلس [بعد ما كان قد أبلى وحسُنت وقائعه واعترف به ابوه وأعتقه] فسابّه رجل من بني عبس وعاب عليه سوادَ أُمه واخوته ، وأنه لايقول الشعر ، فسبَّه عنترة وفخر عليه وقال له :

« وَٱللهِ إِنَّ ٱلنَّاسَ لَيَتَرَافَدُونَ لِلطُّعْمَةِ (٤) ، فَمَا حَضَرْتَ أَنتَ وَلَا

---

(١) الافاعي جمع افعى وهي الحية العظيمة . ومذكرها أُفعُوان (٢) اكفكفها اصدها وادفعها (٣) السلب ما يُسلب ويُنهب (٤) يترافدون اي يتعاونون (الطعمة) الدعوة الى الطعام . وجمعها طُعَم

أَبُوكَ وَلَا جَدُّكَ مَرَافِدَ (١) ٱلنَّاسِ قَطُّ . وَإِنَّ ٱلنَّاسَ لَيُدْعَوْنَ فِي ٱلْغَارَاتِ ، فَيُعْرَفُونَ بِتَسْوِيمِهِمْ (٢) ، فَمَا رَأَيْتُكَ فِي خَيْلٍ مُغِيرَةٍ فِي أَوَائِلِ ٱلنَّاسِ قَطُّ . وَإِنَّ ٱللَّبْسَ (٣) لَيَكُونُ بَيْنَنَا ، فَمَا حَضَرْتَ أَنْتَ وَلَا أَبُوكَ وَلَا جَدُّكَ خُطَّةَ فَصْلٍ (٤) . وَإِنَّمَا أَنْتَ فَقْعٌ بِقَرْقَرٍ (٥) . وَإِنِّي لَأَحْتَضِرُ ٱلْبَأْسَ ، وَأُوَافِي ٱلْمَغْنَمَ ، وَأَعِفُّ عِنْدَ ٱلْمَسْأَلَةِ ، وَأَجُودُ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي ، وَأَفْصِلُ ٱلْخُطَّةَ ٱلصَّمَّاءَ (٦) . وَأَمَّا ٱلشِّعْرُ فَسَتَعْلَمُ »

فكان اول ماقال معلقته . وكان قبل ذلك ينظم البيت والبيتين .

وقد أُستهلّ معلقته بالغرام وشكوى البعد وغير ذلك من انواع النسيب ، ثم تخلّص الى الفخر والحماسة ، وذكر وقائعه ومشاهده »

---

(١) مرافد الناس هي مجامعهم للرفد وهو العطاء والمعونة (٢) التسويم : الاغارة . يقال سوّم على القوم ، اي اغار عليهم فعاث فيهم (٣) اللبس هو الحيرة والتباس الامور واختلاطها (٤) خطة فصل اي طريقة او امراً يكون فيه فصل الامور وازالة التباسها . والخطة – بضم الخاء – هي الامر والطريقة (٥) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة (القرقر والقرقرة) الارض المنخفضة . وقولهم « هو اذلّ من فقع بقرقر او بقرقرة » هو مَثل يُضرب للذليل المهان . اي هو اذل واهون من كمأة في ارض منخفضة ، لانها لا تمتنع على من يجتنيها ، او لانها تداس بالارجل (٦) الخطة الصماء هي الامر الصعب الحل . شبهها بالصخرة الصماء .

نخبة من معلّقته

هَلْ غَادَرَ ٱلشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ؟   أَمْ هَلْ عَرَفْتَ ٱلدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ ؟ (١)

يَادَارَ عَبْلَةَ — بِٱلْجِوَاءِ — تَكَلَّمِي .   وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ ، وَٱسْلَمِي (٢)

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي — وَكَأَنَّهَا   فَدَنٌ — لِأَقْضِيَ حَاجَةَ ٱلْمُتَلَوِّمِ (٣)

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ ، تَقَادَمَ عَهْدُهُ ،   أَقْوَى وَأَقْفَرَ ، بَعْدَ أُمِّ ٱلْهَيْثَمِ (٤)

وَلَقَدْ نَزَلْتِ — فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ —   مِنِّي بِمَنْزِلَةِ ٱلْمُحَبِّ ٱلْمُكْرَمِ

إِنْ تُغْدِفِي دُونِي ٱلْقِنَاعَ ، فَإِنَّنِي   طَبٌّ بِأَخْذِ ٱلْفَارِسِ ٱلْمُسْتَلْئِمِ (٥)

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ ، فَإِنَّنِي   سَمْحٌ مُخَالَطَتِي ، إِذَا لَمْ أُظْلَمِ (٦)

فَإِذَا ظُلِمْتُ ، فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ ،   مُرٌّ مَذَاقَتُهُ ، كَطَعْمِ ٱلْعَلْقَمِ (٧)

. . . . . .

---

(١) غادر ترك (المتردم) المرقَّع . اي هل ترك الشعراء شيئاً يحتاج الى الرقع فلم يرقعوه . اراد انهم لم يتركوا شيئاً من فنون الشعر الّا قالوه ، ولم يدعوا مذهباً الّا ذهبوه ، فلم يتركوا له شيئاً ليقوله (التوهم) التفرس والتخيل والتمثل . و يأتي بمعنى الظن ، وليس مرادًا هنا (٢) الجواء مكان بنجد (٣) الفدن القصر (المتلوم) المنتظر . يقال ، تلوَّم في الامر اي تمكَّث فيه وانتظر . والمتلوم في غير هذا المقام يكون بمعنى المتكلف اللوم .

(٤) الطلل الشاخص من آثار الديار (اقوى) خلا من سكّانه . ومثله اقفر (ام الهيثم) امرأة (٥) تغدفي ترخي وترسلي (القناع) ما تغطي به المرأة وجهها (طب) حاذق خبير (المستلئم) اللابس اللأمة وهي الدرع . يقال منهُ ، استلأم ، اي لبس اللأمة

(٦) سمح سهل لين (٧) باسل كريه . ولذلك يوصف الشجاع بالبسالة لانهُ يكون كريه اللقاء تهابه الاعداء (العلقم) الحنظل الذي ادركت مرارته

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ ٱلْمُدَامَةِ [بَعْدَمَا
رَكَدَ ٱلْهَوَاجِرُ ، بِٱلْمَشُوفِ ٱلْمُعْلَمِ] (١)

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ ، قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي ٱلشِّمَالِ مُفَدَّمِ (٢)

فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعِرْضِي وَافِرٌ ، وَلَمْ يُكْلَمِ (٣)

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى ،
وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي (٤)

---

(١) المدامة الخمر (ركد الهواجر) اى سكنت هواجر الشمس . والهاجرة ، وقت اشتداد الحر (المشوف المعلم) هو الدينار المجلوّ الذي له علامة . يقال ، شاف الشيء اي جلاه . والمعنى ، شربت الخمر التي اشتريتها بهذا الدينار بعد ان سكنت هواجر الحر . فالجار في قوله «بالمشوف» متعلق بمحذوف معلوم من المقام . والتقدير ، شربتها وقد اشتريتها بالمشوف المعلم . وقد يكون اراد شربتها وقد ركدت الهواجر بالجمال بمعنى منعتها عن السير فأسكنتها ، لانهم كانوا لا يسيرون عند الهاجرة . فتكون الباء للتعدية ومتعلقها ركد . والمشوف يكون بمعنى الجمل المطلي بالقطران . يقال ، شاف الجمل بالقطران اي طلاه به . والمعنيان جائزان

(٢) بزجاجة الجار متعلق بشربت (ذات اسرة) اى ذات خطوط وطرائق . ويقال للخطوط التي في باطن الكف وللتجعدات التي في الجبين اسرة . ومفردها سِرار . ويقال لها الاسرار ايضاً . ومفرد الاسرار سِرّ وَسَرَرٌ وسُرُرٌ . وقيل: الغالب ان يقال لخطوط الجبهة « اسرّة » ولخطوط الكف « اسرار » (قرنت بازهر) اى جعلت مع ابريق ازهر اي ابيض . يقال زهرَ السراج والوجه والقمر زُهورًا – من باب قطع – اي تلألأ وصفا لونه واضاء . وزَهُر الرجل زُهورةً – من باب حَسُن – اذا كان ذا زهرة اي بياض وحسن وتلألؤ . – فائدة – الامبانط الذي يستعملونه لإزهار الضوء وجعله ابيض صافيًا يجوز ان يطلق عليه اسم « المُزهِرة او المُزهِر » وذلك خير من استعمال تلك اللفظة الافرنجية . ويكون معنى المزهرة ذلك الشيء الذي يجعل الضوء ابيض زاهرًا (في الشمال) في جهة الشمال (مفدم) عليه الفدام وهو المصفاة التي توضع على فم الابريق ونحوه ليصفى بها ما فيه (٣) العرض موضع المدح والذم من الرجل ، وما يجب عليه الدفاع عنه . ولذلك يقال للنساء عرض (وافر) تام (لم يكلم) لم ينله احد بذم . واصل معناه لم يجرح (٤) الشمائل الاخلاق . ومفردها شِمال

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً ، تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (1)

سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ، وَرَشَاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ الْعَنْدَمِ (2)

هَلَّا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ ، إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي (3)

[إِذْ لاَ أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ سَابِحٍ نَهْدٍ ، تَعَاوَرُهُ الْكُمَاةُ مُكَلَّمِ (4)

طَوْرًا يُجَرَّدُ لِلطِّعَانِ ، وَتَارَةً يَأْوِي إِلَى حَصِدِ الْقِسِيِّ ، عَرَمْرَمِ] (5)

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى ، وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ (6)

وَمُدَجَّجٍ [كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ لاَ مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلاَ مُسْتَسْلِمِ] (7)

---

(١) الحليل الزوج (الغانية) المستغنية بزوجها . والشابة المستغنية بحسنها عن الزينة . والمعنى الاول هو المراد (مجدّلاً) مصروعاً مطروحاً على الجَدالة . وهي الارض (تمكو) تصفر ، والمكاء الصفير (الفريصة) لحمة بين الجنب والكتف او بين الثدي والكتف ترعد وتضطرب عند الفزع (الاعلم) الجمل . وكل مشقوق الشفة العليا فهو اعلم . وكل جمل اعلم — شبه صوت انصباب الدم من الفريصة بصوت نَفَس الجمل من شدقه (٢) الرشاش ما تطاير وتفرق من الماء ونحوه . واراد به ما تطاير من الدم (نافذة) اي طعنة نافذة الى الجوف (العندم) صبغ احمر

(٣) هلّا سألت الخيل ، اي عن وقائعي ومشاهدي . و« هلّا » اداة تحقيق ان دخلت على المضارع . واداة تنديم ان دخلت على الماضي كما هنا ، والفرق بين التحضيض والتنديم ان الاول معناه حضّ الفاعل على العمل كيلا يتهاون به ، والثاني معناه جعلُ الفاعل يندم على تهاونه بالعمل وعدم اقدامه عليه . وقوله فيما بعد يخبرك بمنزلة الجواب (٤) الرحالة السرج من جلود لا خشب فيه يُتخذ للركض الشديد (سابح) فرس سابح شديد الجري (النهد) الفرس الحسن الجميل المشرف . ومن معانيه الاسد ، والكريم يُنهد اليه في معالي الامور (تعاوره الكماة) اتوه واحداً بعد آخر . و (الكماة) الشجعان ومفرده كميّ (مكلّم) مجرَّح من كثرة ما اصابه من الطعن (٥) الى حصد القسي ، اى الى جيش حصد القسى ، اى قويها او كثيرها . يقال حصد الحبل — من باب علم — اذا كان محكم الفتل قوياً . فهو حَصِدٌ (العرمرم) الكثير

(٦) يخبرك مضارع مجزوم لانه جواب الطلب ، وهو قوله « هلّا سألت » (الوقيعة) وقعة الحرب (اغشى الوغى) اجيئها . والوغى الحرب (٧) المدجج المستتر بسلاحه (نزاله) منازلته ومصادمته (لا ممعن هرباً) اى لا يترك القتال هرباً منه . ويقال امعن الفرس ، اي تباعد في سيره . ونصب هرباً على انه مفعول لاجله (ولا مستسلم) اي لا يستسلم فيؤسر وانما يثبت على القتال

بَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ   بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ ٱلْكُعُوبِ مُقَوَّمِ (١)

فَشَكَكْتُ بِٱلرُّمْحِ ٱلْأَصَمِّ ثِيَابَهُ   [لَيْسَ ٱلْكَرِيمُ عَلَى ٱلْقَنَا بِمُحَرَّمِ] (٢)

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ ٱلسِّبَاعِ يَنُشْنَهُ :   يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَٱلْمِعْصَمِ (٣)

. . . . . .

نُبِّئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرِ نِعْمَتِي .   وَٱلْكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ ٱلْمُنْعِمِ (٤)

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِٱلضُّحَى ،
إِذْ تَقْلِصُ ٱلشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ ٱلْفَمِ (٥)

فِي حَوْمَةِ ٱلْحَرْبِ ٱلَّتِي لَا تَشْتَكِي   غَمَرَاتِهَا ٱلْأَبْطَالُ ، غَيْرَ تَغَمْغُمِ (٦)

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ ٱلْأَسِنَّةَ ، لَمْ أَخِمْ   عَنْهَا ، وَلٰكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي (٧)

---

(١) بمثقف اي برمح مثقف اي مقوّم مصلَح (صدق الكعب) صلبها مستويها . والكعوب عُقَد الانابيب (٢) الاصم الصب المتين (ثيابه) اى ما تحت ثيابه . وذكر الثياب وارادة ما تحتها مجاز لان الثياب تضم الجسم (القنا) الرماح ومفردها قناة

(٣) الجزر الشاة المذبوحة . والمعنى تركته فريسة للسباع (ينشنه) يتناولنه (القضم) الاكل او الكسر باطراف الاسنان (البنان) الاصابع او اطرافها ومفردها بنانة (المعصم) موضع السوار من الساعد (٤) مخبثة : مفسدة . يقول : ان كفران النعمة يفسد نفس المنعِم ويحمله على قطع نعمته عن المنعَم عليه (٥) الوصاة : الوصية (تقلص) تقصر (وضح الفم) اسنانه ، ولا يقال لها وضح الّا اذا كانت واضحة البياض نقية . واصل معنى الوضح : بياض الصبح ، والضوء (٦) حومة الحرب : دائرتها . وحومة كل شيء : معظمه (غمراتها) شدائدها ومفردها غَمْرة . سميت بذلك لانها تغمر القلوب وتغطيها (التغمغم) أن يقال شيء يُسمع ولا يفهم . والغمغمة : صوت لا يُفهم منه شيء (٧) يتقون بي الاسنة : اي يجعلونني وقاية لهم منها . وهي جمع سنان . وسنان الرمح : ما يُطعن به (لم اخم) لم انكص ولم اجبن . وماضيه خام من باب باع (تضايق) ضاق . (مقدمي) مصدر ميمي بمعنى الاقدام . يقول : لم اجبن عن تلقي الاسنة ولم ارجع خوفًا منها ولكن تعذر عليّ الاقدام وضاق امامي مجاله .

لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ   يَتَذَامَرُونَ ، كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ (١)

يَدْعُونَ عَنْتَرَ ، وَٱلرِّمَاحُ كَأَنَّهَا   أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ ٱلْأَدْهَمِ (٢)

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ   وَلَبَانِهِ ، حَتَّى تَسَرْبَلَ بِٱلدَّمِ (٣)

فَٱزْوَرَّ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا بِلَبَانِهِ ،   وَشَكَى إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ (٤)

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا ٱلْمُحَاوَرَةُ ٱشْتَكَى ،

وَلَكَانَ — لَوْ عَلِمَ ٱلْكَلَامَ — مُكَلِّمِي (٥)

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا

قِيلُ ٱلْفَوَارِسِ : وَيْكَ عَنْتَرَ ، أَقْدِمِ (٦)

وَٱلْخَيْلُ تَقْتَحِمُ ٱلْخَبَارَ عَوَابِساً ،   مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ (٧)

---

(١) يتذامرون : يحض بعضهم بعضاً على القتال . او المعنى يلوم بعضهم بعضاً على عدم الاقدام . والمعنيان جائزان . يقال ، تذامر القوم وتذمّروا (غير مذمم) غير مذموم

(٢) الاشطان : الحبال . ومفردها شَطَن (اللبان) الصدر (الادهم) اراد به فرسه

(٣) ثغرة النحر : النقرة بين الترقوتين (تسربل بالدم) صار الدم لهُ كالسربال وهو القميص او الدرع او كل ما يُلبس (٤) ازورَّ : مال واعرض (وقع القنا) شدة طعن الرماح . والوقع ، صوت وقعة الضرب بالشيء . يقال : « سمعت وقع حوافر الدابة » اي شدة ضربها (العبرة) الدمعة . وهي بفتح العين . امّا بكسرها فمعناها العظة اي الموعظة (التحمحم) ان يُسمع للفرس صوت داخل صدرها . والحمحمة ، ذلك الصوت (٥) المحاورة : المخاطبة (٦) قيل الفوارس : قولهم (ويك) ويلك

(٧) تقتحم : تدخل . والاقتحام ، الدخول في الشيء بسرعة وعزم (الخبار) الارض اللينة المسترخية التي لا يأمن السائر فيها من ان تسيخ فيها ارجل دابته وتغوص . وفي المثل « من تجنّب الخبار أمِنَ العِثار » — (الشيظمة والشيظم) الفرس الطويل (الاجرد) القصير الشعر .

ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي ... لُبِّي، وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ [١]

إِنِّي عَدَانِي أَنْ أَزُورَكِ — فَاعْلَمِي —
مَا قَدْ عَلِمْتِ، وَبَعْضُ مَا لَمْ تَعْلَمِي [٢]

حَالَتْ رِمَاحُ ٱبْنَيْ بَغِيضٍ دُونَكُمْ،
وَزَوَتْ جَوَانِي ٱلْحَرْبِ مَنْ لَمْ يُجْرِمِ [٣]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ، وَلَمْ تَدُرْ
لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ٱبْنَيْ ضَمْضَمِ [٤]

أَلشَّاتِمَيْ عِرْضِي، وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا، ... وَٱلنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَقِيتُهُمَا دَمِي
إِنْ يَفْعَلَا، فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا ... جَزَرَ ٱلسِّبَاعِ، وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ [٥]

---

(١) الذلل : جمع ذَلول وهو الجمل الذي ليس بصعب (مشايعي) مرافقي (لبي) عقلي (احفزه) ادفعه واسوقه (الامر المبرم) الامر المحكم الذي لا يُنقض فكأنه حبل أحكم فتله (٢) عداني ان ازورك : منعني وشغلني عن زيارتك

(٣) حالت : عرضت ومنعت (ابنا بغيض) عبس وذبيان . يشير الى ما كان بينهما من الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء التي تقدم خبرها في الصفحة (١٥٥) — (زوت) اي جعلته ينحاز الى ناحية ولا يباشر قتالاً (جواني الحرب) جناياته وجرائره. ومفردها جانية (٤) ابنا ضمضم، هما حُصين وهرم ابنا ضمضم المري . وكان عنترة قد قتل ضمضماً اباهما في حرب داحس والغبراء يوم المريقب فبلغه انهما يشتمانه و يتوعدانه . فقال فيهما هذه الابيات (٥) جزر السباع : مقتولاً تأكله السباع (القشعم) الكبير من النسور .

٧ الحارث بن حلزة اليشكري

توفي سنة (٥٢٠) وقيل سنة (٥٦٠) وقيل سنة (٥٨٠) م وسنة (٥٢) قبل الهجرة

هو : ابو عُبيدَة الحارث بن حِلّزَة بن مَكروه ، من اهل العراق . وينتهي نسبه الى يَشكُر بن بكر بن وائل ، وينتهي نسب وائل الى نِزار ابن مَعَدّ بن عدنان .

وقد شهد الحارث بن حِلّزة حرب « البَسُوس » [1]

---

(١) حرب البسوس

هي حرب كانت بين بني بكر وبني تغلب ابنيْ وائل .

قالوا : لم تجتمع معدٌ كلها الّا على ثلاثة رهط من روساء العرب . وهم عامر بن الظَرْب ، وربيعة بن الحارث ، وكليب بن ربيعة الوائلي . وهو الذي يقال فيه « اعزُّ من كليب وائل » وقاد مَعَدًّا كلها يوم خزازى (راجع صفحة – ٢٠٨) ففضَّ جموع اليمن وهزمهم . فاجتمعت عليه معدٌ كلها . وملّكوه عليهم . واطاعوه حيناً من الدهر . ثم دخله زهو شديد و بغي على قومهِ . حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى حماه ، ويجير على الدهر فلا تُخفر ذمته . ويقول : وحش ارض كذا في جواري فلا يهاج ، ولا تُورد ابل احد مع ابله ، ولا توقد نار مع ناره .

وكان كليب قد تزوج « جليلة » بنت مرة الشيباني اخت « جساس » . وكان لجساس خالة تُدعى « البسوس » بنت مُنقذ من بني تميم ، وهي التي نُسبت اليها هذه الحرب . وكانت نازلة في بني شيبان مجاورة لجسّاس . وكان لها ناقة يقال لها « سراب » . وبها يضرب المثل في الشؤم فيقال : « اشأم من سراب » لان حرب البسوس بسببها هاجت . وذلك انها قد دخلت حمى كليب واختلطت بإبله ، فأنكرها لما رآها . وقيل : بل داست بيض طير كان قد اجاره . فشد عليها بسهم فخرم ضرعها . فنفرت وهي ترغو . فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت : « وا ذُلّاه واجاراه » فأحمست جساساً . فركب فرسه واخذ آلته . حتى دخل الحيّ على كليب . فطعنه فقصم صلبه . وكان مع جساس عمرو بن الحارث فطعنه ايضاً من خلفه . فوقع كليب وهو يفحص —

معلقته وشيء من اخباره وشعره

كان الحارثُ بن حِلِّزَةَ خبيرًا بقرض الشعر ومذاهب الكلام ، ومعلقته قد جمعت طائفةً من ايَّامِ العرب وأخبارها ، وَوَعَتْ ضروباً من المفاخر يُقام لها ويُقعد . وقد ارتجلها بين يدي عمرو بن هند الملك ، وهو غضبان متوكئ على عَنَزةٍ [1] اوعلى قوسه . وقيل : « بل كان قداعدَّها قبل ذلك » وليس ببعيدٍ عن الصواب . لِما سترى من اختلاف الرواية في ذلك .

وسبب هذه المعلقة أنَّ عمرو بن هند كان قد جمع بني تغلب و بني بكر [ابنَيْ وائل] عنده ، وأصلح بينهما بعد حرب البسوس . وأخذ من كل حيّ منهما مئة غلام رهناً ، ليكفَّ بعضهم عن بعض . فكان أولئك الرهن يسيرون ويغزون معه . فأصابتهم في بعض مسيرهم ريح سَمُوم . فهلك عامةُ التغلبيين . وسلم البكريون . فقالت بنو تغلب لبني بكر بن وائل : « أعطونا دِيات ابنائنا ، فان ذلك لازم لكم » فأبت بكر . فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم [صاحب المعلقة الخامسة] فقال عمرو لتغلب : « بمن تَرَوْنَ بكرًا تَعْصِب امرها اليوم ؟ » قالوا : « بمن عسى الأ برجُلٍ من بني ثَعْلَبة » قال عمرو : « وأرى الامر واللّه سينجلي عن

— الارض برحله .

فلمّا قُتل كليب ارتحلت بنو شيبان . وتشمَّر « المهلهل » اخو كليب (واسمه عديّ بن ربيعة ، وانما قيل له المهلهل لانه اول من هلهل الشعر ، اي رققه) واستمدَّ لحرب بني بكر (وبنو شيبان منهم) فكانت بين الفريقين (بكر وتغلب) ايام مشهورة ووقائع كثيرة ، وقد دامت اربعين سنة ، الى ان اصلح بينهما عمرو بن هند ، كما ستعلم

(١) العنزة : رمح صغير لا سنان له وفي اسفله زُج اي حديدة .

أَحمرَ أَصلَعَ أَصمَّ من بني يَشكُرَ ، ثم ان بكراً جاءت ومعها النُّعمان بن هرم [احد بني ثعلبة بن غُنم بن يَشكُر] وهو خطيبها ، والحارث بن حِلِّزة وهو شاعرها ، وجاءت بنو تغلب بفارسها وشاعرها عمرو بن كلثوم .

فلما اجتمعوا عند الملك عمرو بن هند ، قال عمرو بن كلثوم للنعمان ابن هرم : « يا أَصمُّ ، جاءت بك اولاد ثَعلَبة تناضل عنهم ، وقد يَفخَرون عليك » فقال النعمان بن هرم : « وعلى من أَظلَّت السماء يفخَرون ، ولا يُنكَرُ عليهم ذلك » قال عمرو بن كلثوم : « والله لو أَني لطمتك لطمةً مااخذوا لك بها » قال : « والله لو فعلتَ ما أَفلتَّ بها قيس ابن ابيك » فغضب عمرو بن هند الملك [وكان يؤْثر بني تغلب على بني بكر] فقال : « يانعمان ، أيسرُّك أني ابوك ؟ » قال : « لا ، ولكنّي وَدِدتُ ان تكون أُمي » فغضب عمرو بن هند ، حتى همَّ بالنعمان .

ثم تحاكموا . فقال عمرو بن هند الملك : ما كنت لأَحكمَ بينكم ، حتى تأْتوني بسبعين رجلاً من اشراف بكر بن وائل ، فأجعلهم في وِثاقٍ عندي . فان كان الحق لبني تغلب دفعتهم اليهم ، وان لم يكن لهم حق خلَّيت سبيلهم ، ففعلوا ذلك . وتواعدوا يوماً بعينه يجتمعون فيه .

وفي اثناء الهُدنة [1] جاء اناس من بني تغلب الى بني بكر يستسقونهم . فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم . فرجعوا . فمات منهم سبعون رجلاً عطشاً . ثم إن بني تغلب اجتمعوا لحرب بني بكر ، واستعدت

---

(١) الهدنة — بضم الهاء — الصلح والدعة والسكون . وجمعها « هُدَن » ومنهُ قولهم : « هُدْنة على دَخَن » اي صلح على فساد . ويقال : هادنه مهادنةً ، اي صالحه ووادعه .

لهم بكر . حتى اذِ ٱلتقوا كرهوا الحرب ، وخافوا ان تعود الحرب بينهم كما كانت . فدعا بعضهم بعضاً الى الصلح . فلما كان اليوم الذي ضربوه للاجتماع عند عمرو بن هند جاءت تغلب في ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم ، حتى جلس الى الملك . وقال الحارث بن حِلِّزة لقومه [وهو رئيس بكر بن وائل] : «اني قد قلت قصيدة فمن قام بها ظَفِرَ بحجته وفلَج[١] على خصمه » فروّاها أُناساً منهم . فلما قاموا بين يَدَيهِ لم يُرضِهِ انشادهم. فحين علم الحارث أنه لايقوم بها احد مقامه قال لهم : «والله ، اني لأكره ان آتي الملك ، فيكلّمني من وراء سبعة سُتور ، وينضح اثري بالماء اذا انصرفت . غير أني لا ارى احداً يقوم بها مقامي ، واني محتمل ذلك لكم» وكان بالحارث وَضَح[٢] . وكانوا يفعلون ذلك بمن به بَرَص . وقيل : « بل كان عمرو بن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه وكبريائه ، ولا ينظر الى احد به سوء .

فأنطلق الحارث حتى اتى الملك . فقيل للملك : « ان به وَضَحاً » فأَمر ان تُمَدَّ دونهما سبعة سُتور . فَجُعِلت . فلما نظر عمرو بن كلثوم الى الحارث قال للملك عمرو بن هند : «أهذا يُناطقني ؟ وهو لايطيق صدر راحلته » فأجابه الملك حتى أَفحمه . وانشدَ الحارث معلقته وهو من وراء سبعة ستور ، وكانت هند أُمُّ الملك تسمع . فلما سمعَتْها قالت : « تالله ما رأيت كاليوم قطُّ رجلاً يقول مثل هذا القول ، يُكَلِّمُ من وراء سبعة ستور » فقال الملك : ارفعوا ستراً . ودنا . فما زالت تقول ويُرفَع ستر وستر ، حتى صار

---

(١) اي استظهر عليه وغلبه (٢) اي برص .

مع الملك على مجلسه . ثمّ أطعمه في جَفْنته . وامر ان لا يُنضح اثره بالماء . وجزّ نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بكر ودفعها الى الحارث ، وامره ان لا يُنشد قصيدته الاّ متوضِّئاً [١] . فلم تزل تلك النواصي [٢] في بني يشكر بعد الحارث يفتخرون بها .

ثم انّ عمرو بن هند حكم أنه لا يلزم بني بكر ما حدث على رهائن بني تغلب ، فتفرّقوا على هذه الحال . ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى همّ باُستخدام أُم عمرو بن كلثوم ، تعرّضاً لهم وإذلالاً . فكان من ذلك أنْ قَتَله عمرو بن كلثوم . كما تقدم في خبره [٣] .

وقد ضُرب بالحارث المثل في الفخر فقيل : « أَفْخَرُ من الحارث ابن حِلِّزة »

والمشهور من الروايات أنّ الحارث قال معلقته ارتجالاً ، وهو متوكيء على قوسه . وقد زعموا انهُ اقتطم [٤] كفّه من الغضب وهو لا يشعر حين انشادها . وقال ابن السّيد في (ادب الكاتب) : « كان متوكئاً على عنَزَة فارتزّت [٥] في جسده وهو لا يشعر »

قال يعقوب بن السّكّيت : « كان ابو عمرو الشيباني يعجب لاُرتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ، ويقول : لو قالها في حَولٍ لم يُلَمْ » قال : « وقد جمع فيها ذِكْرَ عِدّةٍ من ايام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرّض في بعضها لعمرو بن هند [٦] »

---

(١) اي مغتسلًا متنظفاً ولا يعني الوضوء المعروف (٢) النواصي : جمع ناصية وهي قصاص الشعر حيث تنتهي نبتته في مقدمه . وقيل : هي مقدمة الرأس

(٣) راجع الصفحة (١٩٤ — ١٩٦) (٤) اقتطم الشيء : عضّه او تناوله باطراف اسنانهِ وذاقه (٥) ارتزت : انغرزت (٦) عرّض بفلان وعرّض له ضد صرّح

غير ان الرواية التي رويناها هناك تدل على انه لم يرتجلها ، وانما كان قد اعدَّها قبل إنشادها . والله اعلم بالصواب .

. . . . . .

امَّا شعره فهو قليل جدًّا ، لأنه كان من المقلّين . وانما اشتهر بمعلقته هذه التي رفعت من قدره ، جعلته في صف شعراء الجاهلية المجيدين .

ومن شعره قوله [يمدح رجلاً يقال له قيس بن شراحيل ، وكان هذا في جملة من سعى بالصلح] :

فَهَلَّا سَعَيْتَ لِصُلْحِ ٱلصَّدِيقِ ، كَصُلْحِ ٱبْنِ مَارِيَةَ ٱلْأَقْصَمِ [١]
وَقَيْسٌ تَدَارَكَ بَكْرَ ٱلْعِرَاقِ وَتَغْلِبَ مِنْ شَرِّهَا ٱلْأَعْظَمِ
وَبَيْتُ شَرَاحِيلَ فِي وَائِلٍ مَكَانُ ٱلثُّرَيَّا مِنَ ٱلْأَنْجُمِ
فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدُوا بَيْنَهُمْ . كَذَلِكَ فِعْلُ ٱلْفَتَى ٱلْأَكْرَمِ

قال يعقوب بن السِّكِّيت : انشدني النَّضر بن شُمَيل للحارث بن حِلِّزة ، وكان يستحسنها ويستجيدها ، وذلك قوله :

مَنْ حَاكِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ — ٱلدَّهْرِ مَالَ عَلَيَّ عَمْدَا
أَوْدَى بِسَادَتِنَا ، وَقَدْ تَرَكُوا لَنَا حَلَقاً وَجُرْدَا [٢]
خَيْلِي وَفَارِسُهَا ـ وَرَبِّ — أَبِيكَ ـ كَانَ أَعَزَّ فَقْدَا

---

(١) الاقصم . هو المنكسر الثنية من النصف . ولعله كان لقبًا لقيس الممدوح

(٢) الحلق : الابل المدّسمة بالحلقة وذلك للدلالة على كرامتها (الجرد) الخيل . ومفردها اجرد ، وهو الفرس القصير الشعر

فَلَوَ أَنَّ مَا يَأْوِي إِلَيَّ – أَصَابَ مِنْ ثَهْلَانَ فِنْدَا [1]
أَوْ رَأْسَ رَهْوَةَ أَوْ رُؤُوسَ – شَمَارِخٍ ، لَهُدِدْنَا هَدَّا [2]
فَضَعِي قِنَاعَكِ ، إِنَّ رَيْبَ – الدَّهْرِ قَدْ أَفْنَى مَعَدَّا [3]
فَلَكَمْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَدْ جَمَّعُوا مَالًا وَوُلْدَا [4]
وَهُمُ رَبَابٌ حَائِرٌ ، لَا يُسْمِعُ الْآذَانَ رَعْدَا [5]
فَعِشْ بِجَدِّكَ لَا يَضِرْكَ – النَّوْكُ مَا لَاقَيْتَ جَدَّا [6]
وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ – النُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا

والبيت الاخير فيه ايجاز مُخِلّ ، لان ألفاظه لا تفي بمراد الشاعر . اذ يريد ان يقول : « ان العيش الناعم الرغد مع الحمق خير من العيش الخشن الشاق مع العقل »

---

(١) الفند : الجبل العظيم ، او القطعة منه طولًا . (ثهلان) اسم جبل

(٢) رهوة : اسم لعقبة في بلاد العرب (شمارخ) اصلها شماريخ . وهي جمع شِمْراخ والشمراخ رأس الجبل (لهددن) جواب (لو) في البيت قبله .

(٣) القناع ماتستر به المرأة وجهها (ريب الدهر) مايأتي به من المصائب

(٤) ولد : اولاد . ويجوز فيه ضم الواو وكسرها وفتحها مع سكون اللام . ويقال ايضاً وَلَد بفتح الواو واللام . وكلها يستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع

(٥) الرباب السحاب الابيض (حائر) اراد ان هذا السحاب ينتقل من جهة الى جهة دون ان يكون منه مطر ولا رعد . وقد شبهه بالحائر الذي لايدري كيف يصنع

(٦) الجد بفتح الجيم الحظ . واما بكسرها فهو الاجتهاد على العمل (النوك) بفتح النون ويجوز ضمها معناها الحمق

نخبة من معلقته

« تنبيه » - الرواة يختلفون في ترتيب ابيات هذه القصيدة ، وقد رتبنا ما اخترناه منها ترتيباً متسقاً ، فجعلنا الابيات منظمة الحوادث ، لتكون المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض .

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ . رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ ٱلثَّوَاءُ (١)

لَا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا ، فَأَبْكِي — ٱلْيَوْمَ دَلْهاً . وَمَا يُحِيرُ ٱلْبُكَاءُ (٢)

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدٌ ٱلنَّارَ — أَخِيرًا ، تُلْوِي بِهَا ٱلْعَلْيَاءُ (٣)

فَتَنَوَّرْتَ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى ، هَيْهَاتَ مِنْكَ ٱلصِّلَاءُ (٤)

أَوْقَدَتْهَا — بَيْنَ ٱلْعَقِيقِ فَشَخْصَيْنِ — بِعُودٍ ، كَمَا يَلُوحُ ٱلضِّيَاءُ (٥)

وَأَتَانَا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ وَٱلْأَنْبَاءِ — خَطْبٌ ، نُعْنَى بِهِ ، وَنُسَاءُ : (٦)

---

(١) آذنتنا : اعلمتنا ومصدره الايذان (البين) البعد (الثاوي) المقيم . والمثوى المقام ، وثوى اقام ، (الثواء) الاقامة (٢) عهدت : لقيت (دلها) ذاهل العقل . والدّله - بسكون اللام ويجوز فتحها - هو مصدر أُريد به هنا اسم الفاعل . والفعل منه دَلِه - من باب فرح - بمعنى تحير ودهش (يحير) يُرجع ويردّ . يقال : حار الشيء اي رجع . واحرت الشيء اي ارجعته (٣) بعينيك اي بمرأى منك (اوقدت) اضرمت واشعلت (تلوي) تشير (العلياء) البقعة المرتفعة (٤) تنوَّرت نظرت . والتنور هو النظر الى النار (خزازى) قال الزوزني : اسم لبقعة . وقال في القاموس والصحاح : خزازى جبل كانوا يوقدون عليه غداة الغارة وقد تقدمت تخطئتها في ذلك في الصفحة (٢٠٨) فراجعها (هيهات) مثلثة الاخر ، وهي اسم فعل ماض بمعنى بعد (الصلاء) مصدر صَلِيَ النار وصَلِيَ بها يصلى صُلياً وصِلاء ، اذا احترق بها او اصابه حرها . والمعنى الاخير هو المقصود (٥) العقيق وشخصان اسمان لموضعين .

(٦) الخطب الامر ، صغيرًا كان او كبيرًا . وهو هنا الامر العظيم (نعنى به) نُشغل به عن غيره . يقال عُنِيَ فلان بالامر ، اي اهمّه واشتغل به واصابته مشقة بسببه

أَنَّ إِخوانَنَا ٱلأَراقِمَ يَغلُونَ — عَلَينَا ، فِي قِيلِهِمْ إِحفَاءُ (١)

يَخلِطُونَ ٱلبَرِيَّ مِنَّا بِذِي ٱلذَّنبِ ، — وَلَا يَنفَعُ ٱلخَلِيَّ ٱلخَلَاءُ (٢)

أَجمَعُوا أَمرَهُمْ عِشَاءً ، فَلَمَّا أَصبَحُوا أَصبَحَتْ لَهُمْ ضَوضَاءُ (٣)

أَيُّهَا ٱلنَّاطِقُ ٱلمُرَقِّشُ عَنَّا عِندَ عَمرٍو [وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ ؟] (٤)

لَا تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِكَ ، إِنَّا قَبلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا ٱلأَعدَاءُ (٥)

فَبَقِينَا — عَلَى ٱلشَّنَاءَةِ — تَنمِينَا — جُدُودٌ ، وَعِزَّةٌ قَعسَاءُ (٦)

مَلِكٌ مُقسِطٌ ، وَأَفضَلُ مَنْ يَمشِي ، — وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيهِ ٱلثَّنَاءُ (٧)

---

(١) الاراقم هم حي من تغلب (يغلون علينا) يرتفعون علينا (القيل) القول (احفاء) مبالغة والحاح . يعني بذلك ما يشدد به بنو بكر من طلب ديات من مات منهم مع عمرو بن هند . وقد تقدمت القصة في الصفحة (٢٣٦) الى (٢٣٩)

(٢) الخلي اي الخلي عن الذنب وهو من لا ذنب له (الخلاء) البراءة . واراد به البراءة عن الذنب (٣) الضوضاء الجلبة وهي اختلاط الاصوات . واكثر ماتستعمل في الحرب . ومثله الضوضاة . والفعل ضوضى يضوضي . وهمزة الضوضاء ليست للتأنيث وانما هي منقلبة عن الياء لان اصلهُ ضوضاي ، قلبت الياء همزة كما قلبت في نحو اعياء وابقاء . وانما انث الضوضاء في قوله « اصبحت لهم ضوضاء » — مع انه مذكر — لانه ضمَّنه معنى الجلبة . والتضمين شائع في كلامهم

(٤) الناطق ، يريد به عمرو بن كلثوم حين انشاده قصيدته (المرقش) المزين كلامه ليجعل الباطل حقًّا والحق باطلًا (وهل لذاك بقاء) يريد ليس لقولك بقاء وثبات لانهُ باطل ، والباطل زاهق (٥) لا تخلنا لا تظننا (الغراة) الاسم من الاغراء وهو الحض على ايقاع العداوة . يقال اغرى بينهم العداوة ، اي القاها ليفسد بينهم (ما) زائدة للتأكيد (وشى) نمّ . والواشي النمّام — يقول : لا تظنَّ اننا نعبأ بافسادك واغرائك الملك بنا ، فقد وشى بنا الاعداء قبلك فلم يلتفت الى وشايتهم

(٦) الشناءة : البغضاء . ومثلها الشنآن (تنمينا) ترفعنا (قعساء) منيعة ثابتة والمعنى: فبقينا — مع بغض الناس لنا وعداوتهم — اعزاء اولي منعة (٧) مقسط عادل . واما القاسط فمعناه الجائر الظالم . يقال قسط ، اذا جار وظلم . واقسط ، اذا عدل . فالهمزة للازالة والسلب

مَلِكٌ أَضْرَعَ ٱلْبَرِيَّـةَ ، لَا — يُوجَـدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِـفَاءُ [١]

أَيَّمَا خُطَّـةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّوهَا — إِلَيْنَا ، تَمْشِي بِهَا ٱلْأَمْلَاءُ [٢]

لَا يُقِيمُ ٱلْعَزِيزُ بِٱلْبَلَدِ ٱلسَّهْلِ ، — وَلَا يَنْفَعُ ٱلذَّلِيلَ ٱلنَّجَـاءُ [٣]

لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلًا مِنْ حِـذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ ، وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ [٤]

أَيُّهَـا ٱلنَّاطِقُ ٱلْمُبَلِّـغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو [وَهَلْ لِذَاكَ ٱنْتِهَاءُ ؟] [٥]

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ آيَاتٌ — ثَلَاثٌ ، فِي كُلِّهِنَّ ٱلْقَضَاءُ : [٦]

آيَةٌ شَارِقُ ٱلشَّقِيقَةِ إِذْ جَاؤُوا — جَمِيعًـا ، لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ [٧]

حَوْلَ قَيْسٍ ، مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ قُـرَظِيٍّ ، كَأَنَّهُ عَبْلَاءُ [٨]

فَرَدَدْنَاهُمُ بِطَعْنٍ ، كَمَا يَخْرُجُ — مِنْ خُرْبَـةِ ٱلْمَزَادِ ٱلْمَاءُ [٩]

---

(١) اضرع : قهر وذلّل (كفاء) مساوٍ ونظير (٢) الخطة : الامر والطريقة (الأملاء) الجماعات ذوو الشرف والشارة . ومفردها مَلأٌ . وهم الاشراف والعِلْية

(٣) النجاء : الهرب (٤) الموائل طالب النجاة . وفعله واءل ، بمعنى طلب النجاة . ومثله وأل . ومنه الموئل هو الملجأ والمنجى والمعتصم

(٥) يريد : وهل لوشايتك — يا عمرو بن كلثوم لاسقاطنا لدى الملك — انتهاء . والكلام استفهامي اللفظ خبري الدلالة . اي ان للوشاية بنا حدًّا تنتهي اليه وذلك حيث يتضح الحق فيزهق الباطل (٦) آيات : علامات . ومفردها آية (في كلهن القضاء) اي لنا عنده علامات تقضي لنا لديه عليكم . وقد فسر هذه الآيات بالابيات الآتية

(٧) اي العلامة الاولى شارق الشقيقة . وهم قوم من شيبان جاؤُوا — وعليهم قيس ابن معديكرب ومعه جمع عظيم من اهل اليمن — يغيرون على ابل لعمرو بن هند ، فردتهم بنو يشكر — قوم الحارث بن حلزة — وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى شيء من ابل عمرو بن هند (٨) قيس : هو ابن معديكرب المتقدم (مستلئمين) لابسين الدروع (الكبش) السيد العظيم النبيل (قرظي) نسبة الى البلاد التي ينبت فيها القرظ وهي اليمن (عبلاء) صخرة (٩) الخربة : الثقب (المزاد) القربة ومثلها المزادة .

ثُمَّ حُجْرًا [أَعْنِي ٱبْنَ أُمِّ قَطَامٍ] وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ [(١)]

أَسَدٌ فِي ٱللِّقَاءِ، وَرْدٌ هَمُوسٌ، وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَّرَتْ غَبْرَاءُ [(٢)]

قَدْ جَبَهْنَاهُمُ بِطَعْنٍ، كَمَا تُنْهَزُ – فِي جَمَّةِ ٱلطَّوِيِّ ٱلدِّلَاءُ [(٣)]

إِوَفَعَلْنَا بِهِمْ، كَمَا عَلِمَ ٱللهُ، – وَمَا إِنْ لِلْمَائِنِينَ دِمَاءُ [(٤)]

وَأَتَيْنَاكُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلَاكٍ – كِرَامٍ أَسْلَابُهُمْ أَغْلَاءُ [(٥)]

وَفَكَكْنَا غُلَّ ٱمْرِىءِ ٱلْقَيْسِ عَنْهُ، بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَٱلْعَنَاءُ [(٦)]

---

(١) حجر هو حجر الكندي جد امرئ القيس صاحب المعلقة . ونصب حجرًا على انه مفعول لمحذوف والتقدير ثم رددنا حجرًا (فارسية) اي كتيبة سلاحها من صنع فارس (الخضراء) الكتيبة يعلوها سواد الحديد . وكثيرًا ما يذكرون الاخضر ويعنون به الاسود – وهذه هي الآية الثانية . وذلك انهم ردوا حجرًا ومن معه . وكان حجر قد غزا امرأ القيس بن المنذر ومعه جمع من كندة وكانت بكر – قوم الحارث بن حلزة – مع امرئ القيس ، فخرجت الى حجر فردته وقتلت جنوده .

(٢) اسد وما بعده من صفات حجر . ورفع على انه خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هو » (الورد) الجريء (الهموس) السيَّار بالليل ، والاسد الكسَّار لفريسته (ربيع) اي مخصب كالربيع (شمَّرت) وافت مشمّرة (الغبراء) السنة المجدبة القليلة المطر .

(٣) جبهناهم ضربنا جباههم (تنهز) تضرب وتدفع (الجمة) البئر الكثيرة الماء . واراد بها معظم الماء (الطوي) البئر (الدلاء) جمع دلو – والمعنى ضربنا جباههم بطعن شديد كما تضرب الدلو بماء البئر الغزير لتمتلئ (٤) المائنين الكاذبين . يقال مان يمين مينًا فهو مائن وَمَيون وميَّان ، اي كذب فهو كاذب (٥) اغلاء غالية – وذلك انه كان المنذر قد وجه في طلب بني حجر آكل المرار الكندي خيلًا من بني بكر فظفروا بهم وهم تسعة . فاتوا بهم المنذر فامر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذبحوا . وقد تقدمت هذه الواقعة في ترجمة امرئ القيس في الصفحة (٥٤ – ٥٧)

(٦) الغل القيد . ويعني بأمرئ القيس امرأ القيس بن المنذر وهو اخو عمرو بن هند وابوهما المنذر ، غير ان عمرًا قد نسب الى امه هند . وقد ينسب الى ابيه فيقال عمرو بن المنذر . وذلك ان غسان كانت قد اسرت امرأ القيس بن المنذر يوم قتل ابوه . فأغارت بنو بكر على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكًا من ملوك غسان واستنقذوا امرأ القيس –

وَأَقدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْذِرِ — كَرْهاً إِذْ لَا تُكَالُ الدِمَاءُ (١)

فَاتْرُكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعَاشِي . وَإِمَّا تَتَعَاشَوْا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ (٢)

أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ : أَنْ يَغْنَمَ — غَازِيهِمُ ، وَمِنَّا الْجَزَاءُ ؟ (٣)

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى إِيَادٍ ؟ كَمَا قِيلَ — لِطَسْمٍ : أَخُوكُمُ الْأَبَّاءُ (٤)

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى حَنِيفَةَ ؟ أَوْ مَا جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ (٥)

— وسيأتي توضيح ذلك فيما بعد — وهذه هي الآية الثالثة (١) اقدناه الضمير يعود الى رب غسان بعده . والضمير هنا عائد على متأخر لفظاً ورتبة . وليس هذا بجيد عند الجمهور . والمعنى اقدنا رب غسان — وهو ملكها — بالمنذر ، اي قتلناه به (اذ لا تكال الدماء) اي قتلناه حين كانت القتلى كثيرة لا تحصى ولا تكال دماؤها لكثرتها (٢) الطيخ الكبر والعظمة (التعاشي) التجاهل والتعامي . يريد التجاهل عن الحق والتعامي عن الاقرار به

(٣) اخذ في هذا البيت وما بعده يتهكم على عمرو بن كلثوم التغلبي ويعيره وقومه بامور سيذكرها (الجناح) الاثم — وذلك ان كندة غزت بني تغلب فقتلت فيهم وسبت واستاقت فلم يأخذوا من كندة بثأرهم . فهو يقول لهم : هل علينا ذنب هؤلاء الذين فعلوا بكم ما فعلوا

(٤) جرَّى اي ذنب (اياد) قبيلة لم يكن في نزار احسن منها وجوهاً ولا امدّ اجساماً ولا اشد امتناعاً . وكانوا لا يعطون الاتاوة احداً من الملوك . فأغاروا مرة على امرأة لكسرى فأخذوها وما معها . فبعث عليهم كسرى بالجيوش مرتين فهزمتهم اياد فيها . ثم بعث عليهم بجيش كثيف ففرَّقهم (طسم وجديس) قبيلتان . وكانت جديس قد كسرت الخراج على الملك فأخذ طسماً بذنب جديس . يقول يا بني تغلب هل تحملون علينا ذنوب غيرنا كما قيل لطسم اخوكم جديس فنحن نأخذكم بجريرته (الاباء) الشديد الاباء والامتناع . ويعني به جديساً (٥) حنيفة : اسم قبيلة (الغبراء) الارض . فابن حلزه يعرض عمرو بن هند على بني حنيفة حلفاء بني تغلب . لان شمر بن عمرو الحنفي كان قد قتل المنذر ابا عمرو بن هند غيلة . وذلك ان شمراً كانت امه غسانية . فأراد المنذر الشام لغزو غسان . فذهب شمر حتى اتى الحارث بن جبلة الغساني فقال لهُ : قد اتاك المنذر بما لا قِبَل لك به . فندب الحارث مئة من رجالهِ وجعلهم تحت لواء شمر ابن عمرو الحنفي . وقال لهُ : انطلق حتى تأتي المنذر فقل لهُ انَّا معطوك ما تريد وتنصرف عنَّا . فاذا رأيتم منهُ غرة فأقتلوه . فخرج شمر بمن معه وفعل ما امره به الحارث . فركن المنذر الى قولهِ . حتى اذا رأوا منه غفلة اغتاله شمر . وحمل باصحابه على عسكره فتفرقوا وانتهب القوم ما كان معهم .

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ ؟ أَمْ لَيْسَ — عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ ؟ (١)

ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ ٱلْغَلَّاقِ — لَا رَأْفَةٌ وَلَا إِبْقَاءُ : (٢)

مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلُولٌ — عَلَيْهِ ـ إِذَا أُصِيبَ ـ ٱلْعَفَاءُ (٣)

كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا ٱلْمُنْذِرُ : — هَلْ نَحْنُ لِٱبْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ (٤)

إِذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُورًا ، فَسَاقَتْهُمْ — إِلَيْكُمْ أُمْنِيَّةٌ أَشْرَاءُ (٥)

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُورًا ، وَلَكِنْ رَفَعَ ٱلْآلُ شَخْصَهُمْ وَٱلضَّحَاءُ (٦)

---

(١) انداء : جمع نَدَى ، والندى هو ما نزل من الرطوبة آخر الليل . واراد بها الذنوب والآثام لانها تصيب الجاني كما يصيب الندى الارض — وكانت بنو قضاعة غزت بني تغلب ففعلت بهم كما فعلت بنو كندة فلم يأخذوا بثارهم فعيّرهم بذلك

(٢) الغلّاق : هو صاحب هجائن النعمان بن المنذر . وكان تميمياً من بني حنظلة . وكان قد اغار على بني تغلب فقتل فيهم . فعيّرهم بذلك (٣) مطلول : ذاهب دمه هدرًا من غير دية ولا ثار . يقال : طُلّ دم فلان ، اي ذهب هدرًا (العفاء) الاندراس . وسيأتي توضيح هذا البيت مع البيت بعده (٤) رعاء : جمع راعٍ . يقول ان من قتله الغلاق ومن معه منكم يا بني تغلب قد ذهب دمه هدرًا كما ذهب دمكم يوم فتك فيكم عمرو بن هند يوم عصيتم امره — وذلك ان عمرو بن هند بعد ان قُتل المنذر ابوه يوم اراد غزو غسان — كما قدمنا — استعد عمرو للأخذ بثاره . فدعا بني تغلب الى ذلك فامتنعوا وقالوا : لا نطيع احدًا من ولد المنذر ابدًا . أيظنُّ ابن هند اننا لهُ رِعاءُ وخوَل ؟ فغضب عمرو بن هند . وجمع جموعاً كثيرة من العرب . وآلى ان لا يغزو قبل بني تغلب احدًا . فغزاهم فقتل منهم قوماً . ثم استعطفه من معهُ عليهم واستوهبوه جريرتهم ، فأمسك عن بقيتهم . ثم غزا الغسّانيين واستنقذ اخاه عمرو بن المنذر من الاسر كما ذكرنا ذلك من قبل . وقتل ملكاً منهم واخذ بنتاً لهُ يقال لها « ميسون »

(٥) تمنونهم ، الاصل : تتمنونهم . اي تتمنون لقاءهم اي لقاء عمرو بن هند ورجاله (اشراء) ذات اشرٍ اي بطر (٦) الآل : هو الذي تراه في اول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص (الضحاء) ارتفاع النهار — والمعنى لم يأتوكم على حين غفلة منكم بل كان الآل والضحاء يرفعان اشخاصهم اليكم فكنتم ترونهم من بعيد .

٨ الاعشى ميمون

توفي سنة (٦٢٩) م . وسنة (٧) هـ

هو: الاعشى بن قَيس بن جَندل بن شراحيل، وينتهي نسب شراحيل الى بكر بن وائل، وينتهي نسب وائل الى مَعَدّ بن عدنان وكان يُكَنّى ابا بصير. وكانوا يسمّونه «صَنّاجة العرب[1]» لجودة شعره، او لأنه كان يتغنّى به. ويقال لأبيه «قتيل الجوع» لأنه دخل غارًا يستظل فيهِ من الحر، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل، فسدّت فم الغار، فمات فيه جوعاً.

شيء من اخباره

كان قد مدح سَلامة ذا فائش الحِميريّ بقصيدته التي مطلعها:

أَلشّعرُ قَلّدْتُهُ سَلامَةَ ذَا فَائِشَ. وَٱلشَّيْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا

فلما أنشده هذا الشعر قال: «صدقت، الشيء حيثما جُعل»، وأعطاه مئةً من الابل، وكساه حُللاً، واعطاه كَرِشاً[2] مدبوغة مملوءة عنبرًا، وقال: «إيّاكَ ان تُخدَع عنها. فانصرف عنه حتى أتى الحِيرة فباعها بثلاث

---

(١) الصناجة: المراد به هنا المطرب. واصل معناه: صاحب الصَّنْج وهو آلة يضرب بها للطرب. وتاء الصناجة للمبالغة لا للتأنيث اذا وصف به المذكر. والصنّاج كالصنّاجة معنًى واستعمالًا (٢) الكَرِش – بفتح الكاف وكسر الراء – ويقال «الكِرْش» ايضًا – بكسر الكاف وسكون الراء – وهي لذي الخف والظلف وكل حيوان مجترّ بمنزلة المعدة للانسان. وهي مؤنثة وجمعها كروش.

مئة ناقة حمراء . فخاف ان يُنتهب ماله ، فاستجار بعلقمة بن عُلاثة العامري ، فقال له : « أُجيرك من الأسود والأحمر » فقال : « ومن الموت » قال : « لا » فأتى عامر بن الطُّفيل ، فقال له مثل مقالة علقمة . فقال له الاعشى : « ومن الموت » قال : « نعم » قال : « وكيف ؟ » قال : « ان مُتّ في جواري وَدَيْتُك[1] » فلما سمع علقمة جواب عامر قال : « لو علمت ان ذلك مراده لهان عليّ » وكان ذلك في أوان منافرة[2] عامر وعلقمة المشهورة . [ولهذه المنافرة قصة طويلة مذكورة في الجزء الخامس عشر من كتاب الاغاني] وكانت العرب تهاب ان تُنفّر احدهما على الآخر[3] .

ثم ان الأعشى ركب ناقته ونفّر عامراً وفضّله على علقمة بقصيدة سيأتي بعض ابياتها . فهدر علقمة دمه . وجعل على كل طريق رَصداً . فهجاه الاعشى ايضاً بقصيدة يقول فيها :

تَبِيتُونَ فِي ٱلْمَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ ... وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا[4]

وقد كذب في هجوه لعلقمة ، فإنه كان من اجواد العرب . وقد أسلم وحسُن اسلامه . ولما بلغ ذلك علقمة رفع يديهِ وقال : « لعنه الله . أنحن نفعل هذا بجاراتنا ؟ »

ثم ان الاعشى سافر ومعه دليل ، فأخطأ به الطريق ، فألقاه في ديار

---

(١) وديتك : دفعت دِيَتك الى اهلك (٢) المنافرة : المحاكمة في الحسب والنسب والمفاخرة فيها . وكانوا ينافرون الى الناس في ذلك ليقضوا لاحد المتنافرين على الآخر

(٣) تنفر : تفضل . يقال : نفّر فلاناً على فلان ، اي قضى لهُ بالغلبة عليه

(٤) غرثى : جائعة والرجل غَرثان (الخمائص) الضامرات البطون . ومفردها خميصة . يعني انهنّ ضامرات البطون من الجوع .

بني عامر بن صَعصَعة . فأَخذه رَهط علقمة بن عُلاثة ، فأتوه به . فقال : « الحمد لله الذي أمكنني منك » فقال الاعشى :

أَعَلْقَمَ ، قَدْ صَيَّرَتْنِي ٱلْأُمورُ إِلَيْكَ . وَمَا أَنتَ لِي مُنْقِصُ
فَهَبْ لِي نَفسِي — فَدَتْكَ ٱلنُّفُوسُ — وَلَا زِلتَ تَنْمُو وَلَا تَنقُصُ

فقال قوم علقمة : « اقتُلْه وأَرِحْنا والعرب من شرِّ لسانه » فقال علقمة : « إذن تُطلَبوا بدمه ، ولا ينغسل عني ماقاله ، ولا يُعرَف فضلي عند القدرة » وقيل : بل دخل علقمة على أُمه وقال لها : « لقد أمكنني الله من هذا الاعمى الخبيث » قالت : « فما تراك فاعلاً به ؟ » قال : « سأقتله شرَّ قِتْلة » فقالت : « يا بُنَيّ ، لقد كنت ارجوك لقومك عامّة ، واني اليوم لأرجوك الاّ لنفسك خاصة . وانما الرأي ان تكسوه وتحمله وتُسَيِّره الى بلاده ، فإنَّه لايمحو عنك ما قاله الاّ هو » ففعل ما أَمرته به ، وحلَّ وِثاقه وألقى عليه حُلَّة ، وحمله على ناقة ، وأحسن عطاءه . وقال له : « انجُ حيث شئت » وأخرج معه من بني كلاب من يُبلغه مأمنه . فجعل بعد ذلك يمدحه . ومن ذلك قوله فيه :

عَلْقَمَ ، يَاخَيرَ بَنِي عَامِرٍ لِلضَّيْفِ وَٱلصَّاحِبِ وَٱلزَّائِرِ
وَٱلضَّاحِكِ ٱلسِّنِّ عَلَى هَمِّهِ ، وَٱلْغَافِرِ ٱلْعَثْرَةِ لِلْعَاثِرِ [1]

ومن حديثه انه كان لابي المُحَلِّق شرفٌ ، وكان قدأتلف ماله . وبقي

---

(١) العثرة : الزلة . واراد بها الذنب .

المحلّق [١] وثلاث اخوات له . ولم يَترُكْ لهم الاّ ناقةواحدة وحُلّتي بُرُود [٢] جيدة كان يسدُّ بها الحقوق [٣] . فأقبل الأعشى من بعضُ أسفاره يريد منزله باليمامة . فنزل الماء الذي به المحلّق . فقَراه اهل الماء [٤] فأَحسنوا قِراه [٥] . فأقبلت عَمّة المحلّق ، فقالت له : « يابن اخي ، هذا الاعشى قد نزل بمائنا ، وقد قَراه اهل الماء . والعرب ترعم أنه لم يمدح قوماً الاّ رفعهم ، ولم يَهْجُ قوماً الاّ وضعهم . فانظرْ ما اقول لك : احتَلْ في زِقٍّ من خمر من عند بعض التجّار ، فأَرسلْ اليه بهذه الناقة والزق وبردَتي ابيك . فوالله لئن اعتلج [٦] الكَبِد والسَّنام [٧] والخمر في جوفه ونظر الى عِطفَيهِ [٨] في البُردَتين ، ليقولنّ فيك شعرًا يرفعك به » قال : « ما أَملكُ غير هذه الناقة وانا اتوَقّع رِسْلها [٩] » فأقبل يدخل ويخرج ، ويَهُمُّ ولا يفعل . فكلّما دخل على عمته حضّته . حتى دخل عليها فقال : « قد ارتحلَ الرجل ومضى » قالت : « الآن والله أحسنُ ما كان القِرى : تُتْبِعه ذلك مع مولى ابيك [وكان لابيه مولى اسود شيخ] فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله اياه ، وأنك لما وردت الماء فعلمت أنه به كرهت ان

---

(١) المحلّق : رجل من ولد بكر بن كلاب من بني عامر . سُمّي المحلق لان فرسه عضّته في خده فتركت به اثرًا على شكل الحلقة (٢) الحلة – بضم الحاء – الثوب الجديد ، ولا يكون الّا ذا ثوبين . وقال ابن الاعرابي : « يقال للإزار والرداء حُلّة ، ولكل واحد منها على انفراد حُلّة . وقال ابو البقاء في الكليات : «الحلة هي الثوب الساتر لجميع البدن» والجمع « حُلَل » – (البرود) جمع بُرْد وهو ثوب مخطّط . ويجمع ايضاً على « أبرُد وأبراد » والواحدة بُرْدة » (٣) الحقوق : جمع حق ، وهو ما يجب اداؤه . والمراد بالحقوق هنا ما يجب القيام به نحو الضيوف . فكان يستعين المحلق بالناقة والحلّتين على ذلك
(٤) اي اضافوه (٥) اي احسنوا ضيافته (٦) اعتلج اي تضارب (٧) السنام : ما يعلو من ظهر البعير (٨) عطفيه : جانبيه من يمين وشمال (٩) رسلها : لبنها .

يفوتك قِراه . فان هذا هو أحسنُ لموقعه عنده » فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعض التجار ، فكلّمه ان يُقرِضه ثمن زِقٍّ خمر ، وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه . فوجّه بالناقة والخمر والبُردين مع مولى ابيه . فخرج يَتبعه . فكلما مرّ بماء قِيلَ : ارتحل امس عنه . حتى صار الى منزل الاعشى في « منفوحة » باليمامة . فوجد عنده عدّةً من الفتيان قد غدّاهم بغير لحم وصبَّ لهم فضيخاً[1] . فهم يشربون منه اذ قُرِع الباب ، فقال : « انظروا : من هذا ؟ » فخرجوا فاذا رسول المحلّق يقول : كذا وكذا . فدخلوا عليه وقالوا : هذا رسول المحلّق الكلابيّ اتاك بكَيْت وكيت . فقال : « وَيْحكُمْ اعرابيٌّ ، والذي ارسل اليّ لا قدْرَ له . والله لَئن أعتلج الكبد والسّنام والخمر في جوفي لأقولَنّ فيه شعراً لم اقل قطُّ مثله » ثم اذن للرسول فدخل ، وأناخ الجَزور[2] بالباب ، ووضع الزقّ والبُردين بين يديه . فقال له : « أقرِه السلام ، وقل له : وَصَلَتْك رَحِم . سيأتيك ثناؤنا » وقام الفتيان الى الجَزور فنحروها وشقّوا خاصرتها عن كبدها وجِلْدَها عن سَنامها ، ثم جاؤوا بهما . فأقبلوا يشوون ، وصبّوا الخمر فشربوه . وأكل معهم الاعشى وشرب ، ولبس البردين ، ونظر الى عِطْفَيْهِ فيهما فأنشأ يقول :

أَرِقْتُ ، وَمَا هـذَا ٱلسُّهَادُ ٱلْمُؤَرِّقُ ؟
وَمَا بِيَ مِنْ سُـقْمٍ ، وَمَا بِيَ مَعْشَقُ[3]

---

(١) الفضيخ : اللبن يخلط بالماء حتى يغلبه فيرقّ . وشراب العنب . وشراب يُتخذ من التمر . والمعنى الاول هو المراد على ما نظن (٢) الجزور ما يُهيّأ للذبح من الابل
(٣) ارقت ذهب نومي . والأرَق ذهاب النوم ، وهو من باب علم (السهاد) ذهاب النوم او قلّته . وهو من باب علم ايضاً (معشق) عِشق

ومنها :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ ، تُحَرَّقُ[1]

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا .
وَبَاتَ عَلَى ٱلنَّارِ ٱلنَّدَى وَٱلْمُحَلِّقُ[2]

الى ان يقول :

أَبَا مِسْمَعٍ ، سَارَ ٱلَّذِي قَدْ فَعَلْتُمُ ،
فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِهِ ، ثُمَّ أَعْرَقُوا[3]

بِهِ تُعْقَدُ ٱلْأَجْمَالُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ،
وَتُعْقَدُ أَطْرَافُ ٱلْحِبَالِ ، وَتُطْلَقُ[4]

فسار الشعر وذاع في العرب . فما أتت على المحلّق سنة ، حتى زوّج اخواته الثلاث ، كلّ واحدة على مئة ناقة . فأيسر[5] وشرُف .

وقد رُويت هذه القصة على غير هذا الوجه . وفي احدى الروايات أنه أنشد الشعر بسوق عُكاظ وقد اجتمعت عليه الناس ، وأنه حضّ القوم على زواج بناته ، وأنه ناداه بقوله : « مرحباً بسيدي وسيد قومه » وفي هذه الرواية : ان العوانس[6] كُنّ بناته لا أخواته ، وكنّ ثمانية . والله اعلم .

---

(١) اليفاع المرتفع من الارض (٢) تشب توقد (المقرور) من اصابه البرد (يصطليانها) يستدفئان بحرّها (الندى) الكرم (٣) انجد اتى نجداً (اعرق) اتى العراق . والمراد ساروا به في البلدان (٤) الاجمال جمع جمل (٥) ايسر استغنى (٦) العوانس جمع عانس وهي من طال مكثها في دار اهلها بعد ادراكها فلم تتزوّج —

ومن أخباره انه هجا رجلاً من بني كلب ، فقال :

بَنُو ٱلشَّهْرِ ٱلحَرامِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ ، وَلَسْتَ مِنَ ٱلْكِرامِ : بَنِي عُبَيْدِ
وَلا مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ ، وَلا مِنْ رَهْطِ حارِثَةَ بْنِ زَيْدِ

فقال له : « لا ابا لك . انا أشرفُ من هؤلاء كلهم » وقد سَبَّهُ الناس بهجاء الأعشى اياه .

ثم اتفق أن الكلبيّ أغار على قوم قد بات فيهم الأعشى . فأسر منهم نفراً . وكان الأعشى احد المأسورين وهو لا يعرفه . ثم جاء الكلبيّ حتى نزل على شُرَيح بن السموأل بن عادياء الغسّاني [صاحب تَيْماء] بحصنه [الأبلق الفرد] فمرّ شُرَيح بالأعشى فناداه الأعشى ، وأنشده قصيدة قد ارتجلها يستجير به . فجاء شُريح الى الكلبي وقال له : « هَبْ لي هذا الأسير المضرور » فقال : هوَ لك » فأطلقه . وقال له أقِمْ عندي حتى أكرمك وأحبوك » فقال له الأعشى : « إنّ من تمام صنيعك أن تعطيني ناقة نجيبة (١) وتخلّيَني الساعة » فأعطاه ناقة فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيّ أنّ الذي وهب لِشُرَيح هو الأعشى . فأرسل الى شريح : أنِ ابعث اليّ الاسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوه وأعطيه . فقال : « قد مضى » فأرسل الكلبي في اثره فلم يلحقه .

والقصيدة التي ارتجلها الاعشى مستجيراً بشريح هي قوله :

– يقال منه : عنست الجارية تعنس – من باب نصر – فهي عانس . واعنست تُعنس فهي مُعنس

(١) نجيبة : كريمة

شُرَيحُ ، لا تَتْرُكَنِّي بَعْدَ ما عَلِقَتْ
— حِبالَكَ ٱليومَ بعدَ ٱلقِدِّ — أظفاري[١]

قَدْ جُلْتُ ما بَيْنَ بانِقيا إلى عَدَنٍ ،
وَطالَ في ٱلعُجْمِ تَردادي وَتَسياري[٢]

فَكانَ أكْرَمَهُمْ عهدًا ، وَأَوْثَقَهُمْ مَجدًا ، أَبوكَ ، بِعُرفٍ غيرِ إنكارِ
كَٱلغيثِ ما ٱستَمطَروهُ جادَ وابِلُهُ ، وَفي ٱلشَّدائِدِ كَٱلمُستَأسِدِ ٱلضّاري[٣]
كُنْ كَٱلسَّمَوْأَلِ ، إذْ طافَ ٱلهُمامُ بِهِ في جَحفَلٍ ، كَهَزيعِ ٱللَّيلِ ، جَرّارِ[٤]
إذْ سامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ . فَقالَ لَهُ : قُلْ ما تَشاءُ ، فَإنّي سامِعٌ ، حارِ[٥]
فَقالَ : غَدْرٌ وَثُكْلٌ أنتَ بَينَهُما ، فَٱختَرْ [وما فيهِما حَظٌّ لِمُختارِ][٦]
فَشَكَّ غيرَ طَويلٍ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : أَقتُلْ أَسيرَكَ ، إنّي مانِعٌ جاري[٧]

---

(١) حبالك : بالقرب منك . فهي بالياء ، هذا الذي جنحنا اليه فان المعنى عليه . والرواية الشائعة بالباء . ولعلها من تحريف النُساخ . او المعنى بعد ماعلقت اظفاري بحبالك (القد) بكسر القاف قيد من جلد يُقيد به الاسير (اظفاري) فاعل علقت (٢) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة (عدن) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن (٣) الغيث المطر (استمطروه) طلبوا مطره (جاد وابله) هطل مطره بكثرة . والوابل : المطر الغزير كما ان الطلّ هو المطر الضعيف (٤) الهمام : السيد الشجاع ، واراد به الحارث بن ظالم وسيأتي خبره مع السموأل ابي شريح بعد تتمة القصيدة (الجحفل) الجيش العظيم (هزيع الليل) القطعة منه (جرّار) كثير كأنه يجرُّ وراءه جيوشًا (٥) سامه الامر : كلّفه اياه . واكثر مايستعمل في الشر والعذاب (الخطة) الامر والطريقة (الخسف) الذل والقهر وتحميل الانسان مايكره — والمعنى : طلب منه احد امرين كلاهما فيه ما يكرهه ولا يرضاه (حار) اي ياحارث . فهو منادى مرخّم بحذف آخره (٦) غدر اراد انه امّا ان يغدر بالوديعة التي عنده ويسلمه اياها ، وامّا ان يقتل ولده فيكون بذلك ثاكلاً اي فاقد الولد (٧) شكّ ، اي شك في امره وتحير فيما يفعل .

وَسَوْفَ يُعقِبُنِيهِ — إنْ ظَفِرْتَ بِهِ —
رَبٌّ كَرِيمٌ ، وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ [1]

لَا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدَرًا ،
وَحَافِظَاتٌ — إذَا أُسْتُودِعْنَ — أَسْرَارِي

فَأُخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْ لَا يُسَبَّ بِهَا .
وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِخَتَّارِ [2]

وكان امرؤ القيس بن حُجر قد أودع عند السموأل دروعه واهله . [كما قدمنا ذلك في ترجمته . فراجع الصفحة « ٧٤ »] فأتاه الحارث بن ظالم المريّ ليأخذها منه عَنوة فتحصَّن السموأل . فأخذ الحارث ابناً للسموأل [وكان في الصيد] فقال : « إمّا سلّمت اليّ الأدراع ، وأمّا قتلت ابنك » فأبى ان يُسلّمها اليه . فضرب الحارث وَسَط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين . فقال السموأل في ذلك :

بَنَى لِي عَادِيَا حُصْنًا حَصِينًا ، وَبِئْرًا كُلَّمَا شِئْتُ أُسْتَقَيْتُ [3]

---

(١) يعقبنيه اي يأتيني بعقب غيره (بيض) اي نساء بيض (٢) الختّار الغادر اقبح الغدر . يقال منه ختر — من باب ضرب — ومنه قولهم « ان تمدّ لنا شبرًا من غدر الّا مددنا اليك باعًا من خَتر » (٣) عاديا : هو ابو السموأل . واصله « عادياء » بالهمز (حصنا) اراد به الابلق الفرد المشهور الذي يقول فيه السموأل :

هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره يعزّ على من رامه ويطول

وفيه بئر كانوا يستقون منها . ولم يزل الحصن الى الآن وفيه البئر . وهو معروف حتى الساعة بحصن السموأل . وقد شاهده وشاهد البئر صديقنا الطبيب مصطفى السعادة . وحدثنا عنه وعن غيره من الآثار حديثًا طويلًا جميلًا لا محل له هنا . وهو مشرف على تيماء بين —

وَأَوصَى عَادِيَا يوماً : بِأَنْ لَا تُهَدِّمْ يَا سَمَوْأَلُ مَا بَنَيْتُ
وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ ٱلْكِنْدِيِّ ، إِنِّي — إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ — وَفَيْتُ (١)

وبالسموأل هذا يُضرَب المثل بالوفاء . فيقال « أوفى من السَّموأل »

وفاة الاعشى ميمون

كان الأَعشى جاهلياً قديماً ، وقد أدرك الاسلام في آخر عمره . وسمع بالنبي [صلى الله عليه وسلم] وما يأمر به من الاخلاق الفاضلة ، والشمائل الزاهرة ، وما ينهى عنه من المنكر والشرك ، وغير ذلك من نقائص الامور . فقال قصيدة يمدحه فيها ، ورحل اليهِ يريد لقاءه والاسلام على يدَيهِ . فبلغ قُرَيشاً خبره وما قد عزمه (٢) [وكان اذ ذاك صُلح الحُدَيبِيَّة (٣) بين الرسول ومشركي مكة] فرصدوا الاعشى على طريقه [وكان فيهم ابو سُفيان بن حَرب] وقالوا : «هذا صنَّاجة العرب ، وما مدح احداً قطُّ الاَّ رفع قدره » فلما ورد عليهم قالوا : « اين اردتَ

— الحجاز و بادية الشأم على رابية من تراب . قال في معجم البلدان : وفيه آثار أبنية من لَبِن لا تدل على ما يحكى عنه من العظمة والحصانة وهو خراب . امَّا الطبيب المذكور فقد اكَّد لنا فساد ما زعمه صاحب المعجم . والله اعلم . وانما قيل له « الابلق » لانه كان في بنائه بياض وحمرة . وكان اول من بناه عادياء ابو السموأل .

(١) اراد بالكندي امرأ القيس لانه من بني كندة .

(٢) يقال عزم الامرَ وعزم عليه . فهو يتعدى بنفسه وبالواسطة

(٣) الحديبية : بئر بينها و بين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل . ومن الناس من يشدد ياءها المفتوحة ومنهم من يفتحها بلا تشديد . وقد رُوِيَ عن الشافعي انه قال : الصواب تشديدها . وخطَّأ من نصَّ على تخفيفها . وقيل : كلٌّ صواب . وصلح الحديبية معروف في السيرة النبوية فلا حاجة الى شرحه

يا أَبا بصير ؟ » قال : « اردتُ صاحبكم هذا [يعني النبيّ عليه السلام] لِأسلمَ » قالوا : « يَنهاكَ عن خِلال ويحرّمها عليك ، وكلُّها لك موافق » قال : « وما هي ؟ » قالوا : « الزنا والقمار والرّبا والخمر » قال : « أمّا الزنا فلقد تركني ، وما تركته ، وأَما القمار فلعلّي إنْ لَقيته أن أُصيب منه عِوَضاً من القمار ، وأمّا الرّبا فما دِنتُ ولا أدَّنت ، وأمّا الخمرُ ـ أوَّه ـ[1] فأرجع الى صُبابةٍ قد بقيتْ في المِهْراس[2] فأشربها » فقال ابوسفيان : « هل لك في خيرٍ ممّا هممْتَ به ؟ » فقال : « وماهو ؟ » قال : « نحن الآن وهوفي هُدْنة ، فتأْخذ مئةً من الابل ، وترجع الى بلدك سَنَتَك هذه ، وتنظر ما يصير اليه امرُنا : فان ظهرنا عليه[3] كنتَ قد اخذت خَلَفاً ، وان ظهر علينا أَتيتَه » فقال : « ما أَكره ذلك » فقال ابو سفيان : « يامعشرَ قُرَيش ، هذا الأَعشى ، والله لَئِنْ اتى محمدًا واتّبعة لَيَضْرِمَنَّ عليكم نيران العرب بشعره ، فأجمعوا له مئةً من الابل ففعلوا » فأخذها الأَعشى ، وانطلق الى بلده . فلما كان قريباً من بلده [منفوحة[4]] باليمامة رمى به بعيره فقتله .

وكان موته سنة (٦٢٩) لميلاد المسيح ، وسنة (٧) لهجرة الرسول صلوات الله عليهما .

الكلام على شعره

هو احد الأَعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . وقد تقدّم على سائرهم . وليس ذلك بِمُجْمَعٍ عليه لا فيه ولا في غيره . وقد سُئِلَ ابو

---

(١) اوّهْ : كلمة تقال عند الشكاية ، فهي مثل آهِ (٢) المهراس : الهاون . واراد به وعاء كان فيهِ بقية خمر له (٣) اي غلبناه (٤) منفوحة : قرية باليمامة مشهورة طيبة الهواء كان يسكنها الاعشى وبها قبره بفناء منزله .

يُونُس النحوي: مَن أَشعرُ الناس ؟ فقال : « لاأُومِيءُ الى رجل بعينه ، ولكني اقول : امرؤ القيس اذا غَضِب ، والنابغة اذا رَهِب ، وزُهير اذا رَغِب ، والأعشى اذا طَرِب » قال ابو عُبَيْدَة : « مَن قدَّم الاعشى يحتجُّ بكثرة طواله الجياد وتصرُّفِهِ فِي المديح والهجاء وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغيره » ويقال : هو اوَّل من سأَل بشعره وأُنتجع به اقاصي البلاد . وقدم على كِسْرى مرة فسمعه ينشد قوله :

أَرِقْتُ ، وَمَا هٰـذَا ٱلسُّهَادُ ٱلْمُؤَرِّقُ ؟
وَمَا بِيَ مِنْ سُـقْمٍ ، وَمَا بِيَ مَعْشَقُ (١)

فقال: « ما يقول هذا العربي ؟ » ففسَّروا لهُ قوله . فقال : « إِذَنْ هو لِصّ »

وقد رُوِيَ عنه أنهُ قال : « اتيتُ النُّعمان فأنشدته :

إِلَيْكَ — أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ — كَانَ كَلَالُهَا ،
تَرُوحُ مَعَ ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ ، وَتَغْتَـدِي (٢)

حتى اتيت على آخرها . فخرج الى ظهر النَّجَف ، فرآه قد اعتمَّ بنباته من بين اصفر واحمر واخضر ، واذا فيه من هذه الشقائق مالم يُرَ مثلُهُ . فقال: « ما أحسنَ هذا ، ! أحْمُوه » فسُمِّيَ شقائق النعمان .

وكان ابو عمرو بن العَلاء يعظِّم محلَّ الاعشى ويقول : « شاعرٌ مجيد

---

(١) ارقت : ذهب نومي (السهاد) فقد النوم (٢) كلالها : — بفتح الكاف — تعبها واعياؤُها (الليل البهيم) الشديد الظلمة .

كثير الاعاريض والأُفتنان ، واذا سُئِل عنه وعن لَبيد قال : « لبيد رجل صالح ، والأَعشى رجل شاعر » ورُوِيَ أنّ عبد الملك قال لمؤدِّب اولاده : « أَدِّبهم بشعر الاعشى ، فانه ـ قاتله الله ـ ما كان أعذب بحره ، وأَصلبَ صخره » وقال المفضَّل : « من زعم أنّ احدًا اشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر » وقال ابو عُبَيدة : « الاعشى رابع الشعراء المتقدمين : امرئ القيس والنابغة وزُهير » وقال يحيي بن الجون العبدي راوية بشّار : نحن حَاكَةُ[1] الشعر في الجاهلية والاسلام ، ونحن أعلمُ الناس به : أعشى بني قيس استاذ الشعراء في الجاهلية ، وجرير الخطَفي استاذهم في الاسلام »

ورُوِيَ عن الشعبي أنّه قال : « الأَعشى اغزل الناس في بيت ، وأخنث الناس في بيت ، وأشجع الناس في بيت . فأَمَّا أغزل بيت فقوله :

غَرّاءُ ، فَرعَاءُ ، مَصقُولٌ عَوارِضُهَا . تَمشِي ٱلهُوَيْنا ، كَمَا يَمشِي ٱلوَجِي ٱلوَحِلُ[2]

وأَمَّا أخنث بيت فقوله :

قَالَتْ هُرَيْرَةُ – لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا – : وَيْلِي عَلَيْكَ ، وَوَيْلِي مِنكَ ، يَا رَجُلُ

وأما أشجع بيت فقوله :

قَالُوا : ٱلطِّرَادُ ، فَقُلنَا : تِلكَ عَادَتُنَا ، أَوْ تَنزِلُونَ ، فَإنَّا مَعشَرٌ نُزُلُ

---

(١) حاكة جمع حائك . فجعل الشعر ثوبًا هم حاكوه ، فهم يعرفون كل ما اشتمل عليه

(٢) سيأتي تفسير هذا البيت والبيتين بعده في معلقته

حدَّثَ يحيي بن مَتّي راوية الاعشى [وكان نصرانياً عَبادياً مُعَمَّرا]
قال : «كان الاعشى قَدَرِياً [١] ، وكان لَبيد مُثبِتاً . قال لبيد :

مَنْ هَداهُ سُبلَ الْخَيرِ اهْتَدَى   نَاعِمَ الْبَالِ ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

وقال الاعشى :

إِسْتَأْثَرَ اللهُ بِالْوَفَاءِ — وَبِالْعَدْلِ ، وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا [٢]

قال : «وقد أَخذ الأعشى مذهبه هذا من العباديّين نصارى الحِيرة : كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوه ذلك »

وكان الاعشى فحلًا من فحول الشعراء . وكانت العرب لاتعدُّ الشاعر فحلاً حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره . فلم يعدُّوا امرأ القيس فحلاً حتى قال :

وَاللهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ .   وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ [٣]

وكانوا لايعدُّون النابغة فحلاً حتى قال :

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي .   وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ [٤]

---

(١) القدرية قوم يقولون ان كل انسان خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله . والمثبتة يعتقدون عكس ذلك . وفي اهل الاسلام من قال بالاول وفيهم من قال بالثاني . والحق بيّن واضح . وليس هنا مقام تقريره (٢) استأثر بالوفاء والعدل : خصَّ بهما نفسه . فهو يفي للعامل بجزاء عمله ان خيرًا وان شرًّا ، وجعل المرء حرًّا باعماله فان اساء كانت الملامة عليه . هذا معنى البيت (٣) الحقيبة : مايحمل من المتاع على الفرس خلف الراكب . وخريطة يعلّقها المسافر في الرحل للزاد (الرحل) للجمل كالسرج للفرس . والمعنى : ان البرَّ هو خير زاد يدَّخره الانسان (٤) ابو قابوس : كنية النعمان ابن المنذر اللَّخمي ملك العرب . والقابوس في اللغة هو الرجل الجميل الوجه الحسن اللون (الزأر والزئير) صوت الاسد .

وكانوا لايعدّون زُهيرًا فحلاً حتى قال :

وَمَهمَا تَكُنْ عِندَ امْرِيءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
— وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ — تُعْلَمِ [١]

وكانوا لايعدّون الأعشى فحلاً حتى قال :

قَلَّدْتُكَ الشِّعْرَ يَا سَلَامَةُ ذَا فَائِشَ . وَالشَّيْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا

ومن شعره [يهجو عَلقمة بن عُلاثة الذي تقدم ذكره] قوله :

عَلْقَمَ ، مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ   النَّاقِضِ الْأَوْتَارِ ، وَالْوَاتِرِ [٢]

إِنْ تَسُدِ الْحُوصَ فَلَمْ تَعْدُهُمْ .   وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ [٣]

سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً .   وَكَابِرًا سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ [٤]

ومن شعره قوله يفتخر بيوم ذي قار [٥] [وكان يوماً للعرب

---

(١) تقدم تفسيره في الصفحة (١٦٢)   (٢) الاوتار الاحقاد . ومفردها وتر (الواتر) اراد الواتر قوسه ، اي المعلّق عليها وترها ، فهو بعد ان ترك الاحقاد تهيأ للشر دفاعاً عن شرفه لانك لم تترك حقدك كما ترك هو حقده   (٣) لم تعدُهم اي لم تتجاوزهم

(٤) رويَ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ربما حدّث اصحابه وربما تركهم يتحدّثون ويصغي اليهم ويتبسم ، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وايام العرب اذ سمع حسّان ابن ثابت ينشد هجاء الاعشى لعلقمة ابن علاثة ، فقال الرسول عليه السلام « كفَّ عن ذكره يا حسان ، فان ابا سفيان لما شعّث مني عند هرقل — اي غضَّ مني — ردّ عليه علقمة » فقال حسان « بأبي انت وأمي يا رسول الله . من نالتْك يده — اي معروفه — وجب علينا شكره » وذكر قصة ابي سفيان مع هرقل مذكورة في البخاري الشريف في باب « كيف كان بدء الوحي » فليرجع اليها من شاء فهي قصة جميلة .

(٥) يوم ذي قار

ذو قار : اسم ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة . وسبب هذه الواقعة ان كسرى —

على الفرس] :

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا
فِي يَوْمِ ذِي قَارَ ، مَا أَخْطَاهُمُ ٱلشَّرَفُ

لَمَّا أَمَالُوا إِلَى ٱلنُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ
مِلْنَا بِبِيضٍ ، فَظَلَّ ٱلْهَامُ تُقْتَطَفُ (١)

وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ ،
حَتَّى تَوَلَّوْا ، وَكَادَ ٱلْيَوْمُ يَنْتَصِفُ

– كان قد غضب على النعمان ففر وأودع سلاحه واهله عند هانئ بن قبيصة . ثم احتال كسرى على النعمان واظهر له العفو عنه ، فجاء اليه فحبسه بساباط . فقيل انه مات بالطاعون . وقيل بل طرحهُ بين ارجل الفيَلة فقتلته . ثم طلب كسرى من هانئ وديعة النعمان فلم يُعطها ، وقال انها امانة يجب عليَّ حفظها . فجهز كسرى جيشاً كثيفاً من الفرس والعرب الموالين له . فعلمت بنو بكر بذلك فجمعوا الجموع وعبّأوا الجيش تعبئة الفرس . فلما التقى الجيشان قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي فقال « يا معشر بكر ، ان النشاب الذي مع هؤلاء الاعاجم يفرّقكم ، فعاجلوهم اللقاء وابدأوهم بالشدة » وقال هانئ بن مسعود « يا قوم مَهْلك معذور ، خير من منجى مغرور . ان الجزع لا يردُّ القدر ، وان الصبر من اسباب الظفر . والمنية خير من الدنية . واستقبال الموت خير من استدباره . فالجد الجد ، فما من الموت بُدّ » ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع حبال الهوادج فسقط النساء الى الارض ، وقال : « ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته » ثم التحم القتال وتجالد القوم بالسيوف الى ان دارت الدائرة على الفرس فولوا منهزمين . وقد قَتل يزيدُ بن حارثة اليشكري الهامرزَ قائد عسكر كسرى مبارزة . ثم قُتل بعد ذلك

وهذه الواقعة كانت بعد ان بُعث النبي عليه الصلاة والسلام . وكانت بعد مُنصرَفه من وقعة بدر الكبرى . وقد أخبر بها اصحابه فقال « اليوم اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا » وقيل : بل كانت يوم ولادة الرسول عليه السلام . والله اعلم .

(١) البيض هي السيوف (الهام) الرؤوس . ومفردها هامة

امّا قصيدته التي مدح بها النبي [صلى الله عليه وسلم] فمطلعها :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ؟ وَبِتَّ كَمَا بَاتَ ٱلسَّلِيمُ مُسَهَّدَا (١)

وَلٰكِنَّ هُوَ ٱلدَّهْرُ [ٱلَّذِي هُوَ خَائِنٌ] إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا

ومنها يقول في ناقته ، وتخلّص بذلك الى المدح :

فَآلَيْتُ لَا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ، وَلَا مِنْ حَفًى ، حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا (٢)

مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ٱبْنِ هَاشِمٍ تُرَاحِي ، وَتَلْقَيْ مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا (٣)

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ . وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي ٱلْبِلَادِ ، وَأَنْجَدَا (٤)

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ ، وَنَائِلٌ . وَلَيْسَ عَطَاءُ ٱلْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا (٥)

أَجِدَّكَ ، لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ ٱلْإِلٰهِ ، حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا (٦) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ ٱلتُّقَى ،
وَلَاقَيْتَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

---

(١) ليلة ارمد اي ليلة رجل ارمد ، وهو من اصاب عينيه رمد (السليم) الملدوغ . سُميَ سليماً تفاؤلاً بان يسلم (المسهد) من شرد عنه النوم .

(٢) الكلالة التعب (الحفى) ان يرقّ حافر الفرس ونحوه وخفُّ البعير من كثرة المشي (٣) اناخ ناقته ابركها (تراحي) تجدي الراحة (الفواضل) النعم (يدا) نعمة وفضلاً . تقول لفلان عندي يدٌ ، اي معروف . فهي مجاز من اطلاق السبب وارادة المسبب ، لان اليد سبب النعمة والمعروف (٤) اغار وانجد اي اتى الغور والنجد . والغور المنخفض من الارض ، والنجد المرتفع منها – والمعنى ان ذكره سار في اطراف الارض . فكنى بالغور والنجد عن ذلك – ولا يقال اغار بهذا المعنى وانما يقال غار . وانما قال « اغار » لتشا كل انجد (٥) ما تغب ما تتأخر ، بل هي متواصلة (٦) اجدك اي ابجدٍ منك . وهو منصوب على نزع الخافض . وقيل المعنى اجدًا منك . فهو حينئذٍ منصوب على انه مفعول مطلق . وهذه الكلمة لا يُتكلم بها الاّ مضافة (الوصاة) الوصية .

نَدِمتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ،
فَتَرْصِدَ لِلأَمرِ ٱلَّذِي كَانَ أَرْصَدَا (١)

وللأعشى أخبار كثيرة وشعر غزير . وقد اكتفينا من ذلك بما قدّمناه . وسترى في معلقته من الشعر ما يُدهِش ويعجب .

معلقته وسبب نظمها

معلّقته قد جمعت رقّة التشبيب ، ورونق التشبيه ، وروائع الفخر ، وشديد الحماسة ، في لفظ جَزْل ، وأسلوب رائع . وهي قصيدة غرّاء ، تملك القلوب ، وتسترقّ الأسماع ، وتستأسِر الفُهوم .

وذكروا في سبب نظمها أنّ رجلاً من بني كعب بن سعد بن مالك ، يقال له ضُبَيع ، قتل رجلاً من بني همّام ، يقال له زاهر بن سيّار ، من بني ذُهل بن شيبان . فهمّ قومه بقتل ضُبَيع . فنهاهم يَزيدُ بن مُسهِر ان يقتلوه به [وكان ضُبيع مطروقا (٢) ضعيف العقل] وقال : « اقتلوا به سعيداً من بني سعد بن مالك » وحضّ بني سيّار على ذلك وأمرهم به . وبلغ بني قيس [وهم عشيرة سعيد] ما قاله يزيد بن مُسهر . فقال الأعشى هذه القصيدة يأمره ان يدع بني سيّار وبني كعب ، ولا يُعين بني سيّار . فإنّه إن أعانهم اعانت بنو قيس بني كعب .

---

(١) ترصد اي تترصد وتترقب (٢) المطروق هو الذي به هَوَج وحمق وخفة وجنون .

نخبة من معلقته

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ ، إِنَّ ٱلرَّكْبَ مُرْتَحِلُ .
وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ؟ (١)

غَرَّاءُ ، فَرْعَاءُ ، مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا .
تَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا ، كَمَا يَمْشِي ٱلْوَجِي ٱلْوَحِلُ (٢)

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرُّ ٱلسَّحَابَةِ : لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ (٣)

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ ٱلْجِيرَانُ طَلْعَتَهَا . ... وَلَا تَرَاهَا لِسِرِّ ٱلْجَارِ تَخْتَتِلُ (٤)

يَكَادُ يَصْرَعُهَا — لَوْلَا تَشَدُّدُهَا ، ... إِذَا تَقُومُ إِلَى جَارَاتِهَا — ٱلْكَسَلُ (٥)

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ ٱلْمِسْكُ أَصْوِرَةً ، ... وَٱلزَّنْبَقُ ٱلْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ (٦)

---

(١) هريرة : اسم امرأة (الركب) اصحاب الابل في السفر . ولا يقال لمن يسافر على غير الابل ركب (٢) غراء : بيضاء حسنة (فرعاء) طويلة الفرع وهو الشعر التام (العوارض) جمع عارض . وهو صفحة العنق ، وجانب الوجه . واراد بالعوارض الاسنان التي بعد الثنايا ، و ثنايا ليست من العوارض . يريد انها نقية الاسنان فكأنها مصقولة (تمشي الهوينا) تمشي على مهل . الوجي : الذي رق قدمه من المشي بلا نعلين . فهو بطيء المشي (الوحل) الذي وقع في الوحل ، او توحلت رجلاه في الطين . فهو يمشي على مهل خشية ان تزلق رجلاه — يصفها بالتؤدة والتأني في مشيها فهي ليست بخرقاء

(٣) لا ريث : لا بطء . اي هي تمشي مشياً في سكينة (٤) تختتل : تتسمع . يقال : اختتل الرجل ، اي تسمع لسر القوم . فهو يرفع عنها عار التجسس

(٥) يصرعها : يطرحها و يسقطها (الكسل) اراد به الفتور (٦) يضوع المسك : تفوح رائحته منتشرة (الاصورة) جمع صُوار — بضم الصاد وكسرها — وهو نافجة المسك اي وعاؤه . والمعنى : انها اذا قامت تفوح منها رائحة المسك كما تفوح من اوعيته ونوافجه . وقد نصب « اصورة » على المفعولية المطلقة ليضوع (الورد) الاحمر وانما —

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ،
خَضْرَاءُ ، جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ (١)

يُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ ،
مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ ٱلنَّبْتِ ، مُكْتَهِلُ (٢)

يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ ،
وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا ٱلْأُصُلُ (٣)

قَالَتْ هُرَيْرَةُ ـ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ـ :
وَيْلِي عَلَيْكَ ، وَوَيْلِي مِنْكَ ، يَا رَجُلُ

إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا ، إِنَّا كَذَٰلِكَ مَا : نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ (٤)

• • • • • •

– وصف الزنبق بذلك لان اجوده ما كان يضرب لونه الى الحمرة (الاردان) اطراف الاكمام . ومفرده رُدْن (شمل) شامل اي ان رائحة الزنبق من اردانها عامة شاملة

(١) الحزن : ما غلظ من الارض . ورياض الحَزْن احسن الرياض (جاد عليها) امطرها (مسبل) مطر مسبل سائل (هطل) هاطل يروّي ارضها

(٢) الكوكب : هو ماطال من النبات (شَرِق) زاه زاهر (مؤزر بعميم النبت) قد اتخذ مـا يحيط به من النبات ازاراً لهُ ولبوساً (مكتهل) قد تمَّ طوله وظهرت ازهاره ، فهو قد انتهى في اتمام . يقال : اكتهل الرجل اذا صار كهلاً ، ولا يكون كذلك الّا بعد ان يتمّ شبابـه وتنتهي غلواؤه ، اي حدة شبابه

(٣) النشر : الرائحة الطيبة (دنا) قرب (الأُصل) جمع اصيل . وهو الوقت بعد العصر الى المغرب (٤) اما ترينا : ان ترينا . و « ما » المدغمة في « ان » زائدة (حفاة) جمع حافٍ (انا كذلك) الاصل : فانا كذلك . فالفاء مقدرة وتقديرهـا واجب لان جواب الشرط جملة اسمية (ما) زائدة للتوكيد وليست بنافية لان النفي لا معنى له هنا – والمعنى : انا على هذه الحال نحفى تارة وننتعل – اي نلبس النعال – تارة اخرى . يريد ان الانسان تارة يعتوره الفقر ، وآونة يصيبه الغنى

وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ ٱلتُّرْسِ مُوحِشَةٍ ، لِلْجِنِّ بِٱللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ (١)

جَاوَزْتُهَا بِطَلِيحٍ ، جَسْرَةٍ ، سُرُحٍ ،
فِي مِرْفَقَيْهَا — إِذَا ٱسْتَعْرَضْتَهَا — فَتَلُ (٢)

. . . . . .

بَلْ هَلْ تَرَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ ، كَأَنَّمَا ٱلْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ شُعَلُ (٣)

لَهُ رِدَافٌ ، وَجَوْزٌ مُفْأَمٌ عَمِلٌ ، مُنَطَّقٌ بِسِجَالِ ٱلْمَاءِ ، مُتَّصِلُ (٤)

لَمْ يُلْهِنِي ٱللَّهْوُ عَنْهُ ، حِينَ أَرْقُبُهُ ، وَلَا ٱللَّذَاذَةُ فِي كَأْسٍ ، وَلَا شُغُلُ (٥)

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنَا — وَقَدْ ثَمِلُوا — :
شِيمُوا . وَكَيْفَ يَشِيمُ ٱلشَّارِبُ ٱلثَّمِلُ ؟ (٦)

. . . . . .

---

(١) وبلدة : الواو واو رب فلذا جرّت ما بعدها (الترس) يريد انها صلبة قوية يصعب المرور فيها (حافاتها) نواحيها (زجل) صوت (٢) جاوزتها : قطعتها (الطليح) الناقة الكالّة المتعبة من كثرة ما سارت (جسرة) طويلة عظيمة تجسر على الهول والمشقة (سُرُح) سهلة السير (استعرضتها) اتيتها من جانبها عَرْضاً (الفتل) اندماج في مرفق الناقة . وقيل تباعدُ المرفقين عن الزَّور (٣) العارض : السحاب المعترض في الأُفق (ارمقه) انظر اليه (شعل) جمع شعلة (٤) له رداف : له توابع اي سحائب تردفه وتتبعه . والرداف جمع رديف وهو في الاصل الراكب خلف الراكب (جوز) وسط . وجوز كل شيء وسطه (مفأم) ممتلئ . واراد انه ممتلئ من الماء (عمل) دائم البرق . يقال : عَمِل البرق ، اي دام (منطق بسجال الماء) قد احاطت به فصارت لهُ كالنطاق الذي يشد به الوسط و (السجال) جمع سَجْل وهو الدلو العظيمة . ولا يقال للدلو سجل اذا كانت فارغة (متصل) اي متصل بعضه ببعض . يريد ان هذا السحاب ليس بمتفرق (٥) ارقبه : انظر اليه وارصده . يريد انه لم يُلهِهِ عن النظر الى هذا السحاب — الذي من صفته ما تقدم — شيء (٦) الشرب : القوم المجتمعون على الشراب . والمفرد شارب (درنا) اسم لمكان باليمامة (ثملوا) سكروا (شيموا) انظروا الى ضوء هذا البرق . والشيم : النظر الى البرق خاصة (الثمل) السكران

أَبلِغ يَزِيدَ بَنِي شَيبانَ مَأْلُكَةً: أَبَا ثُبَيتٍ، أَمَا تَنفَكُّ تَأْتَكِلُ؟ (١)

أَلَستَ مُنتَهِياً عَن نَحتِ أَثلَتِنَا؟ وَلَستَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الإِبِلُ: (٢)

كَنَاطِحٍ صَخرَةً يَوماً لِيُوهِنَهَا، فَلَم يَضِرهَا، وَأَوهَى قَرنَهُ الوَعِلُ (٣)

تُغرِي بِنَا رَهطَ مَسعُودٍ وَإِخوَتِهِ يَومَ اللِّقَاءِ، فَتُردِي ثُمَّ تَعتَزِلُ (٤)

لَا تَقعُدَنَّ، وَقَد أَكَّلتَهَا حَطَباً، تَعُوذُ مِن شَرِّهَا يَوماً، وَتَبتَهِلُ (٥)

سَائِل بَنِي أَسَدٍ عَنَّا، فَقَد عَلِمُوا
أَن سَوفَ يَأتِيكَ مِن أَنبَائِنَا شَكَلُ (٦)

---

(١) يزيد : اراد به يزيد بن مسهر الذي تقدم خبره في الكلام على سبب معلقة الاعشى (المألكة) بفتح اللام وضمها : الرساله . ومثلها المألك والألوك والألوكه . وجمع الاولين مآلك ، وجمع الآخرين ألائك (ابا ثبيت) منادى بحذف حرف النداء وابو ثبيت كنية يزيد بن مسهر المذكور (تأتكل) اي تأكل لحومنا بمعنى تغتابنا ، او ما تنفك يأكل بعضك بعضاً من الغيظ والحقد (٢) عن نحت اثلتنا ، اي عن ذمنا وتنقصنا . يقال : نحت فلان اثلة فلان ، اذا تنقصه وذمه . والاثلة هي الاصل ، وواحدة الأثل وهي شجرة الطرفاء . ونحت الاثلة كناية عما تقدم (ضائرها) ضاراً بها . يقال : ضاره الامر يضيره ، بمعنى ضرَّ بهِ (اطت) حنت . والاطيط والحنين : صوت الابل . يريد انك لا تضرنا ابداً مها تنقصتنا لان الناس يعرفون حقيقتنا فلا يأبهون لذمك (٣) كناطح صخرة ، اي انك بعملك هذا كوعل ينطح صخرة ليوهنها ، اي ليضعفها (اوهى) اضعف (الوعل) حيوان شبيه بالغزال . ويقال : هو تيس الجبل . ويجوز فيه سكون العين وكسرها . ومؤنثه وعلة (٤) تغري بنا رهط مسعود ، اي تحرشهم علينا وتدفعهم لمناوأتنا وقد تقدمت قصة ذلك في الكلام على معلقته و (الرهط) قوم الرجل وعشيرته . ويطلق ايضاً – في غير هذا المقام – على عدد يجمع من الثلاثة الى العشرة ليس فيهم امرأة (تردي) تهلك . اي تهلك الناس بسبب اغرائك ثم تعتزل وتبتعد كأنك لم تجنِ جناية ولم يكن لك يدٌ في هذا الافساد (٥) اكلتها : الضمير يعود الى الحرب المعروفة من المقام . ومعنى اكلتها : اشعلتها واوقدتها (تبتهل) تدعو الى الله ان يصرف شرها

(٦) سائل : اسأل (الانباء) الاخبار . ومفردها نبأ (شكل) اختلاف ، والمعنى: سيأتيك عنا اخبار مختلفة وانباء مشكلة يصعب عليك حلها

وَٱسأَلْ قُشَيْرًا وَعَبْدَ ٱللهِ كُلَّهُمُ ، وَٱسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ ؟(١)

إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ ، حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ ، فَهُمْ جَارُوا ، وَهُمْ جَهِلُوا(٢)

لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ ، فَنَمْتَثِلُ(٣)

لَئِنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ لاَ تُلْفِنَا عَنْ دِمَاءِ ٱلْقَوْمِ نَنْتَقِلُ(٤)

لاَ تَنْتَهُونَ [وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ
كَٱلطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ ٱلزَّيْتُ وَٱلْفُتُلُ](٥)

حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ ٱلْقَوْمِ مُرْتَفِقًا ، يَدْفَعُ بِٱلرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ(٦)

أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ ، أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ ٱلْخَطِّ مُعْتَدِلُ(٧)

---

(١) اسأل قشيراً وعبدالله وربيعة: اي اسأل بني قشير وبني عبدالله وبني ربيعة (كيف نفتعل) كيف نفعل افعالاً لم نُسبق اليها . يقال: افتعل الامرُ اي ابتدعه ابتداعاً غير مسبوق الى مثله

(٢) جاروا: ظلموا (٣) عميد القوم: سيدهم وسندهم الذي يعمدون اليه في حاجاتهم ويعتمدون عليه في امورهم. واراد به سعيداً من بني سعد بن مالك ، وهو الذي حض يزيدُ بن مسهر القومَ على قتله بزاهر بن سيَّار ، كما تقدمت القصة في الكلام على معلقته (صددًا) مقاربًا . واراد مقاربًا لجناية قتل صاحبكم (نمتثل) نقتل الاماثل منكم فنقتصُّ منها . والاماثل من الناس: خيارهم (٤) منيت: ابْتُليت (عن غب معركة) بعد عاقبتها ونهايتها . وغبُّ كل شيءٍ: عاقبته (لا تلفنا) لا تجدنا (٥) الشطط الخروج عن منهج الصواب والعدل (كالطعن) الكاف هنا اسم بمعنى مثل مبنية على الفتح وهي مرفوعة المحل على انها فاعل ينهى . اي لا ينهى ذوي الشطط عن شططهم مثل الطعن الواسع الذي تغيب في جرحه الفتيلة ويذهب الزيت و (الفتل) جمع فتيلة . والبيت من شواهد النحاة على اسمية الكاف (٦) مرتفقًا: متكئًا على مرفقه . يقال ارتفق الرجل ، اي طلب رفيقًا ، واستعان ، واتكأ على مرفق يده . ومنه قولهم: «على سوُددك ارتفق» اي استند . يقال لمن يتكل على غيره ولا يتكل على نفسه (الراح) الاكف . وهي جمع راحة بمعنى الكف (العجل) جمع عجول وهي المرأة الواله ، والثكلى – والمعنى: لا تنتهون عن غيكم حتى نترك ساداتكم في ساحة الحرب تدفع عنهم النساء الوُلَّه او الثكالى لئلَّا يُداسوا بعد القتل (٧) الهندواني: السيف من صنع الهند (اقصده) قتله . يقال: اقصده –

كَلَّا ، زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لا نُقَاتِلُكُمْ . إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ ـ يَا قَوْمَنَا ـ قُتُلُ [١]

نَحْنُ ٱلْفَوَارِسُ يَوْمَ ٱلْحِنْوِ ضَاحِيَةً جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ ، لا مِيلٌ ، وَلا عُزُلُ [٢]

قَالُوا : ٱلطِّرَادُ ، فَقُلْنَا : تِلْكَ عَادَتُنَا ،

أَوْ تَنْزِلُونَ ، فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ [٣]

— السهم ، اي اصابه فقتله مكانه . واقصد السهمُ ، اي اصاب فقتل مكانه . فهو لازم متعدّ
(الذابل) الرمح (الخط) مرفأ السفن بالبحرين واليه تُنسب الرماح الخَطية لانهُ مكان مبيعها لا مكان منبتها ، لانها كانت تُجلب من الهند وتقوَّم في الخط وتُباع على العرب

(١) قُتُل قاتلون . وهي جمع قَتول . مبالغة من القتل . ويكون القُتُل — في غير هذا المقام — جمع قتيل ايضاً (٢) يوم الحنو هو يوم ذي قار الذي تقدم خبره في الصفحة (٢٦٢) ويقال ان الواقعة كانت في حنو ذي قار . والحنو يبعد ليلة عن ذي قار (ضاحية) علانية ، او بارزة (جنبي) منصوب على الظرفية المكانية لضاحية (فطيمة) في الاصل تصغير فاطمة . وهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد . واراد به موضعاً بالبحرين مسمّى بهذا الاسم كانت فيه وقعة بين بني شيبان و بني ضُبيعة وتغلب ، ظفر فيها بنو تغلب على بني شيبان . فهو يقول نحن الفوارس في هذين اليومين : يوم الحنو ، ويوم فطيمة ، بارزين ظاهرين لا يحجبنا حاجب ولا يسترنا شيء عن عيون الاعداء (الميل) جمع اميل ، وهو الجبان الذي لا يثبت في الحرب ، او الذي يميل عن السرج ولا يثبت على الخيل (العزل) جمع اعزل ، وهو من لاسلاح معه . واصلها « عزْل » بضم العين وسكون الزاي . وضمت الزاي هنا اتباعاً للعين (٣) قالوا الطراد ، ويروى قالوا الطعان . والمعنى ان طاردتم بالرماح فتلك عادتنا . وان نزلتم للمجالدة بالسيوف نزلنا . ويروى « ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا » (نزل) نازلون ، وهو جمع نازل . وهو جمع عزيز نادر يحفظ ولا يقاس عليه .

٩ النابغة الذبياني

توفي سنة (٦٠٤) م . وسنة (١٨) قبل الهجرة

هو: زياد بن معاوية بن ضِباب، وينتهي نسبه الى سعد بن ذبيان ثم الى مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان . وكنيته ابو أمامة . وانما لُقِّب بالنابغة لنبوغه في الشعر وبلوغه منه مبلغ الفحول . وقيل: بل لغير ذلك . وما ذكرناه هو اقرب الى الحق .

وهو احد الأشراف الذين غضّ الشعر منهم (١) . وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

وكان يُضرَب له قُبَّة من أَدَم (٢) بسوق عكاظ . فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها . فكان اوّل من انشده في احد المواسم الاعشى، ثم حسَّان ابن ثابت، ثم أنشدته الشعراء . ثم أتته الخنساء اخت صخر، فأنشدته قصيدة . منها قولها في اخيها صخر :

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ، كَأَنَّـهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ (٣)

فقال والله، لولا أنَّ ابا بصير [يعني الأعشى] أنشدني آنفاً لقُلْتُ: إنك اشعر الجن والانس» فقام اليه حسَّان، فقال: « والله، لأَنا اشعر منك ومن ابيك » فقال له النابغة: « يا ابنَ اخي، إنك لا تُحسن ان تقول:

---

(١) اي تنقَّصهم ووضع من قدرهم (٢) الادم: الجلد (٣) تأتم اي تقتدي (الهداة) جمع هادٍ (العلم) الجبل .

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي،
وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[1]

فخنس حسّان لقوله[2].

ما جرى للنابغة مع النعمان بن المنذر

كان النابغة كبيراً عند النُّعمان بن المنذر . وكان من نُدمائه واهل أُنسه . وكان مقدّماً لديه على كل من يتقرب منه . فكثر ماله، ووفرت نعمته لذلك . حتى انه لم يكن يأكل الاّ في آنية الذهب والفضة من عطاياه وعطايا ابيه وجده، ولا يستعمل غير ذلك .

غير أَنَّ الوشاية والحسد كالنار تصيب الخشب فتلتهمه ٱلتهاماً . فقد غضب النعمان على النابغة بوشاية المنخَّل بن عُبَيد اليشكري .

وذلك : ان النابغة والمنخَّل كانا جالسين عند النعمان [وكان النعمان دمياً ابرش[3] قبيح المنظر . وكان المنخَّل من اجمل العرب وكان يُرمى بالمتجرّدة زوجة النعمان] فقال النعمان للنابغة: « ياابا أُمامة صِفِ المتجرّدة في شعرك » فقال قصيدته التي وصفها فيها [وسيأتي ذكر نبذة منها] وقد وصف فيها كل اعضائها حتى ما يُستقبح ذكره . وكان المنخَّل فاسقاً، وكان النابغة عفيفاً تقياً . فلحقت المنخَّلَ من ذلك غيرةٌ . فقال للنعمان : « ما يستطيع ان يقول هذا الشعر الاّ من جرَّب » فوقر ذلك في نفس النعمان . فخافه النابغة فهرب الى ملوك غسّان بالشام .

---

(١) المنتأى : الموضع النائي البعيد (٢) إي تنحّى وتأخر وانقبض (٣) الدميم : بالدال المهملة : القبيح المنظر (الابرش) الابرص .

فلما صار النابغة الى غسَّان ، نزل على عمرو بن الحارث الاصغر بن الحارث الأعرج[١] بن الحارث الاكبر . فمدحه ومدح اخاه النعمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات . وملك اخوه النعمان ، فصار معه .

وكان في اثناء ذلك يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر اليه ، ويتبرأ مما وشى به المنخَّل . فقال في ذلك قصائد هي قلائد العِقيان[٢] . وكانت هي اشعر شعره .

ثمَّ اتى الى النعمان بعد هربه منه . وقد سُئِل عمرو بن العلاء ، فقيل له : « أمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه ، ام لغير ذلك ؟ » فقال : « لا ، لَعَمْرُ الله ، لا لمخافته فعل . إنْ كان لآمِناً من ان يوجِّه اليه جيشاً . وما كانت عشيرته لِتُسْلِمَه لِاوَّل وَهْلة . ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره[٣] .

وقد حدَّث حسَّان بن ثابت أنه قدم على النعمان بن المنذر وقد امتدحه . فأمر له بجائزة سَنيَّة . وبقي ببابه الى ان قدم النابغة بعد هربه من النعمان ، وهو في جوار رجلين من فَزارة كان بينهما وبين النعمان خاصَّة ، فضرب عليهما قُبَّة أدمَ[٤] . ولم يشعر بأن النابغة معهما . وقد دسَّ النابغة قَيْنَةً[٥] لتغنِّي النعمان بشعره :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ .
أَقْوَتْ ، وَطَالَ عَلَيْهَا سالِفُ الْأَبَدِ[٦]

---

(١) ام الحارث الاعرج هي مارية بنت ظالم . وهي ذات القرطين اللذين يُضرب بهما المثل . فيقال لما كان غالي الثمن « هو اغلى من قرطيْ مارية » (٢) القلائد جمع قِلادة وهي ما يُجعل في العنق من الحليّ (العِقيان) الذهب الخالص (٣) العصافير : ابل نجائب كرائم كانت للنعمان بن المنذر . والجمل العصفوري هو ذو السنامين (٤) الادم هو الجلد (٥) القينة هي المغنية (٦) سيأتي تفسيره في معلقته .

فلما سمع الشعر قال : « أُقسم بالله إِنه لَشعرُ النابغة » وسأَل عنه فأُخبر أَنه مع الفَزاريّين . فخرج اليه فعارضه الفزاريان ، وقالا له : « أَبيتَ اللّعن . لاتثريب [1] . قد أَجرْناه والعفو أَجمل » فأَمَّنه واُستنشده أَشعاره .

قال حسان : « فحسدته على ثلاث ، لا ادري على أيتهنّ كنت له أشدّ حسدًا : على إِدناء النعمان له بعد المباعدة ، ومسامرته له وإِصغائهِ اليه ؟ ام على جودة شعره ؟ ام على مئة بعيرٍ من عصافيره أَمرَ له بها ؟ »

وقيل : ان السبب في رجوعه الى النعمان أَنه بلغه مرضه وأَنه لا يُرجى ، فأَقلقه ذلك ، ولم يملك الصبر على البعد عنه مع عِلّته . فصار اليه ، وألفاه محموماً على سريره يُنقل مابين الغَمْر وقصور الحيرة [2] . فقال لحاجبه [عِصام بن شَهْبَرة] [3] :

أَلَمْ أُقسِمْ عَلَيكَ ، لَتُخْبِرَنِّي : أَمَحْمُولٌ عَلَى ٱلنَّعْشِ ٱلْهُمَامُ ؟ [4]
فَإِنِّي لاَ أَلُومُكَ فِي دُخُولِي . وَلٰكِنْ ، مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ ؟ [5]

---

(١) اي لاحرج ولا ملامة (٢) الغمر في الاصل هو الماء الكثير المغرق واراد به موضعاً بعينه (٣) عصام هذا هو الذي قال فيه الشاعر

نفسُ عصامٍ سوَّدت عصاما وعلَّمته الكرَّ والاقداما

وفي المثل « كن عصاميـاً ، ولا تكن عظامياً » . اي أُشرُف بنفسك كعصام ، لا بآبائك الذين صاروا عظاماً (٤) النعش – كما انه يُطلق على سرير الميت – يُطلق على مركب شبه الهودج ، وهو المراد هنا . قال ابو عبيدة « كانت ملوك العرب اذا مرض احدهم حملته الرجال على اكتافها يتعاقبونه . فيكون كذلك على اكتاف الرجال . لانه عندهم اوطأ له من الارض » ومعنى اوطأ له من الارض ان ذلك يكون اسهل له واكثر راحةً مما لو وضع على الارض (الهمام) الملك العظيم الهمة . ويُطلق ايضاً على السيد الشجاع السخي (٥) اي لاالومك على عدم دخولي لاني محجوب عنه . ولكن اخبرني عمّا وراءك من حقيقة امر الملك . وقوله « ماوراءك ياعصام » جرى مثلًا في الاستخبار

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ ٱلنَّاسِ ، وَٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ[١]
وَنُمْسِكْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبِّ ٱلظَّهْرِ ، لَيْسَ لَهُ سَنَامُ[٢]

موت النابغة

قالوا : نبغ النابغة بالشعر بعد ما احتنك[٣] . وهلك قبل ان يُهتِر[٤] . ولم أرَ من ذكر ما بلغ من العمر . غير أنهم قالوا : قد اسنّ وكبر وتوفي في السنة التي قُتل فيها النعمان بن المنذر . وكانت وفاته سنة (٦٠٤) لميلاد المسيح عليه السلام . وسنة (١٨) قبل الهجرة .

الكلام على شعره

هو احد فحول[٥] شعراء الجاهلية ، ومن اعيانهم المذكورين . ويقال : انه كان احسن الناس ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام ، واجزلهم

---

(١) ابو قابوس كنية النعمان بن المنذر . وقابوس ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة لانه معرب كاووس . كذا قالوا . والذي نراه انه عربي مأخوذ من القبس وهو الشعلة من النار . والقابوس لغةً ، هو الرجل الجميل الوجه الحسن اللون . ونرى ان منعه من الصرف للعلمية وشبه العجمة (ربيع الناس) عيشهم المخصب . يريد انه كان ربيع في الخصب لمجتديه لكثرة فضله وعطائه (الشهر الحرام) يريد انه موضع أَمْنٍ فلا يُوصل الى من اجاره كما لا يُوصل في الشهر الحرام الى احد (٢) الذناب عقب كل شيء ومؤخره . وخيط يُشدُّ بِهِ ذنب البعير لئلا يخطر بذنبه فيلطخ راكبه . وهذا المعنى هو المراد هنا ، لانه شبه العيش بجملٍ اجبّ الظهر اي مقطوعه بمعنى انه لاسنام لهُ . فهو يقول اننا بعده سنكون في ضيقٍ من العيش ، كمن يمسك بذناب بعير لا سنام لهُ . وذلك ان البعير اذا قُطع سنامه او اكله الرحْل لا ينمو . فكأنه كان لعيشهم بمنزلة السنام للبعير ، فاذا ذهب سنامه لم يُرجَ منهُ خير (٣) اي طعن في السن (٤) اي يفقد عقله . يقال : « اهتر الرجل » اذا فقد عقله ، فهو « مهتَر » بفتح التاء ، وذلك شاذ ، والقياس « مُهتِر » بكسرها (٥) اطّلع على ما يقصدون بالشاعر الفحل في الصفحة (٢٦١)

بيتاً . كان شعره كلاماً ليس فيه تكلّف . وقد عدّه الجُمَحي في الطبقة الأُولى بعد امريء القيس . وكان لا ينسج كلامه الاّ على مِنوال الفصاحة ، ولا يخيطه الا بخِياط[1] البلاغة . فشعره متين السبك ، جيد الحبك ، صافي الديباجة ، واضح المعاني . وقد شهد له عمر بن الخطاب وابو الاسود الدُّؤَلي وحمَّاد الراوية والأَخطل وجميع صاغة الشعر[2] . ويكفيه انه كانت تُضرَب له القبة في سوق عكاظ لتعرض عليه الشعراء اشعارها .

روى الشعبي ان عمر بن الخطاب قال : من اشعر الناس ؟ قالوا : انت اعلم يا امير المؤمنين . قال من الذي يقول :

الاَّ سُلَيْمَانَ ، إِذْ قَالَ ٱلْإِلَٰهُ لَهُ : قُمْ فِي ٱلْبَرِيَّةِ ، فَٱحْدُدْهَا عَنِ ٱلْفَنَدِ[3]
وَخَيِّسِ ٱلْجِنَّ ، إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِٱلصُّفَّاحِ وَٱلْعَمَدِ

قالوا : هو النابغة . فقال : فمن الذي يقول :

حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً . وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ[4]
وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ . أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ ؟

قالوا : هو النابغة . قال فمن الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقاً ثِيَابِي ، عَلَى وَجَلٍ ، تُظَنُّ بِيَ ٱلظُّنُونُ[5]

قالوا : هو النابغة . قال : فهو اشعر العرب .

---

(١) الخِياط – بكسر الخاء – هو الابرة التي يخاط بها (٢) صاغة جمع صائغ
(٣) سياتي تفسير البيتين في معلقته (٤) سياتي تفسيرهما
(٥) الخَلَق من الثياب هو البالي (الوجل) الخوف .

وقام رجل الى ابن عباس ، فقال : ايُّ الناس اشعر ؟ فقال ابن عباس : أَخْبِرْهُ يا ابا الأسود[١] . قال : الذي يقول :

فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ، وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

ورُوِيَ عن الأَصمعي انهُ قال : « سألت بشَّارًا الاعمى[٢] : مَنْ أَشعرُ الناس ؟ فقال : « اختلف الناس في ذلك ، فأجمع اهل البصرة على امريء القيس وطرَفة بن العبد ، واجمعَ اهل الكوفة على بِشر بن ابي حازم والأعشى الهمداني ، واجمعَ اهل الحجاز على النابغة وزُهير ، واجمع اهل الشام على جَرير والفرزدق والأَخطل »

ورُوِيَ عنهُ ايضاً انهُ قال : « اوَّل ماتكلَّم به النابغة من الشعر أنّه حضر مع عمه عند رجل [وكان عمهُ يشاهد بهِ الناس ، ويخاف ان يكون عيِيًّا] فوضع الرجل كأساً في يده ، وقال :

تَطِيبُ كُؤُوسُنَا ، لَوْلَا قَذَاهَا . وَيَحْتَمِلُ ٱلْجَلِيسُ عَلَى أَذَاهَا[٣]

فقال النابغة ، وقد حميَ لذلك :

قَذَاهَا أَنَّ شارِبَهَا بَخِيلٌ ، يُحَاسِبُ نَفْسَهُ : بِكَمِ ٱشْتَرَاهَا

قالوا : وكان النابغة يُقْوِي[٤] في شعره [وكان مهيباً لا يستطيع احدٌ ان يقول له : أقويت] فقدم المدينة فأنشد الناس قصيدة له كان

---

(١) هو ابو الاسود الدؤلي (٢) هو بشار بن برْد (٣) القذى هو ما يسقط في الشراب فيؤذيه . ويقال ايضاً لما يصيب العين فيؤذيها

(٤) الإقواء هو مخالفة القوافي برفع قافية وجرّ أخرى كما سترى في البيتين .

قد أقوى فيها . فما تجاسر احد ان ينبهه الى ذلك . فأتوه بقينة ، فغنت بهذين البيتين منها امامه :

سَقَطَ ٱلنَّصِيفُ ـ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ـ فَتَنَاوَلَتْهُ ، وَٱتَّقَتْنَا بِٱلْيَدِ [1]

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ ، كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ ، يَكَادُ مِنَ ٱللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

فمدّت القينة صوتها بلفظ «اليدِ» فصارت الكسرة ياءً ، ومدّت «يعقدُ» فصارت الضمة واوًا . فتنبه . ولم يَعُدْ الى الإقواء . وغيّر الشطر الاخير ، وجعله : «عَنَمٌ على أغصانهِ لم يُعقَدِ» وقد قال : «دخلت «يَثرِب» [2] وفي شعري بعض العاهة ، فخرجتُ منها وانا اشعر الناس»

ومن غُرَر شعره قصيدته التي يصف بها «المتجرّدة» وقد تقدم خبر ذلك . ومطلعها :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ [3] رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ ؟ عَجْلَانَ ، ذَا زَادٍ ، وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

زَعَمَ ٱلْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا . وَبِذَاكَ تَنْعَابُ ٱلْغُرَابِ ٱلْأَسْوَدِ [4]

لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ ، وَلَا أَهْلًا بِهِ ، إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ ٱلْأَحِبَّةِ فِي غَدِ

---

(١) سيأتي تفسير البيتين (٢) يثرب هي المدينة (٣) مية اسم امرأة (رائح) ذاهب وقت الرواح وهو العشي ، او هو من الزوال الى الليل (المغتدي) الذاهب وقت الغدوة وهي البكرة (عجلان) من العجلة وهي السرعة (ذا زاد) المراد بالزاد هنا ما كان من تسليم ورد تحية . قال الاصمعي يخاطب نفسهُ ، يقول : آأنت رائح او مغتدٍ . اي اتروح اليوم ام تغتدي غدًا ؟ (٤) البوارح جمع بارح ، والبارح ما مرّ من الطير والوحش من يمينك الى يسارك . والعرب تتطير بهِ ، لانهُ لا يمكنك ان ترميه حتى تنحرف . وعكسهُ السانح . وهم يتيمنون بهِ لانهُ امكن للرمي والصيد – وكان من عادة العرب انهم اذا ارادوا ابرام امرٍ اطلقوا الطير فان مرّت من ميامنهم تيمّنوا وان مرّت من مياسرهم تطيروا وتشاءموا (تنعاب الغراب) صياحه . ويروى (الغداف) بدل الغراب وهو بمعناه

أزِفَ ٱلتَّرَحُّلُ ، غيرَ أنَّ رِكابَنا ... لمَّا تَزُلْ بِرِحالِنا ، وكأنْ قدِ (١)

في إثرِ غانيةٍ رمتْكَ بسهمِها ... فأصابَ قلبَكَ ، غيرَ أنْ لم تُقْصِدِ (٢)

كَمُضِيئَةٍ صدفيَّةٍ ، غوَّاصُها ... بَهِجٌ ، متى ينظرْ إليها يَسْجُدِ (٣)

لو أنَّها عرضتْ لِأشمطَ راهبٍ ... يخشى ٱلإلهَ ، صرورةٍ ، متعبِّدِ (٤)

لَرَنا لِبَهجتِها وحُسنِ حديثِها ... ولَخالَهُ رُشدًا ، وإنْ لم يَرْشُدِ (٥)

قامتْ تَراءَى — بينَ سجفَيْ كِلَّةٍ — ... كَالشَّمسِ ، يومَ طلوعِها بِٱلأَسعدِ (٦)

سقطَ ٱلنَّصيفُ — ولم تُرِدْ إسقاطَهُ — ... فتناولَتْهُ ، وٱتَّقتْنا بِٱليدِ : (٧)

---

(١) ازف ، ويروى افد ، وكلاهما بمعنى : قرب ودنا (الركاب) الابل التي يسار عليها (تزل) تذهب (الرحال) جمع رَحْل وهو مركب يوضع على البعير (وكأن قد) وكأنها قد زالت . والمعنى قد قرب وقت ذهابها (٢) في اثر غانية اي بعدها (الغانية) المرأة المستغنية بجمالها عن الزينة (رمتك بسهمها) اي بلحظها ، شبه لحظها بالسهم لانها كليهما فتاكان (لم تقصد) لم تقتل . يقال : رماه فاقصده ، اي قتله مكانه

(٣) كمضيئة اي كدرّة مضيئة (صدفية) منسوبة الى الصدف وهو وعاء الدر (غواصها) الذي يغوص عليها ليستخرجها من البحر (بهج) فرح — والمعنى ان من رأى هذه الغانية يسجد امامها كما يغوص الغواص على الدرة متى رآها تلمع في قعر الماء

(٤) الاشمط ذو الشيب (الراهب) واحد الرهبان الذين يترّوون في الصوامع للعبادة . وهو مأخوذ من الرهبة او الرهبانية بمعنى الخوف او التعبد (الصرورة) الذي لم يتزوج ولم يأتِ النساء . وهو مأخوذ من الصرّ بمعنى الحبس والمنع

(٥) رنا ادام النظر (خاله) ظنه (الرشد) ضد الغي (٦) تراءى اصلها تتراءى اي تتعرض لنا لنراها (السجف) الستر . وجمعه سجوف واسجاف (الكلة) غشاء رقيق يُتوقى به من البعوض . ويعرف عندنا اليوم بالناموسية (الاسعد) هو يوم من ايام آخر الربيع قد سكنت فيه رياح الشتاء فاحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في ايامها . وقيل الاسعد هو برج الحمل . وأتم مايكون ضياؤها فيه

(٧) النصيف الخمار (اتقتنا باليد) تحفّظت منا بيدها بمعنى انها استترت بها .

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ ، كَأَنَّ بَنَانَهُ   عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ ، لَمْ يُعْقَدِ (١)

وَبِفَاحِمٍ رَجِلٍ ، أَثِيثٍ نَبْتُـهُ ،   كَالْكَرْمِ ، مَالَ عَلَى الدِّعَامِ الْمُسْنَدِ (٢)

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ،   نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وُجُوهِ الْعُوَّدِ (٣)

وَتَخَالُهَا فِي الْبَيْتِ — إِذْ فَاجَأْتَهَا —   قَدْ كَانَ مَحْجُوبًا سِرَاجُ الْمَوْقِدِ

ومن شعره [يمدح عمرو بن الحارث الأعرج الغساني] قوله :

كِلِينِي لِهَمٍّ — يَا أُمَيْمَةَ — نَاصِبِ ،
وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ ، بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ (٤)

تَطَاوَلَ ، حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ،
وَلَيْسَ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ بِآيِبِ (٥)

---

(١) بمخضب اي كف مخضبة اي مزينة بالخضاب . والجار متعلق بقوله « تناولته» اي تناولت النصيف بكف مخضبة . والمعنى انها تناولت خمارها بيد واستترت منا باليد الاخرى (رخص) ناعم لين البشرة رقيقها (البنان) الاصابع (العنم) شجر حجازي لين الاغصان له ثمر احمر ، ويشبه بثمره البنان المخضوب (٢) وبفاحم اي استترت منا باليد وبشعر فاحم اي اسود شديد السواد ، بمعنى انها ارسلت ذلك الشعر على وجهها كيلا يرى (رجل) بسكون الجيم وكسرها اي ليس بسبط ولا جعد (اثيث) كثير مع التفاف (الكرم) العنب (الدعام) العماد (المسند) الذى نصب ليتكئ عليه العنب. اي ان شعرها كثير ملتف فكأنه عناقيد عنب موضوعة على عمادها

(٣) العوَّد جمع عائد وهو من يعود المريض اي يزوره (٤) كليني لِهَمٍّ دعيني وهمي (يا أميمة) قال في الاغاني هكذا رُوِيَ مفتوح الهاء . قال الخليل : من عادة العرب ان تنادي المؤنث بالترخيم . فتقول يا أُميمَ ويا عزَّ ويا سلمَ . فلما لم يرخم لعدم حاجته الى الترخيم اجراها على لفظها مرخمة واتى بها بالفتح (ناصب) متعب او بمعنى ذي نَصَب اي تعب كما قالوا: لا بنٌ وتامر (اقاسيه) اكابده (بطيء الكواكب) كواكبه بطيئة في السير . اي ان كواكبه لا تجري ولا تغيب ولا تزول . وانقضاء الليل لا يكون الّا بزوالها (٥) تطاول ويروى تقاعس . والمعنى واحد —

وَصَدْرٍ أَرَاحَ ٱللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ ،
تَضَاعَفَ فِيهِ ٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ[1]

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ — بَعْدَ نِعْمَةٍ
لِوَالِدِهِ — لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ[2]

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا ٱللّٰهُ غَيْرَهُمْ
مِنَ ٱلنَّاسِ . وَٱلْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ[3]

مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ ٱلْإِلٰهِ ، وَدِينُهُمْ قَوِيمٌ . فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ ٱلْعَوَاقِبِ[4]

إِذَا مَا غَزَوْا بِٱلْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ ، تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ[5]

عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطِّعَانِ ، عَوَابِسٍ ، بِهِنَّ كُلُومٌ ، بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ[6]

— (الذي يهدي النجوم) هو اول النجوم الطالعة . وهادي كل شيء اوله والمتقدم عليه (آيب) راجع او ليس بغائب . كما يقال : آبت الشمس اذا غابت .

(١) اراح : ردّ . من قولهم : اراح الابل واروحها اي ردها الى المراح اي المأوى (عازب همه) ماضيه (٢) اي علي لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده علي (ليست بذات عقارب) اى ليست بذات من ولا اذى . شبه المنّ بالمعروف بالعقرب لانه يلدغ لدغاً معنوياً (٣) شيمة : طبيعة وخلق (الاحلام) العقول (عوازب) غائبة (٤) المجلة هي الكتاب المتضمن للحكمة ، او كل كتاب . واراد بالمجلة الانجيل وهو كتاب الله لان الممدوحين كانوا نصارى (ذات الآله) اي كلامه لانهُ صادر عن الذات . ويروى محلتهم ذات الآله — بالحاء المهملة — اى مسكنهم بيت المقدس وناحية الشام وهي منازل الانبياء (يرجون) يخافون (٥) العصائب : اراد بها النسور والغربان لانها تكون عند ماتتأجج نيران القتال لتأكل لحوم القتلى . والعِصابة والعصبة ، هي عدد من الرجال والخيل والطير يكون بين العشرة الى الاربعين (على عارفات) متعلق بغزوا . والمعنى على خيل عارفات للطعان اي صابرات عليه لانها معودة عليه (٦) كلوم : جمع كلم وهو الجرح (دامٍ) سائل الدم (جالب) جافّ يابس عليه جلبة وهي قشرة تكون على الجرح .

إِذَا ٱسْتُنْزِلُوا لِلطَّعْنِ عَنْهُنَّ أَرْقَلُوا
إِلَى ٱلْمَوْتِ، إِرْقَالَ ٱلْجِمَالِ ٱلْمَصَاعِبِ (١)

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ، غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ
بِهِنَّ فُلُولٌ، مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ (٢)

تُخُيِّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ
إِلَى ٱلْيَوْمِ. قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ ٱلتَّجَارِبِ (٣)

تَجُذُّ ٱلسَّلُوقِيَّ ٱلْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ، وَتُوقِدُ بِٱلصُّفَّاحِ نَارَ ٱلْحُبَاحِبِ (٤)

رِقَاقُ ٱلنِّعَالِ، طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ. يُحَيَّوْنَ بِٱلرَّيْحَانِ يَوْمَ ٱلسَّبَاسِبِ (٥)

---

(١) قال الاصمعي: اذا اشتدت الحرب ووقع الالتحام فربما ضاق الموضع على الدابة فينزل صاحبها (ارقلوا) اسرعوا (المصاعب) جمع مُصْعَب وهو الفحل الذى لم يمسّه حبل قط وانما يقتنى للفحلة (٢) الفلول: الثلوم (القراع) المجالدة والمقارعة (الكتائب) الجيوش. وهذا الاستثناء هو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم. وذلك من اساليبهم تنبيهاً للذهن على ان يبحث عما عُدّ عيباً فيجده في نهاية المدح. وذلك ان فلول السيوف عيب لها ولكن عندما يعرف ان فلولها ناشئة من المجالدة بها ومقارعة الكتائب يحكم ان فلولها بسبب المقارعة هو فخر وشرف (٣) تخيرن: الضمير للسيوف (حليمة) هي حليمة بنت الحارث بن ابي شمر الغساني. وقد مرّ يوم حليمة في ترجمة لبيد في الصفحة (١٦٣ — ١٦٤) (٤) تجذ — ويروى تقدّ — وكلاهما بمعنى تقطع (السلوقي) الدرع المنسوبة الى سَلوق وهي قرية باليمن تُنسب اليها الدروع والكلاب (المضاعف نسجه) الزائد نسجه على اصله حتى صار مثليه (توقد) تشعل (الصفاح) حجارة عِراض غليظة صلبة، واحدتها صُفَّاحة (نار الحباحب) هو ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة. وقيل: الحباحب ذُباب يطير بالليل كأنه نار له شعاع كالسراج — يقول: هذه السيوف تقطع كل شيء حتى لو وضع شيءٌ على الصفاح لقطعته ووصلت اليها فتقدح شرراً كشرر الزناد او كنور ذباب الحباحب (٥) رقاق النعال: يريد انهم ملوك ليسوا باصحاب مشي حتى تكون نعالهم غليظة (طيب حجزاتهم) هو كناية عن كونهم أعفّاء الفروج بُعَداء عن الفجور، تقول: فلان طيب الحجزة، اذا كان عفيفاً —

وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ ۝ وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ (١)

حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ ، إِذْ كُنْتُ لَاحِقاً ۝ بِأَهْلِي ، وَإِذْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي (٢)

وقد اشتهرت اعتذاريّات النابغة [وهي القصائد التي اعتذر بها للنعمان بن المنذر] اشتهاراً عظيماً . فمنها قوله من قصيدة :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ ٱلْمَشِيبَ عَلَى ٱلصِّبَا ،
وَقُلْتُ : أَلَمَّا تَصْحُ ؟ وَٱلشَّيْبُ وَازِعُ (٣)

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذٰلِكَ ، وَالِجٌ
مَكَانَ ٱلشِّغَافِ ، تَبْتَغِيهِ ٱلْأَصَابِعُ (٤) :

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ — فِي غَيْرِ كُنْهِهِ — ۝ أَتَانِي ، وَدُونِي رَاكِسٌ فَٱلضَّوَاجِعُ (٥)

— نقيّاً من الدنس . واصل معنى الحجزة ، موضع التكة او معقد السراويل والازار (يوم السباسب) عيد من اعياد النصارى ويعرف بيوم السعانين — بالسين المهملة — و يلفظونه اليوم الشعانين — بالشين المعجمة — واصل معنى السباسب : شجر تتّخذ منه السهام . فكأنهم شبهوا الشموع التي يحملونها في هذا اليوم تحيط بها الازهار باغصان هذا الشجر نظراً لطولها واستوائها ، ثم سموا هذا اليوم بها (١) ضربة لازب : ضربة شيء لازم ثابت غير مفارق . يقول: انهم قد عرفوا الدهر وسبروا غوره ، وذاقوا حلوه ومرّه ، وخبروا تصرّفه في العباد ، وتقلّبه في الخير والشر ، فعلموا ان للانسان يومين : يوماً له ويوماً عليه . فلذا لا يحسبون ان الخير دائم لا شر بعده ، وان الشر لازم لا خير وراءه (٢) حبوت ، اصل معنى الحباء : العطاء بلا جزاء (بها) بهذه القصيدة — يريد مدحت بهذه القصيدة بني غسان وانا في قومي — وهم احق من يمدح — فكانوا احقّ بها من اهلي (اعيت عليّ مذاهبي) اي لم اهتدِ لوجه مرادي — يريد انه كان هارباً من النعمان فضاقت عليه مذاهبه . والمعنى انهم اهلٌ لمدحه في حال خوفه وأمنه (٣) وازع : رادع مانع (٤) حال : اعترض ومنع (والج) داخل (الشُّغاف) بضم الشين : داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الايمن . والشراسيف: مَقَط رؤُوس الاضلاع وهو الطرف المشرف على البطن (تبتغيه الاصابع) تطلبه اصابع الاطباء لتزيله . وان كان الشغاف بكسر الشين فمعناه وعاء القلب (٥) ابو قابوس : كنية —

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ
مِنَ ٱلرُّقْشِ، فِي أَنْيَابِهَا ٱلسُّمُّ نَاقِعُ (١)

أَتَانِي — أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ — أَنَّكَ لُمْتَنِي .
وَتِلْكَ ٱلَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا ٱلْمَسَامِعُ (٢)

أَتَاكَ ٱمْرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ لِيَ بِغْضَةً ،
لَهُ — مِنْ عَدُوٍّ مِثْلَ ذٰلِكَ — شَافِعُ (٣)

أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ ٱلنَّسْجِ ، كَاذِبًا .
وَلَمْ يَأْتِ بِٱلْحَقِّ ٱلَّذِي هُوَ نَاصِعُ (٤)

حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ،
وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ (٥)

— النعمان بن المنذر (الكنه) الحقيقة (دوني) تُطلق « دون » على فوق وتحت وامام ووراء ، وهي من الاضداد . والمراد بها هنا فيما يظهر معنى امام (راكس) اسم وادٍ (الضواجع) جمع ضاجعة وهي منحنى الوادي ومنعطفه . والمعنى : اتاني وعيده وليس امامي ما ألتجيء اليه الّا راكس وضواجعه اي منحنياته ومنعطفاته . والضواجع : ايضاً الهضاب . ولعل المعنى على ذلك لمكان المقابلة بين الوادي والمرتفعات . وقال في المعجم : الضواجع في قول النابغة : اسم لمكان . وليس ببعيد (١) ساورتني : واثبتني (ضئيلة) حية ضئيلة اي دقيقة اللحم . ومتى كانت كذلك كانت قليلة الدم شديدة السم (الرقش) جمع رقشاء . وهي حية فيها نقط سود وبيض (ناقع) مجتمع ثابت (٢) تالك : اشارة الى الملامة المفهومة من لمتني (تستك) تُصَم وتضيق : والسكك : ضيق الصماخ (المسامع) جمع مِسمع وهي الأذن (٣) مستبطن : مخفٍ ومضمر (شافع) يقال : شفع لي بالعداوة ، اي اعان عليَّ . والمعنى : له آخر يشفعه اي يعينه على عداوتي والوشاية بي . واراد بالمرء المنخّل اليشكري الذي سبقت قصته معه (٤) هلهل النسج : رقيقه وليس بالقوي . شبه الكلام الكاذب بالثوب غير المتين لانه يُعرَف انه باطل فيفضح صاحبه كما يفضح الثوب المهلهل لابسه (كاذبًا) منصوب على الحال من قولٍ . وهو بمعنى مكذوب . من اطلاق الفاعل وارادة المفعول . او المعنى كاذب صاحبه (ناصع) ابيض واضح بـيّن خالص عن كل شائبة (٥) الريبة : الشك —

فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُـدْرِكِي ،
وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ (١)

وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُنْعِشُ ٱلنَّاسَ سَيْبُـهُ ،
وَسَيْفٌ – أُعِيرَتْهُ ٱلْمَنِيَّـةُ – قَاطِعُ (٢)

أَبَى ٱللهُ إِلَّا عَـدْلَهُ وَوَفَاءَهُ .
فَلَا ٱلنُّكْرُ مَعْرُوفٌ ، وَلَا ٱلْعُرْفُ ضَائِعُ (٣)

ومن ٱعتذاريَّاته اليه قوله :

أَتَانِي – أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ – إِنَّكَ لُمْتَنِي . وَتِلْكَ ٱلَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ (٤)
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً . وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ (٥)

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَـنِّي خِيَانَةً ،
لَمُبْلِغُكَ ٱلْوَاشِي أَغَشُّ وَأَكْذَبُ (٦)

وَلٰكِنَّنِي ، كُنْتُ ٱمْرَأً لِيَ جَانِبٌ
مِنَ ٱلْأَرْضِ ، فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ : (٧)

– (يأثم) يقع في الاثم وهو الذنب . والنون هي نون التوكيد الخفيفة (الامة) تروى بضم الهمزة وكسرها . فمن ضمها جعلها بمعنى الدين والخضوع – اي وهل يأثم من يدين لك ويخضع ويكون في طاعتك . ومن كسرها جعلها بمعنى النعمة – اي وهل يأثم من هو طائع لك غارق في بحار نعمك (١) المنتأى : المكان البعيد (٢) انت ربيع : اي كالربيع في الخصب والبركة على اوليائك (سيبه) عطاؤه (سيف) اي على اعدائك (المنية) الموت

(٣) النكر : المنكر (العرف) المعروف (٤) انصب : اتعب

(٥) اي وليس بعد اليمين بالله مذهب للمرء يذهب فيه ليثبت مدَّعاه

(٦) الواشي : النمام (٧) مستراد الرجل : مكانه الذي يجول فيه ويشعُّ به لنفاسته . وقد فسرَّ المستراد والمذهب في البيت الآتي .

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ ، إِذَا مَا لَقِيتُهُمْ أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَأُقَرَّبُ
كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ ، فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا (١)
وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ . أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ ؟ (٢)
فَإِنْ أَكُ مَظْلُوماً ، فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ . وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبَى ، فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ (٣)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ،
تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ ؟ (٤) :
بِأَنَّكَ شَمْسٌ ، وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ،
إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ (٥)

وقال [يهجو زُرْعة بن عمرو ، وقد بلغه انه يتوعَّده] :

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ — وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا —
يُهْدِي إِلَيَّ غَرَائِبَ الْأَشْعَارِ (٦)

---

(١) اصطفيتهم : اخترتهم . والمعنى : اني ان ذهبت الى غيرك وتقربت منه فليس ذلك بذنبٍ لي ، كما انك قد اخترت أُناساً كانوا مع غيرك فصاروا اليك . فلم ترهم اذنبوا في ذلك (٢) ولست بمستبق اخاً : اي انك لاتستبقي مودة اخ (لا تلمُّه) لا تصادقه . واصل معنى اللمّ الجمع (على شعث) اي على شعث فيه وهنة في اخلاقه . والمعنى انه لا يخلو احد من شعث وما يؤخذ عليه في خلقه . فان لم تصفح عما يبدو من الاصدقاء فلا يبقى لك صديق ، اذ ايُّ الناس لا زلّة له ؟ (٣) العتبى : الرضا (يُعتب) يرضي . يقال : اعتبه ، اي اعطاه العتبى وهي الرضا وترك ما كان يغضب لاجله . والمعنى : وان كنت ذا رضا علي من غضبتَ عليه فمثلك من يفعل ذلك ويترك ما كان يغضب لاجله (٤) السورة : المنزلة والرفعة والشرف والفضيلة (يتذبذب) يضطرب ويتردد لينالها فلا يستطيع
(٥) لم يبدُ : لم يظهر (٦) السفاهة كاسمها : اي ان فعل السفاهة قبيح كقبح اسمها .

فَحَلَفْتُ — يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرٍو — إِنَّنِي
مِمَّا يَشُقُّ عَلَى ٱلْعَدُوِّ ضِرَارِي[١]

أَرَأَيْتَ يَوْمَ عُكَاظَ — حِينَ لَقِيتَنِي
تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ — فَمَا شَقَقْتَ غُبَارِي[٢]

إِنَّا ٱقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا :
فَحَمَلْتُ بَرَّةَ ، وَٱحْتَمَلْتَ فَجَارِ[٣]

ومن شعره قوله :

مَنْ يَطْلُبِ ٱلدَّهْرُ تُدْرِكْهُ مَخَالِبُهُ .
وَٱلدَّهْرُ بِٱلْوِتْرِ نَاجٍ ، غَيْرُ مَطْلُوبِ[٤]

مَا مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ
إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شِدَّةَ ٱلذِّيبِ

---

(١) شق عليهِ الامر : صعب وتعذر (٢) العجاج : الغبار ، واراد بهِ عجاج المفاخرة (فما شققت غباري) فما سبقتني وما غلبتني . والكلام على سبيل المجاز

(٣) الخطة : الامر (برة) اسم للبر وهو معرفة بالعلمية الجنسية . ويمنع من الصرف للعلمية والتأنيث (فجار) اسم للفجور وهو معرفة ايضاً بالعلمية الجنسية وهو مبني على الكسر ، كما هو الشأن . كل ما كان على وزن فعالِ من الاعلام المؤنثة او الصفات المؤنثة . ويجوز ان تكون برة وفجار معدولتين عن المصدر . فبرة معدولة عن البر وفجار معدولة عن الفجور . ويجوز ان تكونا معدولتين عن صفتين . فتكون برة معدولة عن بارَّة وفجار معدولة عن فاجرة . وان قلنا : بالعدل فالمقام هنا يناسب ان تكونا معدولتين عن صفتين . فكأنهُ قال : فحملتُ الخصلة البارَّة . وحملت الخصلة الفاجرة . وعلى القول بالعدل تكون برة ممنوعة من الصرف للوصفية والعدل . واما فجار فعلى كل حال هي مبنية على الكسر واعرابها محلي (٤) الدهر : فاعل يطلب . والمعنى من يطلبهُ الدهر (المخالب) جمع مِخلب . وهو من سباع الوحوش والطيور كالظفر للانسان . ومخالب الدهر نوائبه ومصائبه . فالكلام مجازي .

حَتَّى يُبِيدَ — عَلَى عَمْدٍ — سَرَاتَهُمُ
بِالنَّافِذَاتِ ، مِنَ النَّبْلِ المَصَايِيبِ (١)

إِنِّي رَأَيْتُ سِهَامَ المَوْتِ مُعْرِضَةً
بِكُلِّ حَتْفٍ — مِنَ الآجَالِ — مَكْتُوبِ (٢)

وقوله :

لَا خَيْرَ فِي عَزْمٍ بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ . وَالشَّطُّ وَهْنٌ ، إِنْ أَرَدْتَ سِرَاحَا (٣)
وَاسْتَبْقِ وُدَّكَ لِلصَّدِيقِ ، وَلَا تَكُنْ قَتَباً ، يَعَضُّ بِغَارِبٍ مِلْحَاحَا (٤)
فَالرِّفْقُ يُمْنٌ ، وَالأَنَاةُ سَعَادَةٌ . فَاسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ نَجَاحَا (٥)
وَاليَأْسُ مِمَّا فَاتَ يُعْقِبُ رَاحَةً . وَلَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذُبَاحَا (٦)

---

(١) يبيد : يهلك (العمد) القصد (سراتهم) اشرافهم (النافذات) الخارقات . والنفوذ ان يخرق النافذ الشيء ويخرج من مكان آخر .

(٢) الحتف : الموت (٣) الشط : البعد (الوهن) الضعف (السراح) بكسر السين جمع سِرحان وهو الذئب – والمعنى : اذا عزمت امراً فتروّ قبل الاقدام عليه ، فان البعد عن مكانك قاصداً امراً خطيراً هو ضعف في الرأي ان لم تتخذ للامر عدّته . وقد ضرب لذلك مثلاً من يقدم على لقاء الذئاب قبل التروّي والاستعداد .

(٤) القتب : ما يوضع على البعير (الغارب) الكاهل او ما بين سنام البعير الى عنقه (الملحاح) القتب الذي يعض غارب البعير فيجرحه . واصل معناه : الكثير الالحاح – والمعنى : لا تكثر العتاب او الالحاح على الاصحاب فينفروا منك ، بل فاستبق ودّهم باللطف والتجاوز عن السيئآت . وقد ضرب للمثقل على الاصدقاء بالعتاب ونحوه مثلاً وهو القتب الذي على سنام البعير ما يزال يذهب ويجيء حتى يعقره . وكذلك من اكثر على صديقه نفر منهُ (٥) الرفق : اللطف ولين الجانب وهو ضد العنف (اليمن) البركة والزيادة في الخير . واللطف ولين الجانب للاخوان مجلبة لمحبتهم وزيادة في ودهم (الاناة) الحلم والوقار (استأنِ) تمهّلْ ولا تتعجل (٦) المطعمة والمطعم : ما يؤكل من الطعام (الذباح) وجع في الحلق ، ونبت كثير السموم . يقول : ان في التأني والتمهل –

وقال [وفيما قال لُبابُ الحكمة] :

أَلْمَرْءُ يَأْمَلُ أَنْ يَعِيشَ ، – وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهْ
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْقَى – بَعْدَ حُلْوِ ٱلْعَيْشِ مُرُّهْ
وَتَصَرَّمُ ٱلْأَيَّامُ ، حَتَّى – لَا يَرَى شَيْئاً يَسُرُّهْ (١)
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ – وَقَائِلٍ : لِلّٰهِ دَرُّهْ !

. . . . . .

وللنابغة شعر كثير جيّد . وقد اكتفينا منه بما ذكرناه ، عملًا بما ٱختطَطْناه في تنسيق هذا الكتاب .

معلقته وسبب نظمها

معلقة النابغة من عيون شعره . وقد اشتملت على ضروب من الوصف والقَصَص والحكمة والاعتذار . وقد قالها يمدح فيها النعمان ابن المنذر بعد ماجفاه ، ويعتذر اليه عمَّا وقع ، ويذكر له سابق أياديه عليه ، وإدناء منزلته لديه . ويثبت له خيانة الواشين به عنده . كلّ ذلك بكلام جزل ، ومعانٍ تؤَثِّر في النفس .

وقد ذكرنا قبل ذلك سبب غضب النعمان عليه .

– سعادةً للانسان وراحة . وفي العجلة والتهور شقاء ونصباً . وقد ضرب لذلك مثلًا : من أكل – قبل ان يعرف مايأكل – فعاد عليه الطعام وجعاً في حلقه او سمّاً قاتلًا لهُ .

(١) تصرَّم : اصلها تتصرم ، بمعنى تنقضي .

نخبة من معلّقته

يَا دَارَ مَيَّةَ بِٱلْعَلْيَاءِ فَٱلسَّنَدِ ،
أَقْوَتْ ، وَطَالَ عَلَيْهَا سالِفُ ٱلْأَبَدِ (١)

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلًا كَيْ أُسَائِلَهَا ،
عَيَّتْ جَوَاباً ، وَمَا بِٱلرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ (٢)

أَضحَتْ خَلَاءً ، وَأَضحَى أَهْلُهَا ٱحْتَمَلُوا ،
أَخْنَى عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ (٣)

فَعَدِّ عَمَّا مَضَى ، إِذْ لَا ٱرْتِجَاعَ لَهُ ،
وَٱنْمِ ٱلْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ (٤)

---

(١) مية : اسم امرأة (العلياء) المرتفع من الارض (السند) ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . والظاهر انه اراد بالعلياء والسند موضعين مسمَّيين بذلك . ولم يذكرهما صاحب معجم البلدان (اقوت) خلت من اهلها (سالف الأبد) ماضي الدهر .

(٢) اصيلًا عشية . والاصيل الوقت بعد العصر الى المغرب (عيت جواباً) لم تستطع ان تجيب (الربع) الدار (٣) خلاء : خاليةً (اخنى عليها) افسدها ، او ابادها (لبد) آخر نسور لقمان . وذلك ان لقمان كان رجلًا مؤمناً بنبيّ الله داود عليهما السلام . قالوا : فلما اهلك الله عادًا خيّر لقمان بين ان يبقى بقاء سبع بَعراتٍ سُمْرٍ ، من اظبٍ عُفْرٍ ، في جبل وَعرٍ ، لا يمسُّها القطر ، وبين ان يبقى بقاء سبعة أَنْسُرٍ . فاستحقر الابعار ، واختار النسور . فكان يأخذ النسر فرخاً ويربيه الى ان يموت . وكان آخر نسوره نسرًا اسمهُ لُبد ، وكان اطول نسوره عمرًا . وعاش لبد مِئتي سنة . فقال لقمان : طال الامد على لُبد . قالوا : ومات لقمان بموته (٤) عدّ عما مضى ، اي تجاوزه الى غيره (انم) ارفع (القتود) خشبات الرحل ، وقيل: هي جميع ادواته . ومفردها قَتَدٌ (العيرانة) الناقة التي تشبه العَير وهو الحمار في صلابة خُفّها وسرعتها (أُجُد) قوية .

كَأَنَّ رَحْلِي – وَقَدْ زَالَ ٱلنَّهَارُ بِنَـا
بِذِي ٱلْجَلِيلِ – عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ[(١)]

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ ، مَوْشِيٍّ أَكَارِعُـهُ ،
طَاوِي ٱلْمَصِيرِ ، كَسَيْفِ ٱلصَّيْقَلِ ٱلْفَرِدِ[(٢)]

فَتِلْكَ تُبْلِغُـنِي ٱلنُّعْمَانَ ، إِنَّ لَهُ
فَضْلًا عَلَى ٱلنَّاسِ ، فِي ٱلْأَدْنَى وَفِي ٱلْبُعُدِ[(٣)]

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي ٱلنَّاسِ يُشْبِهُـهُ ،
وَلَا أُحَاشِي مِنَ ٱلْأَقْوَامِ مِنْ أَحَـدِ[(٤)]

---

(١) زال النهار : انتصف وصار بنا في وقت الزوال (ذو الجليل) وادٍ قرب مكة (على مستأنس) اي كأنَّ رحلي موضوع على وحشيٍّ مستأنس اي ناظرٍ يمنةً ويسرةً خوفًا من الصائد . والجار والمجرور خبر كأنَّ . فهو يصف ناقته بالسير السريع حتى في وقت اشتداد الحرّ حين تتعب الابل وتطلب الراحـة . فهو يقول : ان هذه الناقة سريعةٌ لا تشكو التعب حتى في وقت الظهيرة . فكأنَّ رحلها لسرعتهـا لم يوضع عليها بل هو موضوع على وحشيّ منفرد خائف من القُنَّاص فهو يسرع خشية ان يُدركوه

(٢) وجرة : مكان تكثر فيه الوحوش ، وهو بين مكة والبصرة ومسافته اربعون ميلًا ، وليس فيه منزل ، فهو مساكن للوحوش – يصف هذا الوحش الذي شبه بهِ ناقته بانهُ من وحش وجرة . وانما وصفه بذلك لانها اقلُّ انسًا من غيرها (موشي) ملوَّن . من وشى الثوب اذا لوّنه (اكارعه) قوائمهُ . وصفَهُ بان قوائمه منقطة بالسواد والبياض (طاوي) ضامر (المصير) المِعى . وجمعهُ أَمصرة ومُصران . وجمع المصران مصارين . وصفه بالضمور لان الضامر اشدُّ عـدوًا من اللحيم (الصيقل) من يصقل السيوف ويجلوها . وصف هذا الوحشي بانه يلمع كما يلمع السيف (الفرد) الفريد المنقطع القرين الذي لا نظير له . ويجوز فيه كسر الراء وفتحها

(٣) تلك : الاشارة الى الناقة (تبلغني النعمان) توصلني اليه (البُعُد) جمع بعيد

(٤) فاعلًا : اي فاعلًا للخير والمعروف (لاحاشي) لا استثني

إِلاَّ سُلَيْمَانَ ، إِذْ قَالَ ٱلإِلَـٰهُ لَهُ :
قُمْ فِي ٱلْبَرِيَّةِ ، فَٱحْدُدْهَا عَنِ ٱلْفَنَدِ(١)

وَخَيِّسِ ٱلْجِنَّ ، إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ   يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِٱلصُّفَّاحِ وَٱلْعَمَدِ(٢)

فَمَنْ أَطَاعَكَ فَٱنْفَعْهُ بِطَاعَتِهِ   كَمَا أَطَاعَكَ ، وَٱدْلُلْهُ عَلَى ٱلرَّشَدِ

وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْـهُ مُعَاقَبَـةً
تَنْهَى ٱلظَّلُومَ ، وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ(٣)

وَٱحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ ٱلْحَيِّ ، إِذْ نَظَرَتْ
إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ ، وَارِدِ ٱلثَّمَدِ(٤)

---

(١) سليمان : اراد به نبيّ الله سليمان بن داود عليهما السلام (البرية) المخلوقات (احددها) ادفعها وامنعها (الفند) الخطأ ، والكذب ، والظلم ، وكفر النعمة (٢) خيس الجن : ذللهم

(تدمر) مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة ايام . وبينها وبين حمص ثلاثة ايام . وهي من ابنية العرب الاقدمين . وقيل : سُميت باسم تدمر بنت حسَّان بن أُذَينة بن السَّميدَع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام . وفي القاموس: ان تدمر هذه هي التي بنتها فسميت باسمها . وقيل : ان بانيها سليمان بن داود . واستدل القائل بقول النابغة وليس بشيء . قال الثعالبي : « ان هذا من مذاهب العرب على سبيل المبالغة لا الحقيقة ، كما يزعمون ان « عبقر » اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب ، فزعموا ان تدمر من بناء الجن لِمَا يرون من قوتها الباهرة وصنعها العجيب » وهي من عجائب الابنية موضوعة على العمد الرخام الابيض والاشقر والصفَّاح . قال في المعجم : واهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل سليمان باكثر مما بيننا وبين سليمان ، ولكن الناس اذا رأوا بناء جهلوا بانيه اضافوه الى سليمان والى الجن . ثم استشهد بامر جرى لمروان بن محمد آخر ملوك بني أُميَّـة يُستدل منه على ان بانيها هي تدمر بنت حسَّان السالفة الذكر . وتدمر اليوم خراب يباب تنعق فيها البوم . غير ان آثارها الماثلة لم تزل تدل على ما كان لها من العظمة في سالف الدهر (الصفَّاح) الحجارة العِراض . ومفردها صفيحة (العمد) جمع عمود (٣) الضمد : الذل والغيظ والحقد

(٤) احكم : كن حكيماً (الحكم) الحكمة . والمعنى كن حكيماً في امري متثبتاً فيه ولا —

يَحُفُّهُ جَانِبَا نِيقٍ ، وَتُتْبِعُهُ
مِثْلَ ٱلزُّجَاجَةِ ، لَمْ تُكْحَلْ مِنَ ٱلرَّمَدِ (١)

قَالَتْ : أَلَا لَيْتَمَا هٰذَا ٱلْحَمَامُ لَنَا
إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ (٢)

فَحَسَّبُوهُ ، فَأَلْفَوْهُ كَمَا زَعَمَتْ :
تِسْعاً وَتِسْعِينَ ، لَمْ تَنْقُصْ ، وَلَمْ تَزِدِ (٣)

فَكَمَّلَتْ مِئَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا ،
وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذٰلِكَ ٱلْعَدَدِ (٤)

– تقبل وشاية احدٍ بي ولا سعايته عندك (مراع) مسرعة (الثمد) الماء القليل ، هذا اصل معناه . واراد به هنا الماء مطلقاً – والفتاة هي زرقاء اليمامة . وهي التي يُضرب بها المثل في حدة البصر ، فيقال : ابصر من زرقاء اليمامة . قيل : اسمها اليمامة وبها سميت المدينة المشهورة . وقيل : بل اسمها فاطمة بنت الخُس . وقيل : اسمها عنز . وذكر الجاحظ انها من بنات لقمان بن عاد . قالوا : وكانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام . وهذا ضرب من الاوهام . فان كروية الارض تحول دون ذلك – وكان من حديثها انها رأت حماماً وارداً على الماء ، وكان لها حمامة : فقالت :

ليتَ الحمام لِيَهْ الى حمامتيهْ ونصفه قَدِيَهْ تَمّ الحمامُ مِيَهْ

فوقع في شبكة صائد فحسبوه فوجدوه ستّاً وستين

(١) يحفه : اي يحيط به . والضمير للحمام (جانبا نيق) ناحيتا جبل . والطير اذا مرّت بين جبلين دنا بعضها من بعض (تتبعه مثل الزجاجة) اي ترسل نحوه عيناً مثل الزجاجة في صفائها (لم تكحل من الرمد) اي لم تصب بالرمد فتكتحل منه .

(٢) ليتما ، ما : زائدة . والبيت من شواهد النحاة على ان ليت اذا لحقتها « ما » فالاكثر إهمالها وكان ما بعدها مبتدأ وخبراً على الاصل (فقد) اي حسب . والفاء زائدة . وحسب في مثل هذا الاستعمال هي بمعنى لا غير (٣) ألفوه : وجدوه (تسعاً وتسعين) اي بعد ان ضُم اليه نصفه كان تسعاً وتسعين (٤) اسرعت حسبة : اي اسرعت في حساب ذلك العدد حتى تمكنت من عده .

فَلَا لَعَمْرُ ٱلَّذِي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ ،
وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ (١)

وَٱلْمُؤْمِنِ ٱلْعَائِذَاتِ ٱلطَّيْرَ ، تَمْسَحُهَا
رُكْبَانُ مَكَّةَ ، بَيْنَ ٱلْغِيلِ وَٱلسَّعَدِ (٢)

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ .
إِذًا ، فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي (٣)

إِذًا ، فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِٱلْحَسَدِ (٤)

هٰذَا ، لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُذِفْتُ بِهِ ، طَارَتْ نَوَافِذُهُ حَرًّا عَلَى كَبِدِي (٥)

---

(١) مسحت كعبته : اي لمستها ، والكعبة التي يُحجّ اليها معروفة . واراد بها الحجر الاسود منها لانه هو الذي يُستلم . ففي ذكر الكعبة وارادة الحجر الاسود المعروف مجاز مرسل من اطلاق الكل وارادة البعض (هريق) صُبّ وأُريق (الانصاب) حجارة كان اهل الجاهلية ينصبونها ويذبحون عليها الذبائح التي تقدم لاصنامهم (الجسد) الدم . وقد اقسم النابغة بما تقدم لانه كان جاهلياً على دين العرب

(٢) والمؤمن : اسم فاعل من آمنت فلاناً بمعنى أمّنته . واراد به الله تعالى لانه قد جعل طير الحرم آمناً فلا يُهاج ولا يصاد (العائذات الطير) الاصل : الطير العائذات ، اي التي عاذت بالحرم ولاذت به . واعراب العائذات انها مضافة للمؤمن او هي مفعول به للمؤمن منصوبة بالكسرة لانها جمع مؤنث سالم . والطير بدل منها او عطف بيان (الغيل والسعد) اجمتان بين مكة ومنى كانتا مستنقعين (٣) ما ان اتيت : اي ما اتيت . فان زائدة للتوكيد ، والكلام جواب القسم قبله (السوط) ما يُضرب به من جلد مضفور او نحوه – يدعو على يده بالشلل ان كان قد فعل ما يكرهه النعمان . يشير الى وشاية المنخّل وما اتهمه به لدى النعمان كما تقدم تفصيل ذلك في الصفحة (٢٧٣)

(٤) قرّت عين فلان : صارت مسرورة بنواله ما يشتهي (٥) هذا : اي اقسمت هذا القسم لابرأ من عمل سوء رُميتُ به عندك (طارت نوافذه) اي طارت نوافذ هذا القول الباطل فكانت حرًّا وجحيماً تحرق بها كبدي . واراد بنوافذ القول مبلغ تأثيراته المعنوية . وقد شبه نوافذ القول وتأثيراته بشرر النار يطير فيحرق ما يصيبهُ .

أُنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي ، وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ ٱلْأَسَدِ (١)

مَهْلًا ، فِدَاءٌ لَكَ ٱلْأَقْوَامُ كُلُّهُمُ ، وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ (٢)

فَمَا ٱلْفُرَاتُ إِذَا هَبَّ ٱلرِّيَاحُ لَهُ ، تَرْمِي أَوَاذِيُّهُ ٱلْعِبْرَيْنِ بِٱلزَّبَدِ (٣)

يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ ، فِيهِ رُكَامٌ مِنَ ٱلْيَنْبُوتِ وَٱلْخَضَدِ (٤)

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ ٱلْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا بِٱلْخَيْزُرَانَةِ ، بَعْدَ ٱلْأَيْنِ وَٱلنَّجَدِ (٥)

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ، وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ ٱلْيَوْمِ دُونَ غَدِ (٦)

هٰذَا ٱلثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِهِ ، فَلَمْ أُعَرِّضْ – أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ – بِٱلصَّفَدِ (٧)

---

(١) أنبئت : أُخبرت (ابو قابوس) كنية النعمان بن المنذر (الزأر) صوت الاسد ومثله الزئير (٢) اثمر : ادخر وأنمي (٣) الفرات ، نهر معروف مخرجهُ من ارمينية ومَصبّ ما يفضل منهُ في دجلة (ترمي) الضمير للرياح (اواذيه) امواجه . ومفردها آذيّ بمعنى الموج (العبرين) مثنى عبر ، بفتح العين وكسرها ، وهو الشاطيء والناحية (الزبد) ما يظهر من الرغوة على وجهِ الماء وذلك عند اضطرابه (٤) يمده ، يزيده مددًا ، والضمير للفرات (مترع) ملآن (لجب) كثير الصوت ، وذلك لشدة مائهِ وتدفقهِ (الركام) الاشياء المتراكم بعضها فوق بعض (الينبوت) ضرب من الشجر ذو شوك (الخضد) المتكسر من الشجر – وصف النهر بان فيهِ ركامًا من الاشجار المتكسرة دلالة على شدة جري مائه فهو يكسر الاشجار ويركم بعضها فوق بعض (٥) الملّاح ، النوتيّ الذي يشتغل في السفن (معتصمًا) متمسكًا (الخيزرانة) سُكّان السفينة وهو ذنبها الذي به تقوَّم كيلا تجور في جريها . وانما يمسك بها خوف ان تجنح في سيرها فتغرق او تلتطم بالشاطيء فتنكسر – يصف بذلك شدة اضطراب النهر (الاين) التعب والمشقة (النجد) العَرَق ، او هو العرق من الكرب والشدة (٦) السيب ، العطاء (النافلة) العطية الفاضلة الزائدة على الحد (يحول) يمنع ، اي ان اعطى اليوم لا يمنعهُ ذلك من الاعطاء غدًا – والمعنى ان هذا النهر الذي صفته ما تقدم ليس بأجود منهُ حين يتفضل بالعطاء

(٧) ابيت اللعن ، كانت هذه الكلمة تحية الملوك في الجاهلية والمعنى ابيت ان تأتي من الامور ما تُلعن عليه (الصفد) العطاء . قال الاصمعي : لا يكون الصفد ابتداء ، وانما يكون بمنزلة المكافأة على شيء . والصفد في غير هذا المقام هو القيد الذي يُقَيَّد بهِ . وقد قالوا « الصفد صفد » اي « العطاء قيد » وقال المتنبي « ومن وجد الاحسان قيدا تقيّدا » .

١٠ عبيد بن الابرص

توفي سنة (٥٥٥) . وقيل سنة (٦٠٥) قبل الهجرة

هو: عَبِيد بن الأبرص الأَسديّ، وينتهي نسبه الى دُودان بن أَسد ابن خُزَيمة بن مُدركةَ بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ بن عَدنان .

وهو شاعر فحل فصيح الالفاظ، من شعراء الجاهلية . وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وحكمائها ودُهاتها، وقرنَ به طَرفة وعلقمة بن عَبْدة وعَديّ بن زيد . وكان شاعر بني أَسد غيرَ مُدافع، قديم الذكر، طائر الشهرة، شهماً، كريماً مع ضيق ذات يده .

شيء من اخباره

كان معاصرًا لامريء القيس بن حُجُر الكندي . وله معه مناظرات كثيرة .

وكان من حديثه: أنه كان رجلًا محتاجاً . ولم يكن معه مال . فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمة [١] له . ومعه اخته ماوية، لِيُوردا غنمهما . فمنعه رجل من بني مالك بن ثَعْلبة وَجَبَهَهُ . فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكي، حتى اتى شجرات، فاستظلّ تحتها، فنام هو واخته . فزعموا

---

(١) غنيمة : تصغير غَنَم . والتصغير هنا للتقليل. وانما لزمته التاء لان المؤنث الثلاثي اذا صُغّر لحقته تاء التأنيث . وغنم اسم جمع . واسماء الجموع ان كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم .

ان المالكي نظر اليه والى اخته الى جنبه ، فقال :

ذَاكَ عَبِيدٌ قَدْ أَصَابَ مَيَّا . يَا لَيْتَهُ أَلْقَحَهَا صَبِيَّا
فَحَمَلَتْ ، فَوَضَعَتْ ضَاوِيَّا (١)

فسمعه عَبيد فرفع يَدَيه ، ثم ابتهل ، فقال : « اللهمَّ ، ان كان فلان ظلمني ورماني بالبهتان فأَدِلْني منه (٢) » ووضع رأسه ونام . ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر . فذكر انه اتاه آتٍ في المنام بِكُبَّةٍ من شِعرٍ حتى ألقاها في فيه . ثم قال : قُم . فقام وهو شاعر ، فهجا المالكي . ثم استمرّ بعد ذلك يقول الشعر . فكان شاعر بني اسد .

ولما اجتمعت بنو اسدٍ بعد قتلهم حُجرَ بن عَمرٍو [والد امريء القيس] الى امريء القيس على ان يعطوه الف بعير دِيَةَ ابيهِ ، او يُقيدوه من ايّ رجل شاء من بني اسد ، او يُمهلهم حولاً — قال لهم امرؤ القيس : « أمّا الدِّية فما ظَنَنتُ أنكم تعرضونها على مثلي ، وأمّا القَوَد فلو قِيدَ الى الف من بني اَسد مارضيتهم ، ولا رأيتهم كُفُوًا لحُجر ، وأمّا النَّظِرة فلكم . ثم ستعرفونني في فرسان قَحطان ، أُحكِّمُ فيكم ظُبا السيوف وشَبا الاسنَّة ، حتى أشفي نفسي ، وانال ثأري .

فلما سمع عَبِيد كلام امريء القيس أنشد :

يَا ذَا ٱلْمُخَوِّفُنَا بِقَتْلِ — أَبِيهِ ، إِذْلَالًا وَحَيْنَا (٣)
أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ — سَرَاتِنَا ، كَذِبًا وَمَيْنَا (٤)

---

(١) الضاويّ : النحيف القليل الجسم خِلقة (٢) اي اجعل لي منهُ دولةً وانصرني عليه (٣) الحين : الهلاك (٤) المين : الكذب .

هَلَّا عَلَى حُجرِ ٱبْنِ أُمِّ — قَطامِ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا

إِنَّا إِذَا عَضَّ ٱلثِّقَافُ — بِرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا (١)

نَحْمِي حَقِيقَتَنَا ، وَبَعْضُ — ٱلْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

هَلَّا سأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ — يَوْمَ وَلَّوْا : أَيْنَ أَيْنَا ؟ (٢)

أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ بِبَوَاتِرٍ ، حَتَّى ٱنْحَنَيْنَا (٣)

نَحْنُ ٱلْأُلَى . فَٱجْمَعْ جُمُوعَكَ — ثُمَّ وَجِّهْهُمْ إِلَيْنَا (٤)

لَا يَبْلُغُ ٱلْبَانِي — وَلَوْ رَفَعَ ٱلدَّعَائِمَ — مَا بَنَيْنَا

كَمْ مِنْ رَئِيسٍ قَدْ قَتَلْنَاهُ — وَضَيْمٍ قَدْ أَبَيْنَا

إِنَّا لَعَمْرُكَ لَا يُضَامُ — حَلِيفُنَا أَبَدًا لَدَيْنَا

ولمَّا عصى بنو اسد حُجرًا ابا امرئ القيس وامتنعوا عن دفع الإتاوة وضربوا جابيه وأدموه ، جاءهم حُجر فقتل منهم وأسر سراتهم وكان في الاسرى عَبيد بن الأبرص . وقد أنشد قصيدة كانت سبب عفوه عنهم . ثم قتلوا حُجرًا ، وشدُّوا على امواله نهباً . وقد قدّمنا تفصيل الخبر والقصيدة . فراجع ذلك في الصفحة (٥٦ — ٥٩)

---

(١) الثقاف : آلة تُسوَّى بها الرماح (الصعدة) الرمح المستوي (لوينا) اي لويناه والضمير المحذوف يعود الى الرأس . وعض الثقاف كناية عن اشتداد الخطب والمعنى : اذا اشتد علينا الامر املنا رؤوس رماحنا نحو الاعداء مدافعين عن حقيقتنا

(٢) يشير الى قتلهم حجرًا ابا امرئ القيس وانتهابه وفرار ما حولهُ

(٣) الهام : الرؤوس . ومفردها هامة (البواتر) السيوف القواطع

(٤) نحن الألى : اي نحن الذين عُرفوا بالبأس والشدة يوم المعمعة . فصلة الموصول محذوفة . وهي معلومة من المقام .

موت عبيد

عمَّر عَبِيد طويلًا . حتى قتله المنذر بن ماء السماء اللَّخْمي . وقيل: قتله النعمان بن المنذر . وذلك انه قد وفد عليه ــ وهو لايعلم ــ في احد ايام بؤسهِ التي كان يقتل المنذر فيها كل من يراه[١] . فقال المنذر : « مَن هذا الشقي ؟ » فقيل له : عَبِيد بن الأبرص الشاعر . فقال بعض من حضر المنذر : « ابيت اللَّعن ، اظنّ انّ عنده من حُسن القريض افضلَ ممَّا تُدرِكُ من قتله . فاُسمع منهُ . فان سمعتَ حَسَناً اُستزدته ، وان لم

(١) ذلك انه كان للمنذر رجلان ينادمانه من بني اسد . احدهما خالد بن المضلل الفقعسي ، والآخر عمرو بن مسعود . فأغضباه في بعض المنطق . فأمرَ ان يُحفر لكل واحد حفير في ظهر الحيرة ، ثم يجعلا في تابوتين ، ويُدفنا في الحفرتين في قيد الحياة . فَفُعِل بهما ذلك حتى اذا اصبح سأل عنهما – وكان اذ فعل بهما ذلك في حال السكر – فأُخبر بهلاكهما فندم على ذلك وغمّه الامر . ثم ركب المنذر حتى نظر اليهما . فأمرَ ببناء الغَريّين عليهما – والغري هو البناء الجيد . وسُمّيا بالغريَّين لان المنذر كان يُغَرّيهما بدم من يقتله اذا خرج في يوم بؤسه – فَبُنيا عليهما . وجعل لنفسهِ يومين في السنة : يوم نعيم ، ويوم بؤس . فاول من يطلع عليه في يوم نعيمه يعطيه مئة من الابل . واول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظَربان اسود . ثم يأمر به فيذبح ويُطلى بدمه الغريّان – والظربان : دُوَيْبة كالهرَّة منتنة . وفي المثل هما يتنازعان جلد الظَرِبان . اي يتسابّان – فلبث على ذلك برهةً من دهره . ثم ابطل هذه العادة السيئة يوم وفد عليه حنظلة بن ابي عفراء فأمر بذبحه . فطلب منهُ حنظلة ان يرجع الى اهله ويراهم ثم يعود اليه بعد سنة . فقال : ومن يكفلك . فنظر الى وجوه القوم فعرف منهم شريك ابن عمرو ، فانشده شعرًا يطلب منهُ ان يكفله على ان يُقتل مكانهُ ان هو لم يرجع . فأجابه الى ذلك . فلمّا كان العام القابل جلس المنذر في مجلسهِ ينتظر حنظلة ان يأتيه . فأبطأ عليه . فامر بشريك فتقدّم الى القتل . فإذا براكبٍ قد طلع عليهم فتأمّلوه ، فاذا هو حنظلة قد اقبل متكفنًا متحنطًا ومعهُ نادبته . وقد قامت نادبة شريك تندبه . فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما . فاطلقهما وابطل تلك العادة الشنعاء .

يُعجبك ، فما أقدرك على قتله » فقال المنذر : « هلاّ كان الذبح لغيرك يا عبيد » فقال : « أتتك بحائنٍ رِجلاه[١] » فأرسلها مثلاً . فقال : « ماترى يا عبيد ؟ » قال : « المنايا على الحوايا[٢] » فأرسلها مثلاً . فقال : « أنشدني فقد كان يُعجبني شعرك » فقال : « حال الجريضُ دون القريض[٣] » فأرسلها مثلاً . فقال : « أنشدني : أقفرَ من اهله ملحوب » فقال :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِـهِ عَبِيدُ : فَلَيْسَ يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ[٤]
عَنَّتْ لَهُ خُطَّـةٌ نَـكُودُ ، وَحَانَ مِنْهَـا لَهُ وُرُودُ[٥]

فقال المنذر : « ماأشدّ جزعك من الموت ! » فقال : « لا يَرحَلُ رَحلَك مَنْ ليس معك[٦] » فأرسلها مثلاً . فقال له النعمان : « لابدّ من الموت . ولو أن النعمان [يعني اباه] عرض لي يوم بُؤسي لذبحته . فاختر : ان شئت الأكحل[٧] ، وان شئت الأبجل[٨] ، وان شئت الوريد[٩] »

---

(١) الحائن : من حان اجله اي دنا وقرب . ورجلاه فاعل اتتْ . والمثل يضرب للرجل يسعى الى المكروه حتى يقع فيه . ويُنسب هذا المثل ايضاً للحارث بن جبلة الغسّاني

(٢) المنايا : جمع منية ، وهي الموت (الحوايا) الهوادج وهي المراكب التي تحمل عليها النساء . ومفردها حويّة . وامّا الحوايا في القرآن الكريم فمعناها الامعاء . وهذا المثل يُضرب لمن قرب وقت هلاكه . واصله ان قوماً قُتلوا وحُملوا على الحوايا

(٣) الجريض : الغصص بالريق (القريض) الشعر . والمثل يُضرب للامر يقدر عليه الانسان حين لا ينفعه . واصله أن رجلاً كان لهُ ابن نبغ في الشعر فنهاه ابوه عن ذلك فجاش به صدره ومرض حتى اشرف على الهلاك . فاذن لهُ ابوه في قوله ، فقال : حال الجريض الخ (٤) اقفر : خلا (٥) خطة : امرٌ (نكود) ذات نكد . واراد بالخطة النكود دنوّ اجله (حان) قرب ودنا (٦) المعنى لا يعينك من لا يكون صفوه معك . والمثل يُضرب للمعتمد على من لا يوثق به . ويقال رَحَلَ البعيرَ ، اذا شدّ على ظهره الرحلَ (٧) الاكحل عرق في الذراع . وقيل هو عرق الحياة (٨) الابجل عرق للبعير والفرس بمنزلة الاكحل للانسان . ولعلّه اراد به عرقاً في ساق الرجل (٩) الوريد عرق في العنق . وقيل هو الودج . ويقال لهُ حبل الوريد . وهما—

فقال عبيد : « ثلاث خِصال كسحابات عاد ، وارِدُها شرٌّ ورَّاد ، وحاديها شرٌّ حاد ، ومَعادُها شرٌّ مَعاد ، ولا خير فيه لِمُرتاد . وان كنتَ لا محالةَ قاتلي فأسقِني الخمر ، حتى اذا ماتت مفاصلي ، وذهلت ذواهلي ، فشأنك وما تُريد » فأمر المنذر بحاجته من الخمر . حتى اذا اخذت منه وطابت نفسه ، دعا بهِ المنذر ليقتله . فلما مثل بين يديهِ انشأ يقول :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِيَّ وَأَعْمَامَهُمْ : بِأَنَّ ٱلْمَنَايَا هِيَ ٱلْوَارِدَهْ
لِمَا مُدَّةٌ ، فَنُفُوسُ ٱلْعِبَادِ إِلَيْهَا — وَإِنْ كَرِهَتْ — قَاصِدَهْ
فَلَا تَجْزَعُوا لِحِمَامٍ دَنَا ، فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ ٱلْوَالِدَهْ

فأمر به المنذر ففُصِد . فلما مات غرّى بدمه الغَرِيَّيْن .

وكان موته سنة (٥٥٥) او (٦٠٥) لميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام . وقالوا : انه عاش ثلاث مئة سنة وقيل بل اكثر . والله اعلم . وفي شعره مايدل على انهُ عاش فوق مِئَتَيْ سنة . وذلك قوله :

حَتَّى يُقَالَ لِمَنْ تَعَرَّقَ دَهْرُهُ : يَاذَا ٱلزَّمَانَةِ ، هَلْ رَأَيْتَ عَبِيدَا [1]
مِئَتَيْ زَمَانٍ كَامِلٍ ، أَوْ بِضْعَةً عِشْرِينَ عِشْتَ مُعَمَّرًا مَحْمُودَا
مَا تَبْتَغِي مِنْ بَعْدِ هٰذَا عِيشَةً إِلَّا ٱلْخُلُودَ . وَلَنْ تَنَالَ خُلُودَا
وَلَيَفْنَيَنَّ هٰذَا وَذَاكَ كِلَاهُمَا ، إِلَّا ٱلْإِلٰهَ وَوَجْهَهُ ٱلْمَعْبُودَا

وريدان . وجمع الوريد أوْرِدَة و وُرُود و وُرُد

(١) تعرق دهره طال وامتدّ . يقال تعرّقت الشجرة ، اذا امتدت عروقها في الارض (الزمانة) تعطيل القوى . واراد تعطيل القوى بسبب الكبر وامتداد العمر .

الكلام على شعره

كان عَبِيد من فحول الشعراء الجاهليّين . وقد جعلوه في طبقة طرفة ابن العبد وامثاله . وله شعر جميل ، وحكمة عالية . ولشعره رونق وبهجة .

وقد فُقِدَ اكثر شعره . ولكن فِي القليل الباقي منهُ ما يُشير الى بلاغتهِ وسموّ كعبهِ في القريض .

ومن ذلك قوله [وكان مِمَّن ينادم حُجُراً ابا امريءُ القيس . ثم تغيَّر حُجُر عليهِ وتوعَّده . ثم استصلحه فقال عبيد يخاطبه] :

طَالَ ٱلْخَيَالُ عَلَيْنَا لَيْلَةَ ٱلْوَادِي ، مِنْ أُمِّ عَمْرٍو ، وَلَمْ تُلْمِمْ لِمِيعَادِ(١)

إِنِّي ٱهْتَدَيْتُ لِرَكْبٍ طَالَ سَيْرُهُمُ فِي سَبْسَبٍ بَيْنَ دَكْدَاكٍ وَأَعْقَادِ(٢)

إِذْهَبْ ، إِلَيْكَ . فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ
أَهْلِ ٱلْقِبَابِ ، وَأَهْلِ ٱلْجُرْدِ وَٱلنَّادِي(٣)

أَبْلِغْ أَبَا كُرُبٍ عَنِّي ، وَإِخْوَتَهُ ، قَوْلاً سَيَذْهَبُ غَوْراً بَعْدَ إِنْجَادِ(٤) :

لَا أَعْرِفَنَّكَ يَوْماً أَنْتَ تَنْدُبُنِي ، وَفِي حَيَاتِيَ مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي

إِنَّ أَمَامَكَ يَوْماً أَنْتَ مُدْرِكُهُ ، لَا حَاضِرٌ مُفْلِتٌ مِنْهُ وَلَا بَادِ(٥)

---

(١) أَلَمَّ بالقوم نزل بهم وزارهم زيارة خفيفة (٢) الركب المسافرون على الابل (السبسب) الارض المخوفة (دكداك واعقاد) الظاهر انه اراد بهما موضعين . والدكداك في الاصل هي ارض فيها غِلَظ . والاعقاد جمع عَقَد ، وهو ما تعقّد من الرمل وتراكم (٣) اليك اسم فعل امر بمعنى تنحَّ وابعدْ (القباب) جمع قبة (ألجرد) الخيل القصيرة الشعر وهي ممدوحة عندهم (النادي) مجلس القوم

(٤) الغور المنخفض من الارض (الانجاد) اتيان النجد وهو المرتفع من الارض . والمعنى سيسير هذا القول في انحاء الارض (٥) الحاضر ساكن الحواضر وهي المدن —

فَٱنظُرْ إِلَى ظِلِّ مُلْكٍ أَنتَ تَارِكُهُ : هَلْ تُرْسِيَنَّ أَوَاخِيهِ بِأَوْتَادِ ؟ [١]
أَلْخَيْرُ يَبْقَى، وَإِنْ طَالَ ٱلزَّمَانُ بِهِ وَٱلشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ [٢]

ومن شعره الجيد قوله :

إِذَا أَنتَ لَمْ تَعْبَأْ بِرَأْيِي، وَلَمْ تُطِعْ لِنُصْحٍ، وَلَمْ تُصْغِ إِلَى قَوْلِ مُرْشِدِ
فَلِمْ تَتَّقِي ذَمَّ ٱلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا ؟ وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِٱللِّسَانِ وَبِٱلْيَدِ ؟
فَلَسْتَ — وَإِنْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِٱلْمُنَى —
بِذِي سُؤْدَدٍ بَادٍ، وَلَا كَرْبَ سَيِّدِ [٣]
لَعَمْرُكَ مَا يَخْشَى ٱلْجَلِيسُ تَفَحُّشِي
عَلَيْهِ، وَلَا أَنْأَى عَنِ ٱلْمُتَوَدِّدِ [٤]
وَلَا أَبْتَغِي وُدَّ ٱمْرِيءٍ قَلَّ خَيْرُهُ،
وَلَا أَنَا عَنْ وَصْلِ ٱلصَّدِيقِ بِأَصْيَدِ [٥]
وَإِنِّي لَأُطْفِي ٱلْحَرْبَ بَعْدَ شُبُوبِهَا، وَقَدْ أُوقِدَتْ لِلْغَيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدِ [٦]
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ . وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ ٱلْأُمُورِ بِمُبْتَدِي :
إِذَا أَنتَ حَمَّلْتَ ٱلْخَؤُونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ

— (البادي) ساكن البادية (١) ترسينَّ تثبتنَّ (الاواخي) جمع آخيَّة، وهي العروة التي تربط الى الوتد المدقوق في الارض لتثبت الخيمة (٢) يروى هذا البيت ايضاً لزهير بن ابي سلمى (٣) السؤدد الشرف (البادي) الظاهر (الكرب) القرب . والمعنى لست من ذوي الشرف ولا قريباً من سيد يرفعك (٤) التفحش التكلم بالفحش (انأى) أبعد (٥) الاصيد من يرفع رأسه تكبُّرًا . والمعنى لا اتكبر عن مواصلة الصديق (٦) الغي الضلال

وَلَا تُظْهِرَنْ وُدَّ ٱمْرِيءٍ قَبْلَ خُبْرِهِ ، وَبَعْدَ بَلَاءِ ٱلْمَرْءِ ، فَاُذْمُمْ أَوِ ٱحْمَدِ (١)
وَلَا تَتْبَعَنَّ ٱلرَّأْيَ مِنْكَ تَقُصُّهُ ، وَلٰكِنْ بِرَأْيِ ٱلْمَرْءِ ذِي ٱللُّبِّ فَٱقْتَدِ (٢)

وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَةً ،
فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَاكَ ، وَٱزْدَدِ

تَمَنَّى مُرَيْءُ ٱلْقَيْسِ مَوْتِي ، وَإِنْ أَمُتْ
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ (٣)

لَعَلَّ ٱلَّذِي يَرْجُو رَدَايَ وَمَوْتَتِي ،
سَفَاهاً وَجُبْناً ، أَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلرَّدِي (٤)

وَلِلْمَرْءِ أَيَّامٌ تُعَدُّ ، وَقَدْ رَعَتْ حِبَالُ ٱلْمَنَايَا لِلْفَتَى كُلَّ مَرْصَدِ (٥)
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي ٱلْيَوْمِ ، لَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غَدِ

ومِمَّا يُستجاد من شعره قوله :

يَا أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا ، إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا غَافِلُ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَائِنَا فَسَلْ تُنَبَّأْ ، أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ (٦)

---

(١) قبل خبره اي قبل اختباره وامتحانه (وبعد بلاء المرء) اي وبعد اختباره وامتحانه
(٢) تقصُّه : تتبعه (اللب) العقل (٣) مريءُ القيس : الظاهر انه اراد به امرأ القيس بن حجر صاحب المعلقة . وذلك لما هدَّدهم وجبههم حين جاؤوه طالبين الصلح ودفع دية ابيه كما تقدم (٤) رداي : هلاكي (الرَّدِي) الهالك (٥) المعنى : ان ايام المرء في دنياه معدودة ، وان حبال المنايا منصوبة لهُ في كل مرصد ومكان ، فمتى حان اجله علقت به فأماتته . وقد شبه المنايا بالراعي فهي ترعاه حتى اذا دنا اجله حالت دونه ودون مايريد
(٦) سلْ تنبأ : اسأل تُخبَّر

سَائِلْ بِنَا حُجْراً غداةَ ٱلْوَغَى ، يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ ٱلْحَافِلُ [(١)]
قَوْمِي ـ بَنِي دُودَانَ ـ أَهْلُ ٱلنَّدَى يَوْماً إِذَا أُلْقِحَتِ ٱلْحَامِلُ [(٢)]
كَمْ فِيهِمُ مِنْ سَيِّدٍ أَيِّدٍ ، ذِي نَفَحَاتٍ ، قَائِلٌ ، فَاعِلٌ [(٣)]
مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ ، وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ ، وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ [(٤)]
أَلْقَائِلُ ٱلْقَوْلَ ٱلَّذِي مِثْلُهُ يُمْرِعُ مِنْهُ ٱلْبَلَدُ ٱلْمَاحِلُ [(٥)]
لَا يَحْرِمُ ٱلسَّائِلَ إِنْ جَاءَهُ ، وَلَا يُعَفِّي سَيْبَهُ ٱلْعَاذِلُ [(٦)]
أَلطَّاعِنُ ٱلطَّعْنَةَ يَوْمَ ٱلْوَغَى يَذْهَلُ مِنْهَا ٱلْبَطَلُ ٱلْبَاسِلُ [(٧)]

معلقته وسبب نظمها

معلّقة عَبيد بائيّة من مجزوء البسيط ، ووزنه : « مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مَفْعُولُنْ » واكثرها جاءت على وزن مخلّع هذا البحر ، وهو يكون باستعمال مَفْعُولُنْ » على وزن « فَعُولُن » وذلك مستملح في مجزوء البسيط . غير ان جملةً من ابياتها جاءت فيها « مَفْعُولُنْ » على وزن « مُسْتَفْعِلُنْ » .

---

(١) سائل بنا : اسأل عنّا . فالباء بمعنى عن كما في قوله تعالى : « سأل سائل بعذابٍ واقع » اي عن عذاب (الوغى) الحرب (٢) الندى : الكرم (ألقحت الحامل) حملت بعد اللقاح . وانما وصفهم بالكرم عند ما تلقح الحوامل لان ذلك اشدُّ ما يكون من الكرم . فالخير واللبن يقلّان عند ذلك . (٣) ايّد : قوي شديد (النفحات) العطايا (قائل ذاعل) مرفوعان على انهما خبر ان لمبتدأين محذوفين تقدير كلٍّ منهما « هو »
(٤) النائل : العطاء (٥) يمرع : يخصب (الماحل) المجدب
(٦) لا يعفي : لا يحجب ولا يمنع . هذا معناها هنا (السيب) العطاء (العاذل) اللائم
(٧) يذهل : يدهش (الباسل) الشجاع الكريه على الاعداء عند اللقاء

وذلك غير جائز في البسيط المجزوء الذي عروضه على وزن « مَفْعُولُنْ »
وفيها كثير من الابيات مختلّة الوزن . وقد اشار ابو العلاء المعريّ الى
اختلال بائيّة عَبيد بقوله :

وَقَدْ يُخطِئُ ٱلرَّأيَ ٱمْرُؤٌ وَهُوَ حَازِمٌ ،
كَمَا ٱخْتَلَّ فِي وَزْنِ ٱلْقَرِيضِ عَبِيدُ

نقول : والغالب ان ذلك من سوء الرواية . وإلاّ فعَبِيد اجلّ
من ان يقع في مثل ذلك .

ومعلَّقته هذه قد جمعت ضروباً من الحكمة والموعظة والوصف .
وذلك اكثر مافيها . وهي مسبوكة سبكاً جميلاً . وربما ضاع حُسْنُ
سبكها ، وبليغ تركيبها ، وجميل حكمتها بهذا البحر الذي اختاره
لتسييرها فيه . لانه بحر ضلّ فيه كثيرٌ من خائضيه قديماً وحديثاً .

أمَّا السبب الذى دعاه الى نظمها فليس ـ على مايظهر ـ الاّ خواطر من
الحكمة والعِظَة جاشت في نفسه ، فظهرت على أَسَلَة لسانهِ . والله اعلم .

نخبة من معلّقته

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ ، فَٱلْقُطَّبِيَّاتُ ، فَٱلذَّنُوبُ (١)

وَبُدِّلَتْ مِنْهُمُ وُحوشاً ، وَغَيَّرَتْ حَالَهَا ٱلْخُطُوبُ (٢)

أَرْضٌ تَوَارَثَهَا ٱلْجُدُوبُ ، فَكُلُّ مَنْ حَلَّهَا مَحْرُوبُ : (٣)

إِمَّا قَتِيلًا ، وَإِمَّا هَلْكاً . وَٱلشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ (٤)

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ ، كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا شَعِيبُ (٥)

وَاهِيَةٌ ، أَوْ مَعِينٌ مَعْنٌ مِنْ هَضْبَةٍ دُونَهَا لُهُوبُ (٦)

---

(١) اقفر من اهله : خلا منهم (ملحوب) اسم ماء لبني اسد بن خُزَيمة (القطبيات) اسم جبل (الذنوب) اسم موضع (٢) الخطوب: الامور . واراد بها الاحوال التي عرتها بعد مفارقة اهلها لها (٣) الجدوب : جمع جَدْب ، وهو القحط والمَحْل . ويروى : توارثها شعوب . وشعوب اسم للمنية (محروب) مسلوب . يقال : حرب فلانٌ فلاناً ، اي سلبه ماله وتركه بلا شيء (٤) الشين : العيب – يقول : ان ذلك المسلوب امَّا ان يُقتل واماً ان يهلك اي يموت من غير قتل ، وان عُمِّر حتى شاب فان شيبه يعيبه . وذلك انهم كانوا يحبون ان يموت الرجل وفيه قوة حتى لا يكون كَلًّا على غيره (٥) سروب : جارٍ (الشأن) عرق الدمع ، وجمعه شؤُون (الشعيب) المزادة وهي القربة (٦) واهية : صفة لشعيب . وصف هذه القربة بانها واهية اي بالية فيها شقوق فالماء يسيل منها – شبَّه عينيه وهما يسيلان بالدمع بالقربة الواهية المتشققة التي يسيل منها الماء (المعين) الماء الجاري (المعن) الكثير ، او الماء الظاهر على وجهِ الارض (من هضبة) اي ان هذا الماء منحدر من هضبة اي مكان مرتفع (دونها) تحتها (اللهوب) المهاوي . وهي جمع لِهْب ، وهو المهوى بين جبلين . يقول : ان عينيك وهما تذرفان الدمع تشبهان القربة الواهية او ماء جارياً كثيرًا من هضبة تحتها مهاوٍ . وانما وصفه بانه يصبُّ في المهاوي ، لانه اذ ذاك يكون اسرع انحدارًا .

تَصْبُو؟ وَأَنَّى لَكَ ٱلتَّصَابِي ؟ أَنَّى؟ وَقَدْ رَاعَكَ ٱلْمَشِيبُ ؟(١)
فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْلُوسٌ . وَكُلُّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبُ (٢)
وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ مَوْرُوثٌ . وَكُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبُ (٣)
وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ . وَغَائِبُ ٱلْمَوْتِ لَا يَؤُوبُ (٤)
أَعَاقِرٌ مِثْلُ ذَاتِ رِحْمٍ ؟ أَوْ غَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَخِيبُ ؟(٥)
مَنْ يَسْأَلِ ٱلنَّاسَ يَحْرِمُوهُ . وَسَائِلُ ٱللّٰهِ لَا يَخِيبُ
بِٱللّٰهِ يُدْرَكُ كُلُّ خَيْرٍ . وَٱلْقَوْلُ فِي بَعْضِهِ تَلْغِيبُ (٦)
وَٱللّٰهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ، عَلَّامُ مَا أَخْفَتِ ٱلْقُلُوبُ (٧)
أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ قَدْ يُبْلَغُ — بِٱلضَّعْفِ، وَقَدْ يُخْدَعُ ٱلْأَرِيبُ (٨)

---

(١) تصبو : تميل الى الصبوة ، وهي جهلة الفتوّة (انى) بمعنى كيف (التصابي) الميل الى الصبوة واللهو (راعك) افزعك – اي كيف تصبو وتميل الى العشق ونحوه من عمل الفتيان وانت شيخ قد اشتعل رأسك شيباً (٢) مخلوس : مسلوب (مكذوب) يريد انه لا ينال ما يأمل (٣) اي كل ذي مالٍ سيتركه لمن يرثه بعده ، وكل من سلب شيئاً من غيره فسيسلبه غيره منه (٤) يؤوب : يرجع

(٥) العاقر : هي التي لا تلد (الرحم) بكسر الراء وسكون الحاء . ويقال ايضاً الرَّحِم ، بفتح اوله وكسر ثانيه : هو بيت منبت الولد – يقول : هل تستوي المرأة العاقر والمرأة الوَلود ؟ او هل يستوي من يخرج فيرجع غانماً ومن يخرج فيؤوب خائباً ؟

(٦) تلغيب : ضعف ، او اتعاب لقائله . وذلك انه قد يقول قولًا بلا تدبُّر ولا تروٍّ فيكون منه ما لا خير فيه (٧) علّام ما اخفت القلوب : اي كثير العلم لمّا تخفيه الصدور ، بمعنى انه لا تخفى عليه خافية (٨) افلح بما شئت : اي عش كيف شئت . قال : افلح بالشيء ، اي عاش به (الاريب) العاقل . يقول : عش كيف شئت ولا تُتعب نفسك فقد ينال الضعيف بضعفه ما لا ينالهُ القوي بقوته .

لَا يَعِظُ ٱلنَّاسُ مَنْ لَا يَعِظُ — ٱلدَّهْرُ. وَلَا يَنْفَعُ ٱلتَّلْبِيبُ (١)
سَاعِدْ بِأَرْضٍ تَكُونُ فِيهَا ، وَلَا تَقُلْ : إِنَّنِي غَرِيبُ (٢)
وَٱلْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبٍ ، طُولُ ٱلْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ (٣)

تمّ الكتاب

والحمد لله اولاً واخراً

وكان الفراغ من طبعه لاول مرة في اواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣١ للهجرة واواخر شهر آذار سنة ١٩١٣ للميلاد . وكانت النهاية من طبعه لهذه المرة الثانية في اواخر شهر جمادى الثانية سنة ١٣٣٢ للهجرة . واواخر شهر ايار سنة ١٩١٤ لمولد المسيح عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء اتمّ الصلاة وازكى التسليم

---

(١) اي لا ينفع وعظ الناس لمن لا يعظه الدهر بقوارعه ونوائبه (التلبيب) تكلُّف اللُّب اي العقل من غير طبع ولا غريزة . والمعنى : لا ينفع الانسان تكلُّفه ان يكون عاقلًا اذا لم يكن العقل فطرة قد فُطر عليها

(٢) اي ان حللت في ارض فساعدْ اهلها على ما فيه صلاحها وعمرانها ، ولا تمتنع عن مساعدتهم بدعوى انك غريب عنها ، لان من انتفع من امرٍ وجب عليه محافظته والقيام بتجويده وتحسينه (٣) يقول : ان الحياة كذب ، فمها عاش الانسان فلا بدّ انه يموت وما طول حياته الّا تعذيب لهُ ، لِمَا يلاقي في الشيخوخة من آلام الحياة ما يلاقي .

مضامين الكتاب